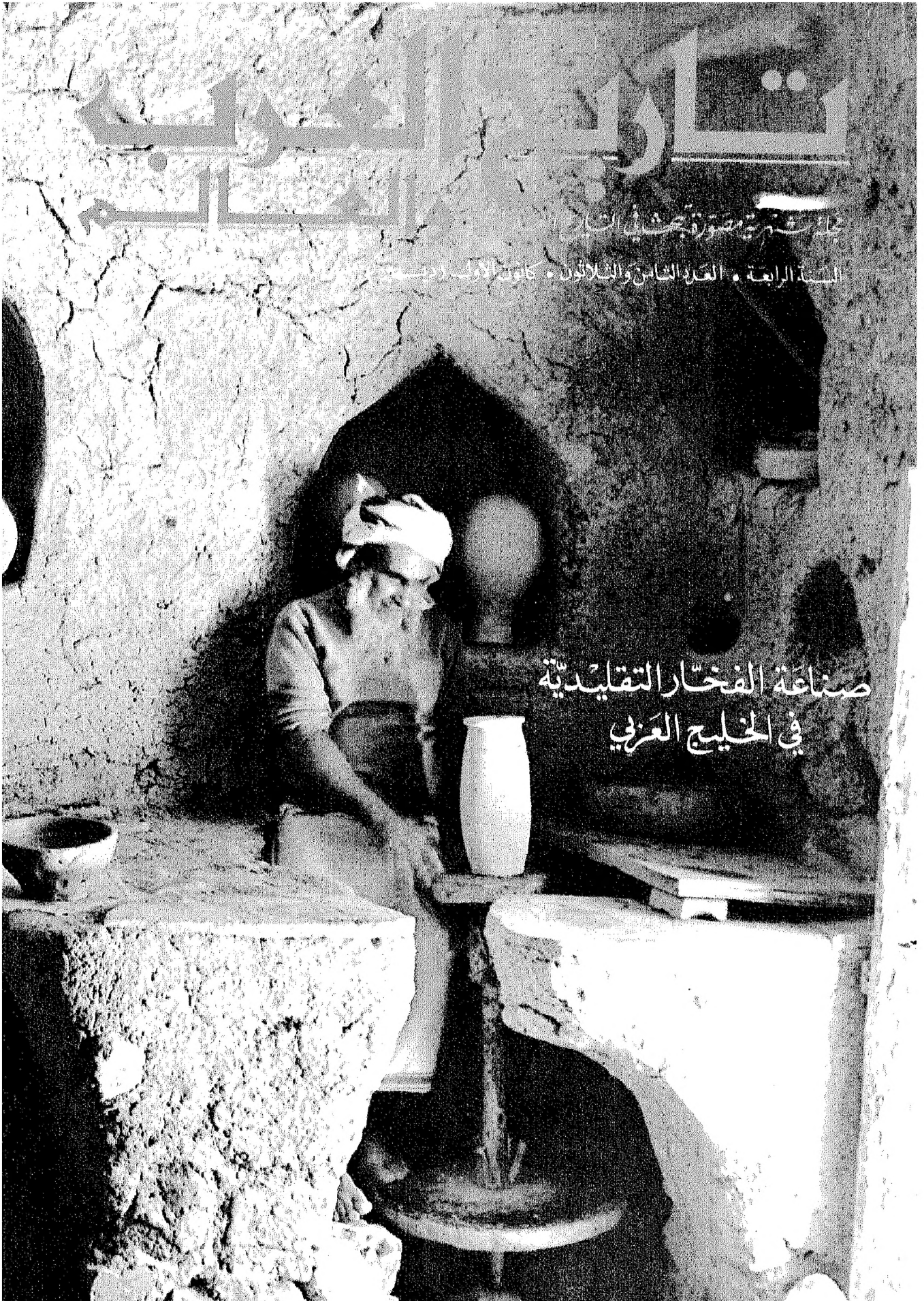


تاريخ العرب المعاصرة

جلد ششم، شماره ۱، بهار ۱۳۹۵
مجله علمی-پژوهشی در زمینه تاریخ و باستان
مجله علمی-پژوهشی در زمینه تاریخ و باستان

صناعة الفخار التقليدية
في الخليج العربي



الخدمة الثقافية

مجلته ثقافيه جامعة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية - تونس
من أهدافها:

- خدمة الفاعل العربي في كل مكان
- المساهمة في تطوير البحث والإنتاج والنقد
- تقديم صورة صادقة عن الحركة الثقافية والفكرية في تونس

العنوان : وزارة الشؤون الثقافية - القصبة - تونس

الهاتف : 819 . 263

الاشتراكات : عن سنة أعداد : 2,100 دينار تونس أو ما يعادلها.

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التوزيع الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكاتب، تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط ■

- نظرة أولية على هجرة الادمغة العربية
د. سلمان رشيد سلمان ٢
- الفكر الاجتماعي عند محمد اقبال
يان ماريك ١٧
- غزاة بحر الشام وأمراؤه في العصر الاموي
د. عمر عبدالسلام تدمري ٣٠
- الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) في الادب العربي
نجدة فتحي صفوة ٣٩
- تحليل الاتجاهات السياسية في لبنان ١٩٢٠-١٩٥٢
د. حسان حلاق ٥٢
- من قصص العرب: الغناء يُحبي القلب
فلسطين في الألف الثاني ق.م. ٥٧
- د. ديمتري برامكي ٥٨
- رجال وأفكار: ادريس الاول
د. سهيل زكار ٦٦
- القلائس من وسط آسيا وفارس
الماريشال بيتان منقذ أم خائن ٦٨
- د. رياض العالي ٧٢
- المواقع الاثرية في دولة الامارات العربية
قسم التوثيق والأبحاث ٨٠
- وصف الطرفة في كتب الكحل
د. مؤنس محمود غانم ٨٦
- تاريخ الطوايع: الفروق والأخطاء في طوايع البريد
ميشال اسطفان ٩١
- رسائل الماجستير: خالد بن يزيد
فاضل خليل ابراهيم ٩٥



تاريخ العرب والعالم

العدد ٣٨ • كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١ م

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربر
المستشار : د. أنيس صايغ المدير المسؤول : محمد مشموشي

أمين التحرير : د. محمد أمين فرشوخ
قسم التوثيق والأبحاث : شذا عدرة
قسم التوزيع والاشتراكات : علي عبدالساتر
المخرج الفني : سالم زين العابدين
الانتاج : مطبعة المتوسط: ش.م.ل.
التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

ثمن النسخة

لبنان	٥ ل.ل	تونس	١ دينار
العراق	٨٠٠ فلس	الكويت	٧٠٠ فلس
السعودية	٨ ريال	الامارات	٨ درهم
الأردن	٥٠٠ فلس	قطر	٨ ريال
البحرين	٨٠٠ فلس	عبد	٨ شللات
مسقط	٨٠٠ بيضة	المغرب	٦ درهم
فرنسا	١٠ فرنكات	بريطانيا	جنيه استرليني
سوريا	٦ ل.س	اميركا	٣ دولارات

الاشتراكات

(يما فيها اجور البريد الجوي)

- في لبنان: للأفراد ٧٥ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٢٠٠ ل.ل.
- في الوطن العربي: للأفراد ١٠٠ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٧٥ دولاراً
- خارج الوطن العربي: للأفراد ٤٠ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ دولار
- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

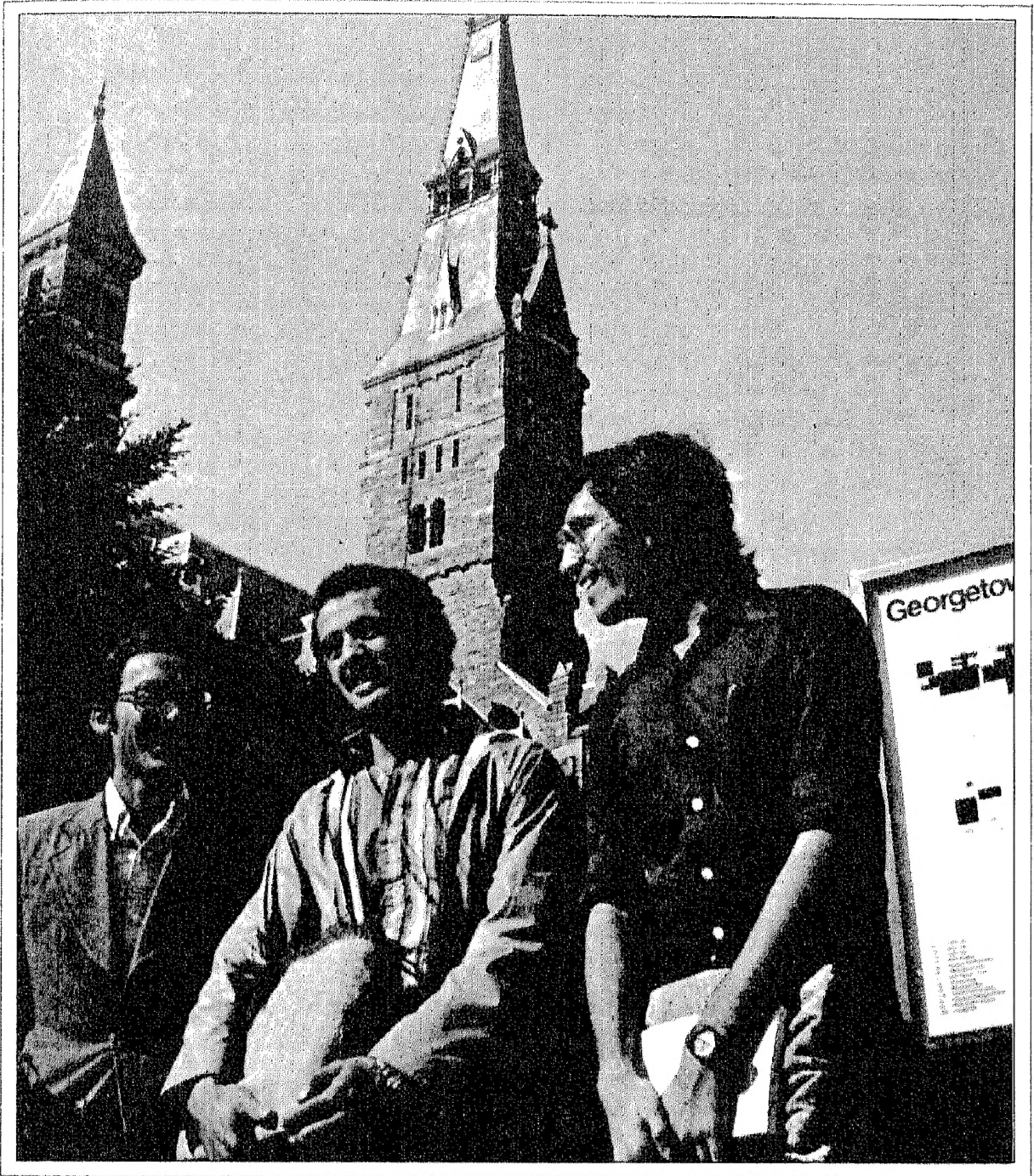
ص.ب: ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل
شقة ١١ ● شارع السادات - تلفون: ٨٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM SADATE ST.
ABOU HILEIL BLG. P.O.B. 5905 TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

Vol. 4. No. 38. Dec. 1981

ANNUAL SUBSCRIPTION: \$100 (INCLUDING \$25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
"HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD"



نظرة أولية على هجرة الأدمغة العربية

د. سلمان رشيد سلمان / جامعة بغداد

لقد نوقشت قضية هجرة الأدمغة في العديد من الندوات ونشر العديد من الدراسات التي تناقش هذه القضية المهمة. ولقد تميزت بعض هذه الدراسات باحصائيات مفصلة حول الهجرة (١-٤). إلا أن معظم هذه الدراسات قد تناول مشكلة الهجرة من جانب واحد دون النظر إليها بشكل شامل. أما بالنسبة للوطن العربي فرغم تسرب الكثير من كوادره العلمية عن طريق الهجرة غير أنه لم تصدر احصائيات شاملة ومفصلة تمكن الباحث من القيام بدراسات معمقة للوصول إلى استنتاجات تفيد متخذي القرار في الوطن العربي.

الوضع في تبعية الدول النامية للدول المتقدمة في أمر مهم بالنسبة لتحقيق تنمية سريعة إلا وهو موضوع التكنولوجيا وأصبحت الدول النامية تدفع مبالغ طائلة للتكنولوجيا الغربية مما يزيد في فقرها لأن عليها أن تدفع سعر هذه التكنولوجيا بالعملة النادرة. لقد كانت الكلفة المباشرة لنقل التكنولوجيا إلى الدول النامية في نهاية الستينات ١٥٠٠ مليون دولار^(١). وقدرت الكلفة عام ١٩٧٨ ما بين ١٠ - ٢٠ بليون دولار ويقدر بأنها ستبلغ عام ٢٠٠٠ في حدود ١٥٠ - ٢٥٠ بليون دولار^(٢). وهذا المبلغ لن تستطيع الدول النامية دفعه مستقبلاً.

لقد وضحت مجموعة من المفكرين الوضع الحالي للعالم بالكلمات التالية «لقد تبين لنا خلال السنوات الأخيرة، أن الطريق الذي سرنا فيه يبدو، بالرغم من المنجزات الضخمة التي تحققت في بعض المجالات، مفضياً إلى الكوارث واليأس»^(٣).

وسنحاول في هذه الدراسة أن ننظر لموضوع هجرة الأدمغة من خلال هذه النظرة الشمولية مركزة بصورة أساسية على نقاط الخلل في الدول النامية والتي قادت إلى هجرة الأدمغة، وهذه الدراسة هي محاولة أولية في هذا المجال.

بعض الاحصائيات المهمة:

١ - بلغت الهجرة الكلية من الدول النامية إلى الدول المتقدمة للفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٧ في حدود ١٨٦٤ مليون شخص، منهم حوالي ١٨١ ألفاً من ذوي الكفاءات. أي نسبة ٩,٧ في المائة، موزعين كما يلي بالنسبة للاختصاصات، ٤٥,٢ في المائة مهندسين، ١٧,٤ في المائة علوم طبيعية و٣٤,٣ في المائة من ذوي المهن الطبية

يمكن أن تعتبر هجرة الأدمغة أحد المؤشرات المهمة لوجود خلل في بنية الدول النامية. وفي العلاقات القائمة ما بينها وبين الدول المتقدمة. ومن هنا من الضروري أن ينظر إلى هذه المشكلة وإلى حلها على ضوء المحاولات الجارية ليجاد واحلال نظام اقتصادي عالمي جديد. لقد بينت الكثير من الدراسات الحديثة بأن التفاوت الكبير والمتزايد ما بين الدول النامية والمتقدمة لا يمكن فصله عن الوضع الاقتصادي الدولي، حيث تخصصت الدول النامية بإنتاج وتصدير المواد الأولية بأسعار زهيدة، وقيام الدول المتقدمة بتصنيع هذه المواد وحصولها على فوائد اقتصادية كبيرة في عمليتي التجارة والتصنيع معاً. ولقد نتج عن ذلك انقسام العالم إلى دول غنية وأخرى فقيرة.

فالدول الصناعية والتي يبلغ سكانها ٦٨٢ مليون نسمة أي ما يعادل ١٧,٢ في المائة من مجموع سكان العالم، تنتج ما يعادل ٦٢,٣ في المائة من مجموع الناتج القومي الإجمالي العالمي خلال عام ١٩٧٥. وتوفر دخلاً سنوياً لكل واحد من مواطنيها يبلغ ٥٥٢١ دولار في حين يبلغ عدد سكان الدول النامية ٢٠٦٩ مليون نسمة وتنتج ٢٦,٢ في المائة من مجموع الناتج القومي الإجمالي، وتوفر لمواطنيها دخلاً سنوياً يبلغ ٤٧٨ دولار^(٥) لقد أسفر هذا الوضع في استحواد الدول المتقدمة على ٩٥ في المائة من التكنولوجيا^(٦). وينتج العالم المتقدم ٩٤,٨ في المائة من الانتاج العلمي العالمي^(٧). أما فيما يتعلق ببراءات الاختراع فقد ساهمت جميع الدول النامية بمقدار ١ في المائة من مجموع البراءات العالمية المسجلة^(٨). وقد أسفر هذا



٣. في المائة علوم انسانية واجتماعية^(١٢).

٢ - بالنسبة لهجرة ذوي الكفاءات منذ عام ١٩٦١ - ١٩٧٢ فقد بلغ مجموعهم ٢٣٠ ألفاً منهم حوالي ١٢٠ ألفاً هاجروا إلى أميركا وكندا موزعون بالشكل التالي^(١٣).

٥ - بالنسبة للدول العربية فإن الاحصائيات التي نشرت قد اعتمدت على مصادر مختلفة. لذلك فإن الأرقام المذكورة لا يمكن أن تكون دقيقة إلا أنها يمكن أن تستعمل كمؤشرات لغرض هذه الدراسة. وفي

جدول ١ عدد المهاجرين ونسبتهم إلى كل من امريكا وكندا للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٢

المنطقة	عدد المهاجرين	نسبة المهاجرين (مئوية)
آسيا (عدا المنطقة العربية)	٨٤٠٨١	٧٠,٦٩
المنطقة العربية	١٠٤٠٤	٨,٧٥
أفريقيا	٦٨٩٢	٥,٧٩
امريكا اللاتينية	١٧٥٧٣	١٤,٧٧
المجموع	١١٨٩٥٠	١٠٠

هذا المجال فإن نسبة هجرة الكفاءات العربية إلى مجموع الكفاءات في الدول النامية، إلى الولايات المتحدة قد ارتفعت من ٤,٥ في المائة للفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٧^(١٨) لتبلغ ٩ في المائة للفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٢^(١٩).

لقد بينت الدراسة الثانية والتي شملت الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٩ نسبة الهجرة مقسمة لبعض الدول العربية^(٢٠).

أما توزيع الاختصاصات بالنسبة للدول العربية لهذه الفترة فقد كانت ٤٦,٦٧ في المائة مهندسين و ١٥,٢ في المائة علوم طبيعية و ٣٤,٣٥ في المائة علوم طبية و ٣,٧ في المائة علوم انسانية.

٣ - خلال المدة ١٩٦٢ - ١٩٧٢ بلغت مساهمة الدول النامية من أطباء في كل من الولايات المتحدة وكندا والولايات المتحدة بحدود ٥٨ في المائة للأطباء و ٤٢ في المائة من العلماء والمهندسين، وساهمت الدول النامية بـ ٥١ في المائة من الأطباء في الولايات المتحدة للعام ١٩٧١ - ١٩٧٢ و ٤٠ في المائة بالنسبة لبريطانيا^(١٤).

٤ - إن أعداد المهاجرين تبلغ نسبة كبيرة من رصيد الدول النامية من المهندسين والعلماء والأطباء، فعلى سبيل المثال، قدر عدد المهاجرين من المهندسين من الهند للعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ بحوالي ٢٥ في المائة من مجموع الخريجين في العلوم و ٣٠ في المائة من الأطباء^(١٥). أما بالنسبة للفلبينيين فإن هجرة الأطباء لعام ١٩٧٥ - ١٩٦٧ بلغت ٢١ في المائة من الخريجين أما نسبة المهندسين والعلماء فكانت ١١ في المائة^(١٦).

أما بالنسبة لسيرلانكا فقد ازدادت نسبة المهاجرين من الأطباء من ٩ في المائة من خريجي كل سنة في بداية الستينات لتبلغ ١٦ في المائة في أواسط السبعينات^(١٧).

جدول ٢
هجرة الأدمغة إلى الولايات المتحدة
للفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٩

اسم البلد	مجموع المهاجرين	النسبة المئوية
مصر	٩٣١٥	٢٤,٦٦
لبنان	٨١٩١	٢١,٦٨
الأردن	٩٥٤٨	٢٥,٤
العراق	٤١٩٢	١١,١٥
سورية	٢٤٧٣	٦,٥٨
المغرب	٢٤٠٦	٦,٤
تونس	٤٩٧	١,٣٣
الجزائر	٩٨١	٢,٦
المجموع	٣٧٦٠٣	١٠٠

أما نسبة المهاجرين السنوية من عدد المتخرجين في البلاد العربية إلى كل من الولايات المتحدة وكندا للفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٦ فيبينها

الجدول التالي مقسمة حسب الاختصاصات:

جدول ٣
نسبة المهاجرين السنوية إلى المتخرجين
للفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٦

البلد	مهندسون	طبيعة	أطباء	علماء اجتماع
سورية	٥٦,٥	١١,٧	٩,٣	٠,٨
لبنان	٣٥,٥	١٠,٥	٢٤,٩	٠,٥
العراق	٩,٢		٤,٩	٠,١

حملة الماجستير^(٢٦).

١٠ - لقد بينت إحدى الدراسات^(٢٧) بأن الكثير من المهاجرين يرجعون إلى أوطانهم بعد فترة من الزمن. وأن أكبر نسبة للعائدين هي في افريقيا تأتي بعدها آسيا، عدا الدول العربية، ثم اميركا اللاتينية أما أوطان نسبة للعائدين فهي للمنطقة العربية أما بالنسبة لمصر فالدراسة تبين بأن معظم المهاجرين لا يرجعون إليها.

أسباب الهجرة:

إن هجرة الأدمغة عملية معقدة، ولا يجوز أن ينظر إليها بشكل بسيط وبمعزل عن الكثير من الظروف التي تؤثر في زيادتها أو نقصانها إلا أن من المهم أن نرى بأنه في ظل الأوضاع التي تعيشها الدول النامية إلا وهو ارتباطها الوثيق بالسوق الرأسمالية، فإن عملية الهجرة تكون عملية متوازنة بين قوى جذب من قبل الدول المتقدمة لما تتميز به من فوائد بالنسبة للمهاجر مادياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً وبين قوى الدفع الموجودة في الدول النامية. ولن تحاول هذه الدراسة الخوض في عناصر الجذب بقدر ما ستحاول أن تدرس عناصر الدفع ومسبباتها الحقيقية الآن ومستقبلاً، خاصة بالنسبة للوطن العربي. ومن هنا فإن هذه الدراسة ستتركز على الدول النامية دون أن يعني ذلك غياب التأثير الكبير للدول المتقدمة على الهجرة. والهدف من كل ذلك هو محاولة تحليل أسباب الهجرة بالنسبة للدول النامية للوصول إلى استنتاجات مفيدة في هذا المجال.

سنذكر فيما يلي وبايجاز الأسباب العامة للهجرة من الدول النامية إلى المتقدمة. علماً بأن

ويتبين من الجدول كذلك أن معظم المهاجرين هم من المهندسين ثم الأطباء ثم علماء الطبيعة.

٦ - إن الدول النامية قد خسرت كثيراً من جراء هجرة الأدمغة فقد قدر رأس المال الداخل إلى الولايات المتحدة للفترة ١٩٦١ - ١٩٦٢ من جرّاء الهجرة بـ ٣٠ مليون دولار. وكان الدخل في حالة تزايد فقد بلغ لسنة ١٩٧٠ حوالي ٣,٧ بليون دولار و٧,٦ بليون دولار لعام ١٩٧١ وحوالي ٧,٤ بليون دولار لعام ١٩٧٢. في حين قدر ربح كندا للفترة ١٩٦٣ - ١٩٧٢ بحوالي ١٠ بليون دولار ولبريطانيا للفترة ١٩٦٤ - ١٩٧٢ بحوالي ٣,٥ بليون دولار^(٢٨).

ولقد بلغت القيمة الاستثمارية المقدرة للأدمغة المهاجرة من الدول النامية إلى الدول المتقدمة الثلاث آنفة الذكر بحوالي ٥٠ بليون دولار^(٢٩). هذا عدا الضرائب التي تستحصلها هذه الدول الثلاث من المهاجرين والتي بلغت في الولايات المتحدة الأميركية لعام ١٩٧٢ بحدود ٩٥٠ مليون دولار. في حين بلغت المساعدات التي قدمتها الدول الثلاثة إلى الدول النامية للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٢ حوالي ٤٦ بليون دولار^(٣٠).

٧ - إن الخسائر الناتجة عن الهجرة بالنسبة لبعض الدول النامية كانت كبيرة، فعلى سبيل المثال بلغت بالنسبة لكولومبيا عام ١٩٦٧ حوالي ٤,٤ في المائة من الدخل القومي^(٣١).

٨ - قدرت خسارة الوطن العربي من جراء الهجرة بمئة مليون دولار^(٣٢). وهذا الرقم مشكوك فيه إذ أنه لو أخذت الدراسات التي ذكر بعضها وقورنت خسارة الدول العربية لبلغت ٤٠٠ مليون دولار سنوياً.



شبابنا في الخارج... هل يعودون دائماً؟

المتحدة^(٢٨)، ويبين الجدول ١ بأن معظم كوادز أميركا اللاتينية (٩٣,٢) في المائة تهاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية.

لقد ذكرت إحدى الدراسات التي أجريت عن هجرة الادمغة من الفلبين بأن هجرة الكفاءات لها علاقة بالمساعدات الأجنبية إذ أن أكثر المهاجرين هم من العلماء الذين تدرّبوا ضمن برامج المعونات في أميركا. إن استعمار الفلبين قد تركها معتمدة ثقافياً واجتماعياً على الولايات المتحدة بحيث أن ذلك قد قسّد قلوب مختلف الاتجاهات السياسية والثقافية والتعليمية بحيث جعل من مسألة الهجرة قضية مقبولة من قبل المؤسسة الحاكمة^(٢٩).

١ - ٢ - لقد ذكرت إحدى الدراسات بأن أحد أهم الأسباب للهجرة من كولومبيا كانت عملية التناقض بين الأهداف المعلنة للمجموعة السياسية الحاكمة وبين الأجيال الجديدة من التقنيين والإداريين، وأن هذا الخلاف ناتج عن اختلاف في الاستراتيجية السياسية لكلا الطرفين. ولقد عملت المؤسسة

كل دولة نامية تختلف عن الأخرى في مسببات الهجرة. إلا أن من الممكن دراسة العوامل بصورة عامة والتي يمكن أن نقسمها إلى:

- ١ - سياسية واقتصادية
- ٢ - علمية وتعليمية وثقافية
- ٣ - اجتماعية

١ - سياسية واقتصادية:

يمكن أن تكون هذه الأسباب ذاتية أو موضوعية. وسنحاول أن ندرج أهم النقاط تحت هذا الباب..

١ - ١ - إن معظم الدول النامية قد نالت استقلالها حديثاً، إذ كانت مستعمرات للدول المتقدمة التي عملت على ربطها سياسياً وثقافياً واقتصادياً، وتشويه بنيته الاقتصادية بشكل لا تزال تعاني منه جميع الدول النامية ومن هنا فإن الكثير من الدول النامية ترتبط بالدول المتقدمة التي استعمرتها سابقاً بوثائق اقتصادية وسياسية قوية، ومن هنا فإن معظم كوادز الكامرون تهاجر إلى فرنسا، في حين تهاجر كوادز ترينيداد والفلبين إلى الولايات

الحاكمة على تشجيع الهجرة للتخلص والتقليل من هذه المعارضة^(٢٠). ولقد دلت بعض الاحصائيات^(٢١) على أن الأوضاع السياسية غير المستقرة في الدول النامية قد دفعت بأعداد كبيرة للهجرة ولقد قدر عدد المهاجرين من لبنان نتيجة الحرب الأهلية (١٩٧٥ - ١٩٧٦) بحدود مليون وثلاثمائة وخمسون ألف نسمة^(٢٢).

١ - ٣ - تلعب العوامل الاقتصادية دوراً كبيراً في الهجرة، وفي هذا المجال فإن الدول التي استعمرت الدول النامية قد شوهت البنية الاقتصادية للدول النامية وجعلتها سوقاً مفتوحة لتصدير الأيدي العاملة والفنيين إلى الدول المتقدمة في حين جعلت من الدول النامية سوقاً مفتوحة لبضائنها المصنعة. ولنا في تجربة الجزائر خير مثال، فإن ظروف التبعية لفرنسا قد جعلت اقتصاد الجزائر يعجز عن تحقيق تنمية اقتصادية، وأدى ذلك إلى انتشار البطالة. ففي القطاع الزراعي مثلاً كانت جميع الأراضي الخصبة تحت تصرف الفرنسي وبعض كبار الملاك الجزائريين، فكانت أقلية من الأوروبيين تجني ٧٨ في المائة من دخل الجزائر من الزراعة و ٥ في المائة من كبار الملاك الجزائريين يجنون ١٣ في المائة أما الأغلبية التي تشكل ٩٥ في المائة من سكان المناطق الزراعية فلا تزيد حصتها عن ٩ في المائة^(٢٣) ولقد أدى هذا الوضع إلى هجرة الكثير من الجزائريين حتى أن عدد المهاجرين يبلغ عام ١٩٥١ بحدود ٤٠٠ ألف مهاجر في حين يقدر عددهم الآن بأكثر من ٧٠٠ ألف مهاجر.

١ - ٤ - إن كثيراً من الدول النامية وبسبب وضعها الاقتصادي لا تحقق نسبة نمو اقتصادي تعادل نسبة نمو السكان. وهذا الوضع يولد بطالة كبيرة في القطاعات الاقتصادية والعلمية فعلى سبيل المثال فإن البطالة في القطاعات الاقتصادية والعلمية عام ١٩٦٩ بلغت ٨,٨ في المائة في كولومبيا و ٢٠ في المائة لترينداد وهناك علاقة طردية بين هجرة الكفاءات والبطالة^(٢٤). لقد ذكرت بعض الدراسات بأن تحقيق نسبة نمو عالٍ للدخل القومي سيقول من هجرة الكفاءات في حين ذكرت دراسات أخرى^(٢٥) بأن كثيراً من الدول

التي تحقق نمواً كبيراً في الدخل القومي تتزايد فيها الهجرة ولا تقل. وسنناقش هذا الموضوع فيما بعد.

١ - ٥ - إن دخل الكفاءات منخفض جداً في كثير من الدول النامية في حين أن الدخل جيد بالنسبة لهذه الكوادر في الدول المتقدمة ولقد دفع ذلك ببعض الكفاءات للهجرة^(٢٦).

١ - ٦ - تميزت الدول النامية بوراثتها لأجهزة إدارية متخلفة وجامدة ولا تمتلك أية قدرة على فهم الدور الذي يمكن أن تلعبه الكفاءات العلمية في عملية التنمية القومية. ولقد تسبب وجود هذه الأجهزة في إعاقه عمل العلميين^(٢٧) مما أجبر بعض هذه الكوادر للهجرة إلى الخارج. ولو أخذنا كولومبيا كمثال على تأثير الأجهزة الإدارية على الكفاءات لرأينا بأن ٤١ في المائة من الكفاءات وجدت عملاً بعد شهر من رجوعها و ٥٣ في المائة في حدود ثلاثة أشهر و ٦ في المائة لم تد تجد عمل ذلك^(٢٨).

٢ - أسباب علمية وتعليمية وثقافية:

٢ - ١ - إن الكثير من الدول النامية قد ارتبطت بعلاقات ثقافية وطيدة مع الدول المتقدمة. وأهم هذه العلاقات ارتباط البنية الثقافية والتعليمية للدول النامية بأحدى الدول المتقدمة. وتلعب اللغة دوراً مهماً في تشجيع الهجرة فالدول النامية التي تتكلم كوادرها الفرنسية تهاجر كفاءاتها إلى فرنسا. وكوادر الدول النامية التي كانت تابعة لانكلترا تهاجر إلى هذه الدولة^(٢٩).

٢ - ٢ - بالنظر للتبعية التي عانت منها الكثير من الدول النامية فقد استمرت هذه الدول بالاعتماد على مؤسساتها التعليمية التي نشأت في عهد الاحتلال لتلبي حاجة الدولة المتقدمة. ومن هنا فإن أكثر المناهج التدريسية في الثانويات والكليات هي امتداد للنظام التعليمي الذي أوجد في أيام الاحتلال ولا علاقة له بالاحتياجات الاجتماعية والتكنولوجية للدولة^(٣٠).

٢ - ٣ - إن الكثير من الدول النامية لا تمتلك أجهزة تخطيطية أو في أفضل الأحوال لا تمتلك أجهزة مركزية لذلك فإن المخطط التربوي يعمل بمعزل عن المخطط الاقتصادي.

٣ - العوامل الاجتماعية:

تلعب العوامل الاجتماعية دوراً كبيراً في تقليل أو زيادة الهجرة إلى الخارج. فالتقاليد الاجتماعية في كثير من الدول النامية تجعل الحاصل على الاختصاص العالي في مركز اجتماعي متقدم كما أن المجتمع ينظر نظرة متميزة إلى الأطباء والمهندسين في حين أن الكوادر الوسطية لا تحتل مواقع اجتماعية متميزة وهذا يقود أولاً إلى اندفاع أكثر الكوادر المتعلمة نحو محاولة الوصول إلى أعلى السلم الاجتماعي وبذلك يزداد عدد المتخصصين في العلوم الطبية والهندسية وبالتالي يزداد الطلب على الوظائف ويقل العرض فتكون النتيجة الحتمية الهجرة. وثانياً فإن هذا الوضع سيقود إلى قلة الكوادر الوسطية التي هي عماد أي تقدم تكنولوجي في الدول النامية.

أما الناحية الأخرى المهمة في التركيب الاجتماعي فهي أن المجتمعات التي تتميز بترابط اجتماعي كبير داخل العائلة ثم داخل المجتمع يتميز أفرادها بالشعور بالانتماء إلى المجتمع بشكل كبير وفي هذه الحالة فإن الكفاءات التي تهاجر كثيراً ما تشعر بعد مدة من الزمن بنوع من الغربة والحنين إلى الترابط الاجتماعي في الوطن الأول وبذلك فإن هذا العامل سيعمل لارجاع المهاجر إلى وطنه بعد أن يقضي مدة من السنين^(٤٥).

نظرة عامة على الوضع في الدول النامية:

وسنحاول هنا أن نأخذ دولتين، واحدة من اميركا اللاتينية والأخرى من آسيا وهاتان الدولتان هما البرازيل والهند والسبب في ذلك هو تقدم هاتين الدولتين زمنياً في التنمية الاقتصادية عن الوطن العربي وسنعود بعد ذلك إلى الوطن العربي لنرى الأوضاع السائدة فيه وكيف أثرت وستؤثر على هجرة الكفاءات.

البرازيل:

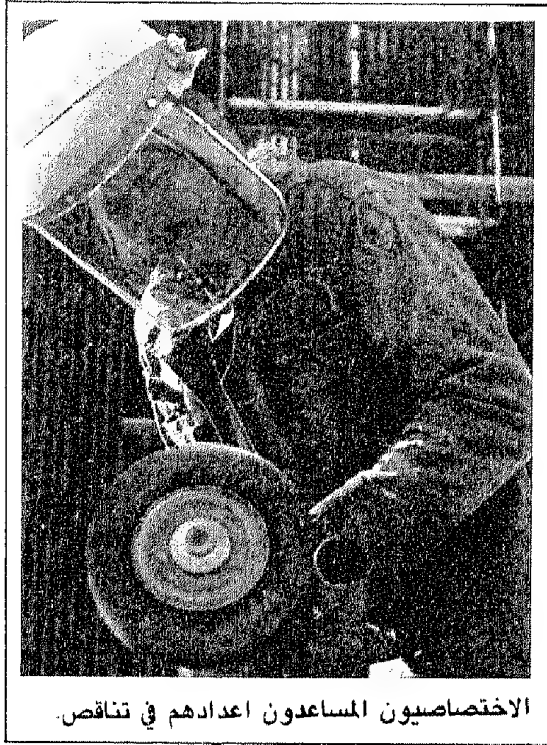
تعتبر البرازيل أول دولة من حيث هجرة الكفاءات في اميركا اللاتينية حيث أن هجرة كفاءاتها إلى كندا للفترة ١٩٦٣ - ١٩٧٢ بلغت

ولو أخذنا لبنان على سبيل المثال لرأينا بأن الوظائف التي استحدثت في لبنان للفترة ١٩٦٤ - ١٩٨٠ قدرت بـ ١٦٠ ألفاً في حين أن عدد الذين تقدموا لهذه الوظائف قُدِّرَ بـ ٤٥٠ ألفاً وهذا يعني بأن ١١ ألف لبناني سيهاجر سنوياً^(٤٦).

٢ - ٤ - بالنسبة لهجرة الكفاءات المتخصصة فإن أحد الأسباب المهمة للهجرة تتلخص في عزلة العالم المتخصص في الدول النامية عن مجرى العلم في الدول المتقدمة، وعدم وجود أجهزة علمية تمكن الباحث من القيام بعمله، غياب النسبة الصحيحة ما بين التقنيين والباحثين، عدم وجود فرص للتدريب أثناء العمل أو بعد التخرج، عدم وجود تسهيلات للبحث العلمي، غياب الأجهزة الخدمية العلمية الجيدة، وجود إدارات متخلفة وروتين قاسي مما يعيق تحرك العالم للحصول على الأجهزة والكتب والمواد التي يحتاجها لعمله في وقت مناسب، عدم وجود مكتبات جيدة وخدمات مكتبية كفؤة، إنشغال العالم بالكثير من المحاضرات أو الواجبات التي تشغله عن البحث العلمي. إن كل هذه العوامل تنشط حركة هجرة الكفاءات^(٤٧).

لقد ذكرت إحدى الدراسات^(٤٨) بأن الهجرة تزداد في الدول النامية التي تمتلك أجهزة بحث متقدمة وسنأتي إلى مناقشة هذه النقطة فيما بعد.

٢ - ٥ - إن معظم الدول النامية تشكو من غياب خطة متكاملة للعلم والتكنولوجيا. ولا شك في أن هنالك أهمية كبيرة بالنسبة لتخطيط العلم والتكنولوجيا في الدول النامية^(٤٩) إذ أن الكثير من الدول النامية تملك موارد طبيعية وبالتالي فمن الممكن أن تتميز خططها القومية لاعطاء أولويات لقطاعات معينة في الاقتصاد القومي. وفي هذا المجال فإن التخطيط العلمي يلعب دوراً كبيراً في دفع الكوادر العلمية للمساهمة بنشاط في تحقيق الأولويات الاقتصادية التي تنسجم مع استغلال الموارد والامكانات الموجودة في الدول النامية بشكل صحيح.



الاختصاصيون المساعدون اعدادهم في تناقص.

هذه الأرقام لا تعبر عن واقع الحال بشكل دقيق والذي تميز بما يلي:

١ - التبعية المتزايدة للسوق الرأسمالي.. بما أن التنمية قد قامت أصلاً على الاعتماد على رأس المال الأجنبي فإن كل البنية الاقتصادية والسياسية والثقافية قد وضعت من أجل تشجيع رأس المال الأجنبي على النمو بحجة الاسهام في تحقيق معدلات عالية للنمو وهذا قاد بالتالي إلى أن تتحول التبعية المالية إلى تبعية اقتصادية وبالتالي فقد سيطرت الشركات المتعددة الجنسية على الاستثمار وعلى البنوك الكبرى. وأسفر الاعتماد الكامل على التكنولوجيا المعقدة ذات الرأسمال الكثيف في زيادة التبعية التكنولوجية للبرازيل للشركات المتعددة الجنسية.

٢ - بما أن الهدف الأساسي الذي كانت تسعى إليه الشركات المتعددة الجنسية تحقيق الربح السريع فقد أهملت كل شيء عدا ذلك ومن هنا فإن الصناعات قد تركزت في عدة مدن وأعطيت الأفضلية للصناعات الاستهلاكية ذات المردود الكبير. ولذلك اعتمدت هذه الشركات في جلب التكنولوجيا المتطورة التي لا تحتاج إلا إلى عدد قليل من العمال. وأسفر هذا الوضع في

٣٨,٦ في المائة من مجموع الهجرة من أميركا اللاتينية^(٤٨). ولقد أثّرت ضجة كبيرة في العالم حول نجاح التجربة البرازيلية في التنمية وحول دور العلم والتكنولوجيا في انجاح هذه التجربة. ولقد تميزت هذه التجربة بما يلي^(٤٩):

١ - إعطاء التصنيع أولوية مطلقة: - لأن التصنيع قادر على انتشال الدولة من مهاوي التخلف ولقد اقتصر التصنيع في هذه الدولة باتباع سلعة وسيطة تصدر للخارج حيث يتم استخدامها في انتاج السلع الاستهلاكية كتقنية المعادن أو تركيزها وغزل القطن وكذلك تشجيع الصناعات التجميعية والتي تقوم على استيراد مواد نصف مصنعة أو اجزاء وتركيبها محلياً لتتحول إلى سلعة استهلاكية. وفي مقدمة ذلك الثلاجات وأجهزة صناعة الراديو والسيارات التي اشتهرت بها البرازيل وكذلك مصانع لصناعة الحديد والصلب.

٢ - الاعتماد في التصنيع على رأس المال الأجنبي والعمل على تشجيع القطاع الخاص واشراك الشركات المتعددة الجنسية في عمليات التصنيع وخاصة في الصناعات التي تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة.

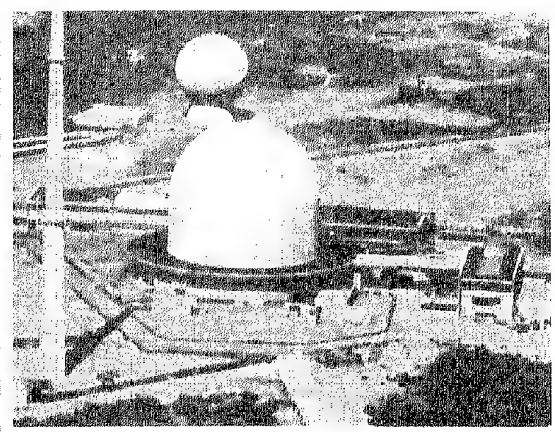
٣ - الاعتماد على استيراد التكنولوجيا. خاصة التكنولوجيا المتقدمة التي تعتمد على الكثافة في رأس المال لأن هدف التنمية البرازيلية تحقيق نمو متسارع للدخل القومي عن طريق زيادة الصادرات إلى السوق الرأسمالية ومن هنا فإن من الضروري أن تكون هذه الصادرات ذات نوعية تضاهي البضائع الأجنبية.

٤ - عدم الاهتمام بتوزيع الدخل القومي بصورة عادلة لأن ذلك لم يكن ليجد التنمية التي كانت تقوم على استيراد تكنولوجيا معقدة باهظة التكاليف والتي تحتاج بدورها إلى موارد مالية ضخمة ولم يكن بالامكان توفير الاستثمارات إلا عن طريق تشجيع قيام رأسمالية محلية مرتبطة رأساً بالسوق الأجنبية. لقد حقق الموديل البرازيلي معدل نمو قدره ٩ في المائة خلال السنوات العشر الماضية وزاد متوسط دخل الفرد بمعدل مقداره ٥,٦ في المائة رغم تزايد السكان بمعدل ٣,٢ في المائة. إلا أن

وأدى ذلك بدوره إلى أن ترصد البرازيل مبالغ طائلة لنمو جيشها من أجل الحد من عمليات نمو المعارضة.

التجربة الهندية:

إن التجربة الهندية لا تختلف في سماتها العامة كثيراً عن التجربة البرازيلية فقد اعتمدت الهند على عدة خطط قومية للتنمية الخمسية مبتدئة من عام ١٩٥١ وبذلك فقد قامت بزيادة عدد المعاهد والكليات لتخرج الاعداد الكافية



المفاعل الهندي يديره هنود وكنديون.

من العلميين والتقنيين الذين ستحتاجهم الخطط الخمسية الثلاث ١٩٥١ - ١٩٥٦، ١٩٥٦ - ١٩٥٦ - ١٩٦١، ١٩٦١ - ١٩٦٦، وقامت الهند بعملية تحديث كبيرة لقطاعها الصناعي بواسطة اتفاقيات عقدها مع الشركات الأجنبية المتعددة الجنسية بحيث بلغ عدد هذه الاتفاقيات ٤ آلاف اتفاقية ما بين ١٩٤٨ - ١٩٧٢ (٥٣) وتم بموجب هذه الاتفاقيات جلب تكنولوجيا متطورة تعتمد على رأس المال الكثيف ولقد أسفرت ٢٠ سنة من الاعتماد على رأس المال الأجنبي والتكنولوجيا المتطورة في عملية تزايد الاستقطاب في المجتمع بحيث أن ١٠ في المائة من السكان يحصلون على ٢٥ في المائة من الدخل في حين أن حصة ٦٠ في المائة من السكان لا تزيد عن ٣٧ في المائة في الدخل. وفي الهند أيضاً شجعت الصناعات الاستهلاكية وأسفر هذا الوضع في زيادة البطالة كنتيجة لاستيراد التكنولوجيا ذات الرأسمال العالي كما تم خلق الاقتصاد المزدوج. لقد ذكرت كثير من الدراسات بأن العلم في الهند في انتعاش ويبدو لأول وهلة وعند قراءة

قيام مراكز حضارية متقدمة أفرادها يرتبطون رأساً بالنمط الاستهلاكي السائد في الدول الرأسمالية وتتركز حول هذه المراكز التجمعات الكبيرة للعاطلين وشبه العاطلين في حين يعيش الريف بعيداً عن هذا الوضع ولا ينتمي إليه وبالتالي سميت هذه الحالة بالاقتصاد المزدوج لأن الاعتماد على الشركات المتعددة الجنسية لن يحقق التنمية المستقلة لأن هذه التنمية تتحدد خارجياً بما تمنحه الدول الأجنبية المختلفة للدول النامية. إن هدف الاستثمارات الأجنبية هو تحقيق الربح ومن هنا رأينا بأن حجم الاستثمارات الجديدة الوافدة على دول العالم الثالث من الخارج عام ١٩٧٣ بلغت ٨ بلايين دولار في حين بلغ حجم الأرباح المحولة ١٤ بليون دولار. لقد أدت التنمية البرازيلية واستيراد التكنولوجيا المعقدة في القضاء على الصناعات الصغيرة والحرفية دون أن تتمكن القطاعات الاقتصادية الجديدة من امتصاص الأيدي العاملة التي كانت تدير الصناعات الصغيرة والسبب في ذلك هو أن التكنولوجيا المستوردة لا تحتاج إلا إلى العدد القليل من العمال. لقد أسفر هذا الوضع في امتصاص الصناعة ١٧ في المائة من مجموع القوى العاملة في حين بقي الريف متخلفاً وازدادت البطالة بشكل كبير. لقد وجد القطاع الصناعي في البرازيل نفسه متوجهاً ومرتبطاً بالخارج لأنه متكامل تماماً مع السوق الرأسمالي وبالتالي فهو غريب عن القطاع التقليدي الذي يضم أكثرية السكان بل هو يرى في هذا القطاع مصدراً لليد العاملة الرخيصة التي تزيد عائداته. لقد تركت التنمية البرازيلية ٥ في المائة من السكان يحصلون على ٢٨,٨ في المائة من الدخل القومي في حين يحصل ٥٠ في المائة من السكان على ١٠,٥ في المائة من الدخل القومي. لقد أسفر هذا الوضع في تباطؤ نمو الدخل القومي علاوة على التضخم الذي بدأ يصدر إلى البرازيل والذي بلغ في حدود ٥٠ في المائة في حين أنه لم يتجاوز ٢٠ في المائة في أسوأ الأحوال في الدول الرأسمالية الكبرى. كما قاد هذا الوضع إلى استقطاب طبقي كبير في المجتمع مما أدى بدوره إلى تفاقم الصراع السياسي والاجتماعي



منظر مالوف في شوارع الهند.

الوضع الشاذ في حين أن الهجرة الداخلية كانت أخطر فإن الكثير من العلماء الهنود والذين كانوا يعملون في الجامعات ومراكز الأبحاث كانوا يرون أنفسهم بعيدين عن عملية التنمية الصناعية لأن بحوثهم لم تكن مفيدة للصناعة وحتى لو كانت مفيدة فإن الصناعة الهندية لم تكن لتعير هؤلاء العلماء أهمية لأنها عندما تحتاج إلى أي شيء فإنها تتقدم إلى الخبراء الأجانب من خارج الهند. لقد دفع هذا الوضع العلماء الهنود للقيام بأبحاث لا تمت إلى عملية التنمية الهندية وهكذا وجدنا الصناعة الهندية ترتبط بالسوق الرأسمالي في حين ارتبط العلم في الهند بحركة العلم في الدول الرأسمالية.

لقد كان هذا الوضع مشابهاً للوضع الذي عاشته المؤسسة العلمية في أميركا اللاتينية لأن معظم الصناعات الكبرى في أميركا اللاتينية كانت تقع ضمن دائرة الشركات المتعددة الجنسية ومن هنا رأينا بأن الدور الذي لعبه العلم في الدول المتقدمة غير ذلك الذي لعبه في الدول النامية ففي حين يلعب العلم دوراً

الأرقام بأن هذا القول صحيح فقد تم زيادة عدد الكوادر العلمية من ١٨٣ ألفاً عام ١٩٥٠ إلى ٢ مليون عام ١٩٧٥^(٥٤) وارتفع عدد الجامعات من ٢٧ عام ١٩٥٠ إلى ١٠٠ عام ١٩٧٥ ويتم بناء ٤٠ مختبر ومركز بحوث تابعة لمجلس البحث العلمي والصناعي وبنت المؤسسة العسكرية ٣٧ مختبر وزاد عدد العلماء إلى أكثر من ١٠٠ ألف غير أن العلماء لم يجدوا لهم مكاناً في ظل التنمية الهندية فمعظم الصناعات الكبرى تم استيرادها من الخارج وهي قائمة على تكنولوجيا متقدمة وتجري عملية تطوير هذه التكنولوجيا من قبل مختبرات الشركات المتعددة الجنسية الموجودة خارج الهند كذلك لم تنشأ مختبرات للبحث والتطوير في هذه المصانع وإذا ما أنشأت فإن العلماء الهنود العاملين فيها كانوا يعملون على تطوير التكنولوجيا الأجنبية لا الهندية وكانت براءات الاختراع لا تسجل باسمهم أو باسم الهند إنما باسم الشركات المتعددة الجنسية التي توظفهم. لذلك فقد كانت هجرة الكفاءات إلى خارج الهند كمؤشر لهذا

استثمارياً في الدول المتقدمة فإنه يلعب دوراً استهلاكياً في الدول النامية^(٥٥). وتذكر دراسة أخرى في أن القطاع الخاص في الدول المتقدمة يساهم بـ ٧٠ في المائة في البحث والتطور في الصناعة في حين أن القطاع الخاص في اميركا اللاتينية يساهم فقط بحدود ٢ في المائة^(٥٦). إن من الواضح بأن هناك انفصلاً ما بين القطاع الانتاجي الصناعي المتقدم والقطاع العلمي وهذا بدوره قد قاد إما إلى هجرة الكفاءات أو إلى أن تأخذ هذه الكفاءات دورها في اسناد حركة المعارضة المتنامية للأنظمة السياسية السائدة في معظم دول اميركا اللاتينية.

إن معظم الدول العربية قد استقلت حديثاً وجميعها كانت محتلة من قبل دول متقدمة. وقد أدى ذلك إلى أن ترتبط الدول العربية بالسوق الرأسمالية العالمية، وهذا بدوره قد أدى إلى تشويه بنية الاقتصاد العربية وجعله أحادي الجانب وتابعاً للسوق العالمية فقد غدت البلاد العربية تشغل بالزراعة والري والصيد والمناجم وتنتج سلعاً ومواد أولية معدة للتصدير إلى الغرب^(٥٧). كما أن المنطقة العربية تتميز بتفاوت في توزيع القوى المنتجة إذ أن حوالي ٧٠ في المائة من الأراضي الزراعية تتواجد في خمسة أقطار هي السودان والمغرب والجزائر وسورية والعراق أما الموارد الطبيعية فهي موزعة أيضاً بصورة متفاوتة ولو أخذنا البترول كمثال لرأينا بأنه يمثل ٨٠ في المائة من الناتج المحلي الاجمالي للكويت والامارات ولا يمثل أية نسبة للأردن. إن الاقطار النفطية وعدد سكانها ٤٠ مليون يمثلون ٢٨ في المائة من مجموع العرب، تسيطر على ٧٠ في المائة من الناتج القومي الاجمالي. أما بالنسبة للقوى المنتجة البشرية فقد ارتفع عدد السكان العرب من ١٠٤ مليون عام ١٩٦٣ حتى بلغ ١٤٢,٨ مليون عام ١٩٧٥ وسيبلغ أكثر من ١٨٤ مليون عام ١٩٨٥. يشكل الريفيون ٦٥ في المائة من مجموع السكان. وإن ثلاثة أقطار عربية وهي مصر والمغرب والعراق تضم ٥١ في المائة من مجموع السكان في حين يوجد ٨,٨ في المائة من جملة السكان في عشرة أقطار عربية. ان هناك تدنياً واضحاً

في نسبة العاملين بالصناعة إذ أن الزراعة والصيد والتعدين قد ساهمت عام ١٩٧٢ بنسبة ٤٥ في المائة من الناتج المحلي في حين احتلت الخدمات المكانة الأولى في توليد الدخل المحلي الاجمالي عام ١٩٧٥ إذ بلغت ٥٠ في المائة وتليها الزراعة ثم الصناعة^(٥٨). ان العالم العربي يقدم ٠,٤ في المائة من الانتاج الصناعي العالمي ولا يقدم إلا ٦ في المائة من مجمل الانتاج الصناعي للدول النامية. أما الصادرات الصناعية العربية فلم تتجاوز ٠,٣ في المائة من إجمالي الصادرات العالمية و٥,٤ في المائة من إجمالي الصادرات الصناعية في البلدان المتخلفة ويتصف هيكل الصناعة العربية بمساهمة عالية للصناعات الاستهلاكية إذ تبلغ ٦١ في المائة.

ان هذه الأرقام لتبين أن معظم الدول العربية تعتمد على توفير الأنماط الاستهلاكية ونتيجة عمليات التصنيع التي تمت في تجمعات محددة حول المدن الرئيسية نشأ قطاعان الأول يمثل سوق السلع التقليدية حيث يتمثل الطلب في مشتري أصحاب دخل منخفض ويتمثل العرض بالنسبة لهم في منتجات الزراعة والحرف وهناك من جانب آخر سوق السلع الحديثة حيث ينبع الطلب من أصحاب الدخل المرتفع وحيث يشكل العرض من منتجات الصناعة الحديثة أو من الواردات المصنوعة وتبدو السوقان منعزلتين تقريباً^(٥٩).

إن هذه الصورة لتوضح أن معظم الاقطار تقوم بالتنمية بصورة منفردة وهذا يعزز ارتباطها وتبعيتها للسوق الرأسمالية العالمية. في حين ان هناك امكانية كاملة لكي تتحرك المنطقة العربية كوحدة واحدة وهذا يعزز من تكاملها الاقتصادي ويقلل ارتباطها بالسوق العالمية وان على الأمة العربية أن تتخذ قرارها بأسرع وقت وبدون ذلك فإن أنماط التنمية في المنطقة العربية ستكون متطابقة مع أنماط التنمية في اميركا اللاتينية ونحن نرى الكثير من هذه المؤشرات والتي ذكرناها عن البرازيل والهند تبدو واضحة في الكثير من الدول العربية.

إن الكثير من الدول العربية تقوم الآن بعمليات تصنيع كبيرة وفي هذا المجال فإن هذه

الدول تقوم باستيراد التكنولوجيا الجاهزة والمعقدة في كثير من الأحيان. وكما تدلل الدراسات في هذا المجال فإن معظم الشركات الأجنبية العاملة في الدول العربية في منطقة الأكو تقوم بتقديم التكنولوجيا المطلوبة وإدارة المشاريع الصناعية عدا لبنان وسورية والعراق والأردن^(٦١). كما يتزايد اعتماد الدول العربية على التكنولوجيا الغربية. أن نمط الاستهلاك كثير من الدول العربية يشابه نمط الاستهلاك الغربي وهناك تزايد في استيراد المكائن ومعدات النقل لكل المنطقة العربية حتى أنه بلغ لمنطقة الأكو عام ١٩٧٥ في حدود ٨ بلايين دولار^(٦٢).

إن التكنولوجيا المستوردة تأتي بصورة متكاملة (Turnkey Projects) لذلك فلا تجري أية محاولات لتطوير التكنولوجيا إلا في قطاع الزراعة ومعظم المشاريع الصناعية المقامة تفتقر إلى وحدات للبحث والتطوير لذلك لا يوجد طلب على مراكز البحث والجامعات حتى أنه يجري في كثير من الأحيان الاعتماد على الشركات الأجنبية لحل مسائل هندسية يمكن حلها بسهولة من قبل الكوادر الوطنية داخل الدول العربية^(٦٣).

أما بالنسبة للوضع التعليمي والعلمي في الأقطار العربية فإن هذه الأقطار قد توارثت الأجهزة التعليمية من أيام الاحتلال ولم تجر إلا محاولات قليلة في بعض الدول العربية لتغيير المناهج التعليمية بشكل يخدم عملية التنمية في القطر. كما أن هناك غياباً شبه كامل للتعليم التكنولوجي في المراحل التعليمية الأولية وإذا ما أخذنا نسب التلاميذ حسب الاختصاص في الدول العربية لرأينا أغلبية الاختصاصات انسانية بشكل واضح^(٦٤).

نسبة توزع الطلبة على الاختصاصات عام ١٩٧٣

العلوم الاجتماعية والانسانية	٦٤٪
العلوم الطبيعية	٧,٥
العلوم الهندسية	١٠
العلوم الطبية	١٠,٥
الزراعية	٨

ويعكس هذا الوضع تخلف الدول العربية في تحقيق الهدف الذي وضعتة الخطة العالمية للعمل من أجل تطبيق العلم والتكنولوجيا وهو أن يكون هنالك ٢٠٠ عالم/ مهندس يعملون بالبحث والتطوير لكل مليون نسمة من السكان نهاية ١٩٨٠^(٦٥). فبلغت في العراق والكويت ومصر ولبنان وتونس أكثر من ١٠٠ في حين بلغت في ليبيا ٢٤ وأقل من ٢٠ في الجزائر^(٦٥). أما نسبة التقنيين لكل عالم ومهندس فقد بلغت في الدول العربية ٠,٥ إلى ١ في حين أن النسبة في افريقيا هي ١,٣ إلى واحد وفي اميركا اللاتينية ٢,٤ إلى ١ وفي الدول المتقدمة ١,٨ إلى واحد^(٦٦).

وهذه نسبة منخفضة جداً إذا ما علمنا بأن التقنيين هم أساس أية تنمية تكنولوجية وعلمية. لقد سجلت احصائيات الدول العربية وجود نسبة كبيرة من العلماء والمهندسين في البحرين و ٨٠ في المائة في الكويت و ٧٨,٥ في المائة في ليبيا و ٩٠ في المائة في قطر. أما نسبة الأجانب من التقنيين فهم ٣٥ في المائة في البحرين و ٨٠ في المائة في الكويت و ٧٦ في المائة في قطر. أما نسبة العلماء العاملين في البحث والتطوير من مجموع العلماء في الدول العربية فيبينها الجدول التالي^(٦٥).

العلماء والمهندسون والتقنيون العاملون في البحث والتطوير كنسبة من المجموع

القطر	نسبة العلماء والمهندسين	نسبة التقنيين
مصر	٢٪	—
العراق	٣,٦	١,٥
الأردن	٣,٥	٣,٤
الكويت	١,٥	٠,٥
ليبيا	٠,٦	١,٤
السودان	١,٨	٨,٠
اليمن	٤,٥	٧,٣

إن هذه النسبة منخفضة أيضاً حيث تبلغ في الدول المتقدمة ١٠ — ١٥ في المائة. إن نسبة

النسبة في حدود ٢٠ في المائة. لقد حددت الأمم المتحدة هدفاً للدول النامية بالنسبة للانفاق على البحث والتطوير بحيث تبلغ ٠,٥ في المائة وإذا ما أضيفت إليها الخدمات العلمية فإن النسبة يجب أن تصل إلى ١ في المائة. ومن الملاحظ أن دولة واحدة وهي مصر قد اقتربت من هذا الهدف.

أما الدول الأخرى فإن الجدول التالي يبين الانفاق فيها^(٦٧):

العلماء والتقنيين العاملين في البحث والتطوير في القطاع الانتاجي تبلغ في حدود ٤٣,٤ في المائة من العلماء و٤٧ في المائة من التقنيين عدا السودان حيث تبلغ النسبة ٠,٤ في المائة ولبنان حيث تبلغ النسبة ١٣,٣ في المائة. إلا أن معظم الأبحاث التي تجريها هذه المجموعة من العلماء هي التي لا تستفيد منها الصناعة (Non Integrated R & D) أما نسبة العلماء المهندسين العاملين في البحث والتطوير في قطاع التعليم فهي ٣٣,٤ في المائة وفي الخدمات العامة تبلغ

الانفاق في حقل الأبحاث والائناء في بعض بلدان غربي آسيا ١٩٧٣			
البلد	النسبة المئوية من الدخل القومي	المتوسط السنوي للانفاق للفرد (دولار)	المتوسط السنوي للانفاق للفرد من السكان (دولار)
العراق	٠,٢٥	١٦٨٤٠	٢,٣
الأردن	٠,٣١	١٥٣٩٠	١,١
الكويت	٠,٠١	١٧١٠٠	٠,٨
لبنان	٠,٤٠	٢٢٤٠٠	٢,٤
اليمن	٠,٢٥	٣٥٢٧٠	٠,٣

إن الانفاق في حقل الأبحاث والائناء للفرد من السكان في الدول المتقدمة يبلغ ما بين ٣٠ - ١٠٠ دولار.

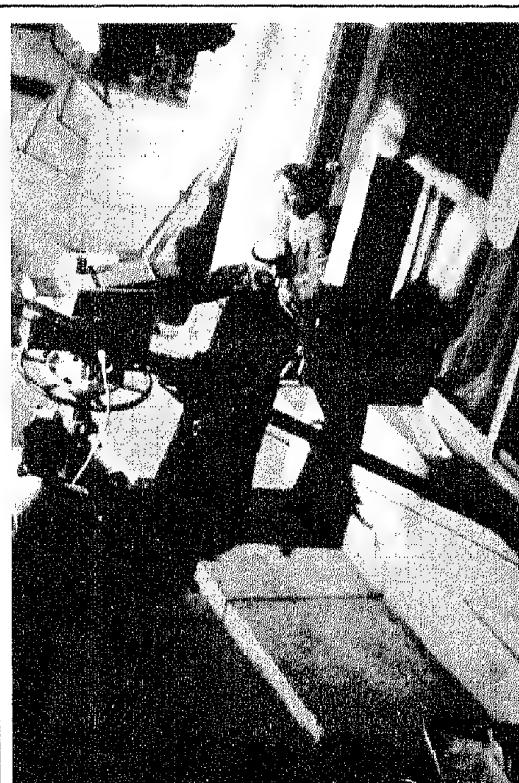
الاستنتاجات:

١ - إن نسبة هجرة الكفاءات العربية إلى أميركا وكندا إلى نسبة الهجرة العالمية للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٢ بلغت ٩ في المائة، وهذه النسبة تفوق حوالي المرتين مجموع الهجرة الافريقية الكلية إلى الدول المتقدمة.

٢ - إن معظم الهجرة تتركز في الاختصاصات العلمية التي تحتاج إليها المنطقة في التنمية وهي تبلغ ٩٦,٣ في المائة للاختصاصات الطبيعية والطبية والهندسية.

٣ - إن نسبة كبيرة من خريجي الكليات هم من الاختصاصات الانسانية وتبلغ ٦٠ في المائة في حين أن النسبة معكوسة في الدول المتقدمة.

٤ - إن المؤشرات للنسبة العلمية سواء بعدد العلماء أو بنسبة العلماء إلى التقنيين أو



«العائدون» مشرفون مميزون

نسبة الانفاق على البحث هي منخفضة جداً حتى بالمقارنة مع الدول النامية.

ولقد انعكس هذا الوضع في قلة البحوث التي تنتج في المنطقة العربية وعدم تسجيل براءات اختراع بالنسبة للكوادر الوطنية إلا مآندر وهذا يعكس نفسه في الاعتماد الكامل على الخبراء الأجانب.

٥ - إن استيراد التكنولوجيا الجاهزة والمعقدة كما هو الحال بالنسبة للكثير من الدول العربية لن يترك المجال للكفاءات العربية في المشاركة في تطوير وتطوير التكنولوجيا.

٦ - إن الاقتصاد العربي هو اقتصاد أحادي الجانب يعتمد بالدرجة الأولى والرئيسية على تصدير المواد الأولية أو الاستخراجية وإن نسبة مساهمة الصناعة العربية كما رأينا إلى مجموع الانتاج العالمي وإلى مجموع انتاج الدول النامية قليل جداً بالرغم من وجود الامكانات العربية الكبيرة والتي لو استغلت بشكل صحيح لتغيرت الصورة بدرجة ملموسة. علاوة على أن التنمية في الدول العربية تتم في كثير من الأحيان بالارتباط بالسوق العالمي لا الارتباط بالسوق العربية.

٧ - إن معدلات التنمية الكبيرة التي تذكرها بعض الدول العربية لاتعبر عن واقع الأمر إذ أن التنمية التي تخلق طبقة صغيرة مرفهة على حساب مجموع السكان وتخلق اقتصاداً مزدوجاً لا يمكن أن تعتبر تنمية صحيحة ومن هنا رأينا بأن دولاً كالبرازيل قد سجلت معدلات تنمية كبيرة غير أن واقعها كان يعبر عن صورة غير صحيحة.

٨ - إن معظم الانفاق على الأبحاث والتطوير قد انتج أبحاثاً غير أن هذه الأبحاث لم تساهم في تطوير العمليات الانتاجية.

٩ - لقد رأينا بأن الهجرة تعتمد على عوامل دفع وجذب ففي الوقت الذي تزيد فيه العوامل الاقتصادية والسياسية قوة دفع الكفاءة للهجرة فإن التلازم الاجتماعي القوي في المجتمعات العربية يدفع المهاجر كما ذكرنا للرجوع. إلا أن التنمية الحالية قد بدأت تغير من العادات الاجتماعية وبدأت الهجرة وعملية التصنيع تعملان بسرعة لتفكك العائلة والروابط

الاجتماعية^(١). وهذا يعني بأن أحد عوامل الجذب الرئيسية للعودة للوطن قد أصبح ضعيفاً ومن هنا تأتي المؤشرات المذكورة في دراسات الأمم المتحدة لتؤكد بأن كمية العائدين إلى الدول العربية هي أقل من افريقيا وأميركا اللاتينية.

١٠ - إن معظم الدول العربية تفتقر إلى أجهزة للتخطيط للعلم والتكنولوجيا مما يؤدي إلى زيادة بعثرة جهود الكفاءات العلمية وعدم وضعها في الأماكن المناسبة وضياع التعاون ما بين القطاعات الانتاجية والخدمية في الدولة. بل إن معظم الدول العربية لم تجر فيها عملية احصاء الكوادر العلمية والتقنية.

١١ - إن معظم الدول العربية تقوم بزيادة عدد خريجيهها وبصورة غير مدروسة وغير متوازنة مع نمو القطاعات الأخرى، بحيث أن معظم الاختصاصات هي انسانية واجتماعية وهذا سيؤدي إلى نقص في بعض الاختصاصات وزيادة في الاختصاصات الأخرى.

١٢ - إن استمرار الحالة التي ذكرت في هذا البحث ستؤدي بلا شك إلى زيادة هجرة الكفاءات العربية إلى خارج المنطقة العربية علاوة على أن هذا الوضع سيؤدي إلى تزايد الهجرة الداخلية والتي تعني غياب مساهمة الكفاءات العربية في عملية ترشيد التنمية وتوطين التكنولوجيا.

١٣ - إن أكثر الدراسات التي جرت في الدول العربية قد فسرت أسباب الهجرة بالعوامل المادية الاقتصادية ومن هنا فإن معظم القوانين التي شجعت الكفاءات للعودة قد ركزت بصورة رئيسية على البحوث المادية. ورغم أهمية العوامل الاقتصادية إلا أنها لاتستطيع أن تفسر هجرة الكثير من الكفاءات، والتي تجري في بعض الدول العربية والتنمية رغم أن الدخل المادي للمهاجر في البلد النامي يعادل الدخل في الدولة المتقدمة. ●

الهوامش

(١) Mrs Foretta Makasiar Sicut, UNCTAD. TD/B/C. 6/AC. 4/5, Reverse Transfer of Technology 27 Feb. 1978.

- (٣٩) نفس المصدر.
E/4820 June 1970. (٤٠)
- (٤١) نفس المصدر السابق.
(٤٢) نفس المصدر السابق.
UNITAR, Page 36, The Brain Drain. (٤٣)
- (٤٤) سلمان رشيد سلمان ومثنى أكرم، خطة العلم والتكنولوجيا، بحث مقدم إلى الندوة القطرية حول دور العلم والتكنولوجيا في التنمية القومية، بغداد ٢٧ - ٢٩ حزيران ١٩٧٨.
UNITAR, Brain Drain Page 37. (٤٥)
- (٤٦) World Plan of Action, United Nations, New York. 1971.
E.F. Schumacher, Small is Beautiful, ARACUS, 1 1973. (٤٧)
- (٤٨) سلمان رشيد ومثنى أكرم، خطة العلم والتكنولوجيا.
(٤٩) د. اسماعيل صبري، ص ١٦٨.
(٥٠) نفس المصدر، ص ٨٠.
TD/B/C.6/7 Oct. 1975. (٥١)
- (٥٢) TD/B/C.6/AC. 4/5 Dec. 1977.
Amulyn. H.N.Reddy. Sience Today (٥٣) Journal page 14, Jan. 1974, India.
TD/B/C.6/AC. 4/6 Dec 1977. (٥٤)
- (٥٥) Charles Cooper, Science, Technology and Development, Frank Cass, London 1973.
Amilcar Herrera, Science, Technology and Development, Frank Cass, London 1973. (٥٦)
- (٥٧) د. فؤاد حرب، أزمة التنمية الاقتصادية العربية، ص ١٢ النفط والتنمية، ١٩٧٩.
(٥٨) نفس المصدر، ص ١٥.
(٥٩) نفس المصدر، ص ٢٠.
R. Van Der. Graaf, Technology Transfer and change in the Arab World, edited by A.B. Zahlan, Pergamon Press, Oxford, 1978. (٦٠)
- (٦١) نفس المصدر.
(٦٢) نفس المصدر.
(٦٣) Statistics on Scientific and Technological Manpowers and Expenditure for Research and Experimental Development in Arab countries, SC/76-Castarab/1, Unesco 1976.
(٦٤) نفس المصدر.
(٦٥) نفس المصدر.
(٦٦) نفس المصدر.
E/ECWA/50 March 1977. (٦٧)
- (٦٨) التحضر في الوطن العربي.
(٢) S.M. Naseem, UNCTAD, TD/B/C. 6/AC. 4/3.
(٣) Marga Institute, TD/B/C. 6/AC 4.4.
(٤) UNCTAD TD/B.C.6/AC 4/6.
(٥) د. فائق عبدالرسول، النظام الاقتصادي الدولي الجديد، منشورات النفط والتنمية ١٩٧٩.
(٦) د. جعفر عبدالغني، حول نقل التكنولوجيا، ندوة نقل التكنولوجيا، بغداد ١٩٧٦.
(٧) سلمان رشيد، آفاق عربية، آذار ١٩٧٩.
(٨) E/ECWA/50 March 1977.
(٩) UNCTAD, TD/B/AC, 11/10/Rev 1.
(١٠) UNCTAD/TT/9, 1978.
(١١) د. اسماعيل صبري عبدالله، نحو نظام اقتصادي عالمي جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.
(١٢) Science Today, March 1969, Indian.
(١٣) UNCTAD, TD/B/C.6/7 13 October 1975.
(١٤) UNCTAD, TD/B/C.6/AC. 4/8. Feb. 1978.
(١٥) UNCTAD, TD/B/C.6/AC. 4/6. Dec 1977.
(١٦) UNCTAD, TD/B/C.6/AC. 4/5 Dec 1977.
(١٧) UNCTAD, TD/B/C.6/AC. 4/4 Dec 1977.
(١٨) UNCTAD, TD/B/C.6/7 13 Oct 1975.
(١٩) نفس المصدر السابق.
(٢٠) د. الياس زين، هجرة الأدمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢.
(٢١) UNCTAD, TD/B/C.6/7 October 1975.
(٢٢) E/4820 June 1970.
(٢٣) نفس المصدر السابق.
(٢٤) نفس المصدر السابق.
(٢٥) مدحت أيوب، يونيو ١٩٧٥، ليبيا.
(٢٦) نفس المصدر السابق.
(٢٧) UNITAR, Research report No. 22 By William Glaser, The Brain Drain, Pergamon Press, 1978.
(٢٨) E/4820 June 1970.
(٢٩) TD/B/C.6/AC. 4/5 Dec., 1977.
(٣٠) E/4820 June 1970.
(٣١) UNITAR, The Brain Drain, 1978.
(٣٢) التحضر في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ٢٩٧، الجزء الأول ١٩٧٨.
(٣٣) وداد يونس يحيى، ص ٩٨، النفط والتنمية، آذار ١٩٧٩.
(٣٤) E/4820 June 1970.
(٣٥) UNITAR, The Brain Drain, 1978.
(٣٦) نفس المصدر السابق.
(٣٧) سلمان رشيد، الطليعة، سبتمبر ١٩٧٣، القاهرة.
(٣٨) UNITAR, The Brain Drain, 1978.

الفكر الاجتماعي عند



يَـان مَاريـك

اقبال

احتفلت المحافل العلمية خلال عام ١٩٧٧ بمرور مائة عام على مولد الدكتور السير محمد اقبال (١٨٧٧ - ١٩٣٧)، الشاعر الفيلسوف المسلم الشهير، المولود في شبه القارة الهندية، والذي يعد بدون شك واحداً من أعظم الشخصيات الأدبية في هذا القرن. وقد اعتبر اقبال وهو على قيد الحياة أعظم شعراء الهند المسلمين وذلك لجمال شعره وعذوبته ولأهمية رسالته، وكذلك أيضاً لتأثير أفكاره على مجريات الأمور.

ونكرس هذه المقالة لدراسة نسق فكره الاجتماعي، حقيقة لم يقدم اقبال نسقاً محكماً لفلسفة اجتماعية ولم يخصص أياً من كتبه ليقدم مفهوماً لفلسفة التاريخ، ولكن يمكن النظر الى اقبال كشاعر سياسي بالمعنى العريض قضيته هي الانسان ككائن اجتماعي.



يمكن ارجاع الفكر الاجتماعي عند محمد اقبال الى ثلاثة آفاق مختلفة: الأفكار الفلسفية الهندية كما جاءت في «الفيدانتا» (Vedanta) وقد غلفتها التعاليم الاسلامية التي جاءت في القرآن وفي التصوف الفارسي - العربي. وقد انصهرت هذه جميعاً بالفلسفة الأوروبية خاصة عند برجسون ونييتشه.

ومن الناحية الشكلية يمكن القول: ان اقبال قد استخدم ثلاث لغات مختلفة لنقل هذه المجالات الثلاثة من الفكر، فكتب قصائد المناسبات القصيرة في اللغة الأردية وهي لغة شمال الهند واللغة الرسمية للباكستان، وكتب آراءه الفلسفية في لغة فارسية عذبة، أما نثره الرفيع فقد وضعه في اللغة الانجليزية. وما كتبه اقبال في اللغة الأردية جعله في رأي معظم النقاد أعظم شاعر في هذا القرن. وبواسطة اللغة الأردية كان يخاطب الجمهور الهندي البسيط، ويعبر عن أفكاره الأساسية التي كان يكتبها باللغة الفارسية، في ايجاز وبطريقة مؤثرة. وكانت لغة اقبال الفارسية تختلف عن لغة التخاطب المعاصرة في إيران، فقد كان يستخدم اللغة الفارسية القديمة التي قدمت الى الهند منذ عدة قرون مضت. أما اللغة الانجليزية فقد كانت بالنسبة اليه الوسيط الذي يمكنه الاتصال بالعالم الخارجي وبأوروبا على وجه الخصوص. وكان اقبال يتميز بمعرفة العديد من اللغات معرفة ممتازة، فبالإضافة الى لغته البنجابية البسيطة كان يتقن ما لا يقل عن خمس لغات آخر.

وقد بدأ اقبال الكتابة باللغة الأردية، وبواسطتها صنع جمهوراً له من أهالي الأقاليم الوسطى والأقاليم الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية التي كانت خاضعة للاحتلال الانجليزي في ذلك الوقت. ولكن سرعان ما أحس اقبال بالحاجة الشديدة الى نقل رسالته ومعتقداته وإيمانه بقدرات الانسان غير المحدودة الى الجماهير الأخرى خاصة الى مسلمي الشرق، ولهذا اختار اقبال اللغة الفارسية كلغة غنية من حيث المفردات وقادرة على نقل الظلال الرقيقة لفكر وأحاسيس الانسان، ووضع بها

شعره. وفي الحقيقة ففكرة امكانات الانسان غير المحدودة، ومدخله العالمي الانساني في البحث عن الانسان الكامل الذي يجمع قدرات الانسان الابداعية في نسق واحد متألف، كل ذلك يبين أن شعره لا يمكن أن يكون قاصراً على بلد واحد أو دين واحد.

لقد عرف اقبال طريقه الى الشعر في وقت كانت تنتشر فيه حركة عليكرة بين المسلمين في شبه القارة الهندية، وكانت تحمل لواءها الطبقة المتوسطة من المسلمين من أجل نهضة حضارية اسلامية. وكان هدف مؤسس هذه الحركة السير سيد أحمد خان تحرير المسلمين الخاضعين للاستعمار الانجليزي في الهند من أحاسيس العدمية واليأس واللامبالاة التي سقطوا فيها بعد انهيار الامبراطورية المغولية، وبعد فشل حركة التمرد.

وفي بواكير هذا القرن رحل اقبال الى انجلترا في الوقت الذي كان فيه حكم الملكة فيكتوريا الطويل يقترب من نهايته. وأتيحت له فرصة التعرف على المدرسة الهيجيلية الحديثة الانجليزية، ولكنه كان متأثراً بمقولات نيتشه عن السبرمان وبتعاليمه عن التطور الانساني قبل معرفته لهيجل. ومهما يكن من أمر فقد كان لشعر التصوف الايراني وتعاليم مذهب وحدة الوجود الأثر الأكبر عليه. عندما رجع اقبال الى الهند كانت معظم البلدان الاسلامية تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي، وكان لهذه الحقيقة أثر كبير عليه، جعلته يغير مضامين شعره تغييراً كاملاً. وبدأ يناقش بفكرة الدولة الاسلامية التي توحد المسلمين، فمواجهة الاستعمار الامبريالي أضحت ضرورة ملحة، فهجر الغنائيات الوصفية وكرس نفسه تماماً للحركة الاسلامية. وسعى اقبال الى بعث الحياة في تعاليم الاسلام الأساسية من الوجهة الفلسفية مؤكداً على أن القوة الحيوية للإسلام قد أفسدت بتأثير الفكر الفلسفي اليوناني، وخاصة فكرة أفلاطون الذي غير من فلسفة الاسلام في النظرة الى الحياة وحولها الى مصالح سلبية واستسلام للقدر.

وكان وضع المسلمين الاجتماعي في الهند يتطلب منهم النضال لاكتساب حقوقهم ولهذا سعى اقبال الى تخليص الفكر الديني الاسلامي

منفرداً في هذا النهج عندما التزم بالدين في تفكيره فجميع الساسة والقادة الروحيين وضعوا خططهم في مواجهة الاستعمار في صورة تتلاءم مع التقاليد والمسلمات الدينية لبلدانهم. فالالتزام بالتعاليم الدينية التقليدية يقف كرمز لعظمة ومجد الحضارة القديمة التي سبقت السيطرة الاستعمارية، ويفيد كرمز للعزة القومية والتميز.

وأصطبغ فكر حركة التحرر القومي بالدين، تفرضه طبيعة قيادتها، التي تنتمي الى فئات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التي تميل بشدة الى النزاعات الدينية المثالية، فيؤكد مفكروها أن النزعات المادية التي أصبحت تسيطر على الحياة في الغرب، عليها أن تفسح مكانها للقيم الروحية التي تتجلى في أكمل صورها في الدين.

وأيضاً كان الأمر فإن الدين الذي يبشر بالتقشف والانقياد السلبي للوضع القائم لا يتلاءم مع دعاوى دعاة التجديد الذين ينادون بتغيير الوضع القائم والنضال من أجل اصلاحه. كان اقبال واحداً من هؤلاء فطوال حياته كان يؤكد على الحاجة الى المشاركة الابداعية، وكان يرحب بكل دفعة وبكل تغير، وجعل يبصر الناس بمخاطر الاستسلام والاسترخاء والقناعة. وكان التغير يتمثل بالنسبة اليه في «الموجة» (وهذه الاستعارة تتردد كثيراً في أشعاره)، فالموجة تتواجد لفترة من الزمان قليل أن ترحل ولكنها اذا توقفت عن الحركة تلاشى وجودها.

وأبعاد فلسفة اقبال الاجتماعية تتلخص في البحث عن الانسان. وهدفه الأساسي في فلسفته هو أن يطلق قدرات الانسان غير المحدودة وأن يوجه الى عالم أرحب مليء بالحياة، وسعى في أشعاره كي يوضح طريق الوصول الى هذا المستوى الرفيع من الانسانية. وكان اقبال يؤمن بأن الانسانية في مقدورها أن تخلق مجتمعاً مثالياً يتكون في مجموعة من ذوات أو شخصيات متطورة. وفي الطريق الى تطور الشخصية ميز اقبال بين ثلاث مراتب من التطور: اولها طاعة القانون، وثانيها ضبط النفس (وهو أعلى مراتب النضج بالنسبة



محمد اقبال في لندن سنة ١٩٣١ في طريقه الى قصر باكنجهام

من شوائب الفلسفة اليونانية. ولكن هذه المحاولة أدت أيضاً بالضرورة الى رفض التراث الصوفي الفارسي كله، لأن الصوفية الايرانية قد تأثرت بفلسفة أفلاطون قدر تأثرها بفلسفة الفيدانثا الهندية، وكلاهما لا يتماشى مع فاعلية التعاليم الاسلامية في تشكيل الحياة كما وردت في القرآن وكتابات المسلمين الثقا. وهذه التعاليم القرآنية التي تؤمن بضرورة التفاعل مع الحياة والتي تضع الانسان في مرتبة عليا في هذا العالم وتؤمن بقدراته غير المحدودة كانت بمثابة مبادئ ضرورية عند الطبقة التي كان اقبال جزءاً منها. فقد كان على المسلمين أن يبرهنوا على أنه في مقدورهم الاعتماد على أنفسهم، فبهذه الطريقة وحدها يكون في مقدورهم الاستمرار في الحياة.

وجاءت دعوة اقبال للمشاركة في فترة بدأ فيها الشعب الهندي النضال من أجل التحرر من نير الاستعمار. وأخذت دعوة التحرر من الاستعمار شكل الدعوة الدينية، ولم يكن اقبال

للشخصية)، وثالثتها التمسك بالقيم الدينية المقدسة.

وأطلق اقبال على أعلى مراتب الكمال بالنسبة للذات (الايجو) لفظ «النائب» أو نيابة الله على الأرض. والوصول الى هذه الحالة يعني بالنسبة له تحقيق هدف الانسانية الأعظم. ويصف اقبال حالة «النيابة» (نائب) أو تكامل الذات أو نيابة الله على الأرض، قائلاً أنها الحالة التي تمتزج فيها أعلى مراتب المعرفة والادراك بأعظم وأقوى الدوافع البشرية.

ويعتبر اقبال الفرد المثالي غير منعزل عن بقية أفراد المجتمع ولكنه مكمل له. وفي كتابه أسرار خودي (أسرار الذات) يقول:

«الفرد يتواجد فقط كجزء من مجتمع، أما وحده (بمفرده) لا يساوي شيئاً».

كان اقبال يؤمن بأن الانسان في مقدوره أن يحقق ذاته ويطور قدراته بواسطة الآخرين فقط ومن خلالهم، ويرى أيضاً أن تتوفر في المجتمع شروط معينة هي أن تكون له قاعدة روحية مستوحاة من مبدأ التوحيد في الاسلام، وأن يكون له قائد تلتف الجماهير حوله (النبي محمد)، وأن يكون له كتاب مقدس (قرآن)، وكعبة يحج اليها (مكة)، وأن يكون له تقاليد وأعراف تحفظ له الاستقرار. وأخيراً فالمجتمع المثالي يجب أن يتخذ العلم منهجاً له فمن خلاله وبواسطة يستطيع السيطرة على قوى الطبيعة.

ويرى اقبال أن المجتمع المثالي المحكوم بمبادئ القرآن يوفر الظروف المناسبة كي يحقق الفرد المثالي ذاته ويطورها. فيتسم هذا المجتمع في المحل الأول بالحرية، فلا يوجد به أي شكل من أشكال العبودية أو الاستغلال في الشؤون الاقتصادية أو السياسية. ولا توجد به قيود تحد من قدرات الفرد الابداعية وتعوقه عن التطور. فالقدرات الانسانية لاتنمو أو تتحقق الا في ظروف وأوضاع تتميز بالحرية وهذه هي الفكرة الملحة في الجزء المسمى «بندكي نامه» (أي «كتاب العبودية») من مؤلف اقبال «زبور عجم».

ولم يقدم اقبال تصوراً لشكل الحكومة في هذا المجتمع المثالي، ولكنه على العكس من ذلك في كتابه «تجديد الفكر الديني» أوضح أن

«الدولة... هي مسعى لتحويل هذه المبادئ المثالية الى حقائق ملموسة في محاولة لتحقيقها من خلال نظام انساني محدد، وبهذا المفهوم وحده تكون الدولة في الاسلام دينية، وليست بالمفهوم القائل انها محكومة بممثل الله على الأرض...» (تجديد ١٥٥).

ولأسباب مماثلة أخرى تبني اقبال الشكل الجمهوري للحكم. وفي كتابه «تجديد الفكر الديني» يقول: «الشكل الجمهوري للحكم لا يتوافق تماماً فحسب مع روح الاسلام، وانما قد أصبح بمثابة ضرورة للقوى الجديدة التي قد استخلصت حريتها في البلدان الاسلامية». (تجديد ١٥٧).

كان اقبال يؤمن بأن المبادئ الاساسية للمجتمع النموذجي تتمثل في طهارة ونقاء التعاليم الاسلامية التي تتجسد فيها فكرة الاخاء والمساواة لكل البشر والتي ترفض كل أشكال الظلم الاجتماعي. وكتب في كتابه «جاويد نامه» يقول:

«ما هو القرآن؟ هو حكم بالموت على الانسان المتكبر، واغاثة للعبد المعدم الجائع». (جاويد ١٤٦٣/٤) ورفض اقبال فكرة التعصب للقومية لأنها تشوه الاحساس بالاخاء، وتزرع بذور الحرب، وميز بين القومية والوطنية التي قد تخدم أهدافاً نبيلة. وكتب اقبال في أحد خطاباته: «ان الوطنية فضيلة طبيعية حسنة، ولها مكانة بين القيم الخلقية للإنسان، على أن ما يهم الانسان حقيقة بالدرجة الاولى هو ايمانه وحضارته وتقاليدته التاريخية. فهذه هي الاشياء التي تستحق في رأيي أن يحيا وأن يموت من أجلها الانسان وليس من أجل قطعة من الأرض تتحد بها روح الانسان الى حين».

كان اقبال دائماً يتخذ موقفاً متشدداً ضد التمييز العنصري وقد عبر عن رأيه القاطع في هذه القضية بهذه الكلمات..

«كل من يدعو الى التفرقة بين البشر بسبب اللون أو الجنس سوف يهلك».

أو كما كتب في كتابه «رسالة الشرق».

لا تقولوا أفغانين أو أتراك أو أبناء التتار
فنحن أبناء حديقة واحدة وأرومة واحدة
نحن جميعاً أبناء ربيع واحد



لوحة لكتاب اقبال «جاويد نامه» للفنان صادق

وقد أوضح اقبال في كتاباته النثرية موقفه من التمييز العنصري، ففي مقالة من مقالاته يكتب:

«يعارض الدين الاسلامي بشدة فكرة التفوق العنصري ويعتبرها أكبر عقبة في طريق التعاون العالمي والوحدة بين الشعوب. ان الدين الاسلامي والتمييز العنصري متناقضان تماماً. وفكرة التفوق العنصري هي أكبر عدو للجنس البشري وعلى كل من يقف في صف الجنس البشري أن يقف بحزم ضد مروجي هذه الفكرة».

وتزايد كره اقبال للتمييز العنصري وازدياد احتقاره للقوى الأوروبية الغربية التي تسانده، عندما قامت ايطاليا الفاشية بغزو أثيوبيا في عام ١٩٣٦. وفي كتابه الموضوع بالفارسية تحت اسم «بس جه بايد كرد أي أقوم شرق» «ماينبغي أن نعمل يا أمم الشرق»، عبر اقبال عن سخطه العميق على تصرفات الحكام الايطاليين. وفي صفحات عديدة من هذا الكتاب عبر عن ايمانه بأنه من الضروري وضع نهاية للإمبريالية — هذا النظام الذي سمح بارتكاب مثل هذه الجرائم دون عقاب. وأدان بشدة

أيضاً مسلك الدولة الأوروبية الآخر في التباطوء في وقف العدوان على أثيوبيا والاكتفاء بادانته في عصبية الأمم وفرض بعض العقوبات على ايطاليا. وطبقاً لرأيه فإن الدول الأوروبية في عصبية الأمم فضلت أن تسائر ايطاليا، وتتيح لها فرصة غزو أثيوبيا كي تشاركها في الغنائم فيما بعد.

وبقدر كاف من الفطنة السياسية لإدراك مغزى هذه الأحداث المحزنة، أخذ اقبال يثير المسلمين في الهند للاتعاظ من مأساة أثيوبيا، فقد تبين له أنه لايرجى خير من عصبية الأمم أو من الدول الممثلة فيها الذين شبههم بأنهم «ناهيو القبور».

وكان اقبال يرى أن النظام الاستعماري الذي أتاح للدول المتقدمة أن تقمع الدول الأقل تطوراً يمثل انتهاكاً صارخاً للعدالة، فادانة النزعات الاستعمارية التوسعية يتردد في شعره في هذه الفترة من عام ١٩٣٤، وكتب اقبال قائلاً:

دولة ترعى في مراعي دولة أخرى
ودولة تزرع الحب الذي يحصده غيرها.
وتعلمنا الفلسفة أن الخبز يسرق من يد
الضعيف



رسوم لاشعار اقبال الاردية

الاستعمار في وقت سابق على موسوليني — بقدر ادانته لديكتاتور ايطاليا الفاشي نفسه. «فالدوتشي» في رأي اقبال قد سار في طريق سبق تمهيده بواسطة الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين والبرتغاليين في القرون الماضية. وقد رأى اقبال أن موسوليني يتسم بعدم الرياء عندما لم يضيف على نظامه سمات الديمقراطية لخداع بقية الدول. وكان اقبال يعتقد أن الديمقراطية البرلمانية والفاشية لهما هدف واحد هو استعباد الشعوب البسيطة الطيبة في قارتي افريقيا وآسيا وامتصاص دمائهم.

«ماهي الجرائم الموسولينية التي لم يعرفها العالم من قبل؟

لماذا الاصرار على اغراق أوروبا الطيبة في مثل هذا الغضب الأحمق؟

لقد سلبتم خيام البدو الرحل وهي كل ثرواتهم لقد سلبتم التاج والعرش،

وكنتم المطاردين والقتلة بطريقة متمدنة.

وما كنتم تدافعون عند أمس أدافع أنا عنه اليوم».

(ضرب كلیم ۱۵۱)

ومع ازدياد شدة التوتر العالمي، بدأ اقبال

وممن تكري روحه بعيداً عن جسده،

قانون المدينة الحديثة،

الذي يخفي نفسه خلف ستار التجارة.

(ماذا ينبغي أن نعمل « ۳۸)

لقد كان سخط اقبال على عملية غزو الحبشة

شديداً لدرجة أنه كان يردد هذا الموضوع من

وقت لآخر. وفي كتابه المسمى (ضرب كلیم)

«شريعة موسى» عدة قصائد كرسها اقبال لهذا

الغرض. ففي قصيدته المسماة «أثيوبيا» يدين

اقبال الدول الغربية في سعيها لفتح أسواق

جديدة وتكالبها على تقسيم الدول الى

مستعمرات لها ويقول أن هذه الفعال لابد أن

تشعل نيران حرب عالمية ثانية. وفي هذه

القصيدة يشبه اقبال أثيوبيا «بجثمان» مصاب

بالسموم تريد دول الغرب أن تتقاسمه، كما

تفعل الغربان (جمع غراب) بالغنمية:

وعندما علم اقبال بأن عصابة الأمم قد

صوتت ضد ايطاليا كتب قصيدة بعنوان

«موسوليني» تعطي انطباعاً لأول وهلة بأن

اقبال مؤيد لعملية غزو الحبشة. ولكن القراءة

المتأنية لهذه القصيدة توضح بجلاء ادانة اقبال

أيضاً للامبريالية الأوروبية — التي مهدت طريق



موسولينى

وبالمثل رفض اقبال أفكار القوميين الهنود وفكرة «المؤتمر القومي لكل الهند». وقد عظمت معارضته بعد اعلان الدستور الجديد عام ١٩٣٥.

وقد ظهر عامل جديد في الحياة السياسية في الهند تحت الاحتلال البريطاني في العشرينات والثلاثينات وهو بزوغ طبقة عمال الصناعة وأصبحت أفكارهم ومعتقداتهم عاملاً سياسياً جديداً يؤثر في طبيعة النضال من أجل التحرر. فقد أثرت الأفكار الاشتراكية بدرجات متفاوتة على الشباب والجماعات اليسارية في الحركة القومية للهند وفتحت أمامهم آفاقاً جديدة. فأنجازات الدولة السوفيتية الفتية بدأت تعرف في الهند، وتأسس الحزب الشيوعي في الهند عام ١٩٣٣ بعد توحيد المجموعات الشيوعية السابق تكوينها في الأقاليم المختلفة. ولكن الحزب الشيوعي في الهند اعتبر بعد عام واحد غير قانوني، وكان عليه أن يمارس نشاطه في الخفاء.

وكان اقبال دائماً يفكر من أجل الرجل الفقير كما يفكر في الأمم الفقيرة. وبدأت المشكلة الاجتماعية تلح عليه بشدة، كانعكاس لتأثير ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى في القارة الآسيوية. وكان اقبال أول شاعر يتحدث عن معاناة الطبقة العاملة في الشعر الأردني، وقد بدأ

يتحقق من أخطار نشوب حرب عالمية جديدة. وقد أدان اقبال اعتداءات الدول الامبريالية وانشغالها بعمليات التسليح لاغراق العالم في بحر من الدماء.

«ليتخل عن هذه الحروب الصليبية هو الذي تهدد قبضته الملتخية بالدم كل الأرض».

فأوروباً المغطاة من الرأس الى القدم بالدروع،

تحرس في يقظة تسلطها البراق الكاذب».

(ضرب كلیم)

كان اقبال هلعاً من فكرة اندلاع حرب عالمية ثانية، ففي قصيدة هجاء للحرب العالمية الأولى كتب اقبال في عام ١٩٢٤ محذراً من منظر قتل الناس بالجملة واطلاق القنابل عليهم. وقد أدرك جيداً أن الوقوف ضد التوسع الأوروبي الامبريالي يمثل ضرورة حيوية، فالاستسلام والاذعان لا يتفقان مع روح فلسفته، بل هو على نقيض ذلك يؤمن بالنضال المسلح في مواجهة الشيطان، وكانت دعوته للفعل باسم «الجهاد». وكان يرى أنه يجب ألا تتاح الفرصة لأية دولة أوروبية لتملك القوة التي تتيح لها التوسع العسكري:

«إذا كانت حرب الشرق غير مقدسة،

فهل حرب السلاح الغربي هي المقدسة؟

وإذا كانت الحقيقة هي هدفكم، فهل هذا هو الطريق السليم..

ان تباركوا أخطاء أوروبا.. وتضعوا الاسلام تحت المجهر؟»

(المرجع السابق ٦٣)

وفي نقده للحضارة الأوروبية أعلن اقبال في مرات كثيرة عن رفضه لنظام الديمقراطية البرلمانية. كان يؤمن أن النظم الجمهورية في بعض الدول لا تتعدى أن تكون حكومات شعبية بالاسم فقط وفي مجموعته الأولى بأنك درا (صلصلة الجرس) يكتب:

«ان مارد الاستغلال يرقص في حلة النظام الجمهوري،

وعليك أن تتخيل أنه حسناء الحرية.

المؤسسات، الاصلاحات، الامتيازات والحقوق،

هي المخدرات الحلوة في الطب الغربي».

(بانك درا ٢٩٦)

يستخدم في وعي مصطلح الرأسماليين (سرمالية دار) للتفرقة بينهم وبين العمال (ناردا). ولكن الاشتراكية كمذهب اجتماعي في تحليلها المنهجي ظلت بعيدة عن دائرة ادراكه.

حقيقة انه طوال حياته كان يؤكد على عناصر العدالة الاجتماعية والأخوة بين البشر ولكنه بحث عنها في العصر الأول النقي من ظهور الاسلام.

كان اقبال يحلم بوحدة تضم الدول الاسلامية في ظل شكل مامن الاتحاد يربط بينها عن طريق الايمان المشترك ووحدة العقيدة. وطبقاً لكلمات كييرنان (V. G. Kiernan) الذي ترجم أعماله و«ان اعتقاده في الأخوة النابعة من الدين يرجع الى أنه كواحد من الطبقة المتوسطة كان قريباً بدرجة كافية من طبقة ملاك الأرض والنبلاء التي تعلو طبقته، وكذلك من طبقة العمال والفلاحين التي تقل عن طبقته، ولهذا كان في مقدوره أن يتأمل الحياة من وجهة نظر كل منهم.

كانت فكرته المثالية عن المساواة والوحدة بين البشر ومبدأ توزيع الموارد وفقاً للاحتياجات هي التي جذبتة نحو الاشتراكية. ولكنه من جهة أخرى كان بغير وسعه قبول النظرة المادية للعالم، التي لامناص من أن تركز عليها الاشتراكية الحقيقية. ولا نستطيع في الوقت الحاضر أن نوضح الى أي مدى قد تعمق اقبال في دراسة المنهج الاشتراكي، على الرغم من أن من يكرس مثل هذا الجهد لدراسة الفلسفة الأوروبية واتجاهاتها يفترض فيه أنه قرأ على الأقل كتاب «رأس المال» لكارل ماركس وربما بعض المؤلفات النظرية الأخرى.

يعترف اقبال بأنه لايعرف الشكل الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الأفضل الذي يتمناه. وببساطة يدعو الى مجتمع يكون الأساس فيه العدالة الاجتماعية، وليس من الضروري أن يكون اسلامياً كلية. ولم يتساءل اقبال عما اذا كان في مقدرة الاسلام أن يكون قوة موحدة لمجتمع دولي أو أن منهجاً آخر قد يحقق ذلك بنجاح أكبر. وقال اقبال ذات مرة: «اذا كنت حاكماً لدولة اسلامية فقبل كل شيء ومنذ البداية سوف أخلق منها دولة

اشتراكية».

(نقلاً عن سميث (W. C. Smith):

«الاسلام الحديث في الهند» ٢٧ ص ١٣٢)
والافصح عن هذه الدعوة ظل بمنأى عن الثورة الاجتماعية وعن سيطرة الطبقة العاملة. ولم يكن اقبال راضياً على الحالة الاجتماعية القائمة، وكان يتطلع الى التغيير، وبالرغم من دعواته المتكررة للثورة، فلم يكن يعرف كيف يمكن أن تنطلق الثورة، فهنا أيضاً نصادف ذلك التناقض المعروف بين الفكر والفعل عند اقبال. كان اقبال يفكر في الثورة كقوة سرية مبهمة تبزغ فجأة بسبب عوامل مجهولة، وبضربة تغير العالم الى حالة أفضل. وتحدث عنها كثيراً بطريقة رمزية. ولم ير اقبال أصلاً أن الثورة نتيجة ضرورية للتطور الاجتماعي ولم يوضح أصلاً أية طبقة اجتماعية سوف تفجرها، ولكنه توقع فقط قيامها في وقت قريب:

أوروبا هي الموت لروح الانسان، وآسيا هي الموت لارادة الانسان: وكلاهما لايشعر بالحياة. في قلوب الناس يشع تيار الثورة وربما كان عالمنا القديم أيضاً يقترب من حقيقته

(«ضرب كليم» ١٣٩)

كثيراً ما نظر اقبال الى النظام الجائر للمجتمع البشري كنظام لايمكن تأييده أو الدفاع عنه، ودعا الى تغييره. ولكن من سيغيره: قوة ثورية غير معروفة الهوية: السيد يحول الدم في عروق العمال الى ياقوت صاحب الأرض الظالم يدمر ما بذره الفلاح الثورة! الثورة! الثورة!

(«زبور عجم» ١٣٤)

وكان اقبال بكل تأكيد واحداً من أوائل الشعراء في آسيا الذين احتفوا بانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية، وعندما استقرت الأمور للسوفييت في روسيا وتدعمت، كان رد فعل اقبال قصيدة باسم «رأس المال والعمل» وفي هذه القصيدة دعا اقبال الطبقة العاملة في الشرق وفي الغرب لاتباع المثال السوفيتي والتحرر من أغلال الرأسمالية:

الى العامل الكادح أذهب، واليه أتوجه برسالتني:

وبدأت السمات الجديدة التي ظهرت بها حركة التحرير القومية للهند في العشرينات نتيجة اشتراك الطبقة العاملة، بدأت تنعكس في شعره في ذات العقد، خاصة في ديوان «بيام مشرق» (رسالة المشرق). وقد اهتم اقبال اهتماماً كبيراً بوضع الطبقة العاملة ودافع عن حقوقها. وقادته فلسفته الى رفض التفاوت بين الطبقات، وأدان بشدة ذلك التناقض الشديد المتمثل في عوز العمال واسراف السادة.

في قصيدته «أغنية العامل» أشار الى صانع القيمة— أي العامل — الذي يستغل بدون وجه حق بواسطة السيد الذي يتكاسل فحسب: في غضبي وخرقي البالية أكدح كعبد مدفوع الثمن.

ولهذا يستطيع سيدي الكسول أن يزين نفسه بالحرير

ومن عرقي يبتاع المتسلط ياقوتاً لخواتمه
ومن دموع طفلي يزين الأمير بيته باللالي.

(«رسالة المشرق» ٢٥٧)

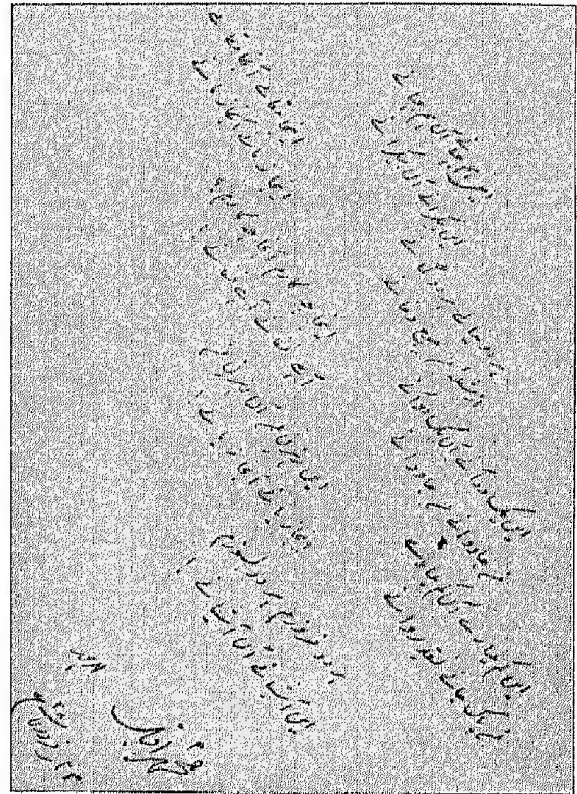
كان اقبال يعتقد بأن العمل الخلاق فقط هو الذي يمكن أن يكون أساساً لحياة سعيدة، وأن طفيلية الرأسماليين تمثل عبئاً على أكتاف الانسانية، وقد عبر اقبال عن اعتقاده في شكل قاطع في قصيدته المسماة «حوار بين الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت وأحد العمال»:

الرأسمالي يجلس ثقيلاً على أكتاف الأرض،
آكلًا نائماً ليس عنده ما يفعل ولا يعرف الحزن.
ثروة العامل تخلقها فقط يد العامل
ألا تدرك أن هذا الرأسمالي الكسول هو في الحقيقة لص؟

(«رسالة المشرق» ٢٤٤ — ٢٤٥)

وقد اعتنق اقبال هذه الفكرة، من شرحه الشاعر لفكر هذا الفيلسوف الفرنسي الوضعي أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧)، الذي نادى بأن الانسان في أعماقه يسعى الى المشاركة والتوافق بين كل أعضاء المجتمع الانساني.

قد أوضح اقبال أسس اعتقاده كونت في أن المجتمع الانساني يجب أن يخضع الطبيعة وقوانينها التي تحدد مكانة كل فرد وعمله بحيث تنحصر الحرية الفردية في مجال محدود. فالعامل



قصيدة بخط يد الشاعر من «زبور عجم».

الكلمات ليست كلماتي وحدي، انها رسالة تملأ
أركان العالم الأربع.

آه، ان رجل رأس المال الخبيث قد التهم
لحمك وجلدك.

لقد ضاع عرقك، منذ زمن، بين قرون الغزال
المتوحشة.

لكن تعال الآن. لأن السبل تتغير في أنحاء
الأرض،

ففي الشرق والغرب أيامك تشرق

ومن رحم هذا الكون العجوز تشرق

شمس جديدة حمراء من أجل النجوم المطفأة

وأنت أيتها السماء، الى متى سوف تنوحين؟

(«ضرب كلیم» ٢٩٧ — ٢٩٨)

وتشبيه ثورة أكتوبر بالشمس الجديدة، ظهر

أيضاً في أشعار اقبال الموضوعة في اللغة

الفارسية. ففي مقدمة منظومته المثنوية «كلشن

راز جديد» (حديقة السر الجديدة) عاد الى هذا

الرمز ثانية:

رأيت ثورة من نمط آخر:

بزوغ شمس جديدة

(«كلشن زار جديد» ١٥/١٦)

أوروبا الغربية، ويدع ماركس يهاجم الاقتصاديين الأوروبيين الذين يخفون عمداً البنية المستغلة للنظام الرأسمالي ويسخرون العلم فقط لتلبية احتياجات الطبقة الحاكمة: أيها الاقتصاديون الحكماء ماذا يوجد في كتبكم المقدسة؟

ملهاة ذات منحنيات محكمة، من نوع دعوة البرامكة.

في مزارات الغرب الوثنية، وعلى منابرهما وفي مراكز التعليم بها، الشراهة، وجرائمها الفتاكة مقنعة، خلف ملهاة احتفالكم الخبيثة.

(«ضرب كليم» ١٣٩)

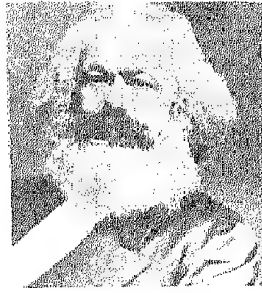
وعلى الرغم من أن اقبال في سنوات حياته الأخيرة قد كرس اهتماماً منتظماً للاشتراكية إلا أن اهتمامه ظل مركزاً في اعتقاده الديني الثابت أن الأساس الاقتصادي للاشتراكية يتفق مع تعاليم القرآن.

كذلك كان اقبال يعتقد أن الاسلام والاشتراكية لهما نفس الهدف، وهو ضمان العيش لكل الناس، ولم تتغير أفكاره في هذا الصدد. وعلى أي حال فقد اختلط على اقبال الفارق بين النظام الاشتراكي وبين أفعال الاحسان في الدين كما أوصى به الاسلام، الذي — أي فعل الخير — ليس من شأنه القضاء على جذور الحيف وعدم المساواة. وفي قصيدة «اشتراكية» يورد اقبال بمعنى جديد جزءاً من آية «الزكاة» الشهيرة: «يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» (سورة البقرة ١٩/٢):

من سلوك الأمم يتضح أن تقدم روسيا السريع ليس بلا ربح. وربما أظهر التقدم في هذه اللحظة، الحقيقة المخبأة في هذه الكلمات «قل العفو»

(ضرب كليم ١٢٨)

طالب اقبال باشتراكية اسلامية للمسلمين. وقد وصف الاتحاد بأنه الشرخ الأساسي في النظام الاشتراكي في روسيا، على الرغم من أنه سلم بأن الاتحاد السوفييتي قد أكمل إلى حد ما وعن غير قصد عملاً من أعمال الله. وكان يعتقد أن الاتحاد السوفييتي لم يجيء إلا نتيجة فشل الكنيسة الأرثوذكسية القديمة وفسادها. وفي



ماركس



اوغست كونت

في هذه القصيدة ينتقد ذلك المبدأ القائل بثبات نظام المجتمع، وينتقد الفيلسوف الذي لا يرى غير هدف واحد للحكمة، وهو ستر الاستغلال الرأسمالي.

ينتمي اقبال إلى طبقة البرجوازية المسلمة الصغيرة، ولم يكن في مقدوره أن يرى العامل ومشاكله من جهة نظر الطبقة العاملة. لقد تحقق اقبال، حقيقة، من بؤس واستغلال العمال من جهة، ومن رفاهية رجال الأعمال من جهة أخرى، وكانت هذه اللامساواة تثير معارضته بشدة. وكان يشير إليها مراراً ولكنه لم يقدم أي برنامج لحلها أو لرفع الظلم عن البؤساء وفي قصيدته «نصيب الرأسمالي والعامل» أشار إلى هذا التناقض الشديد بين نصيب العامل والرجل المستغل:

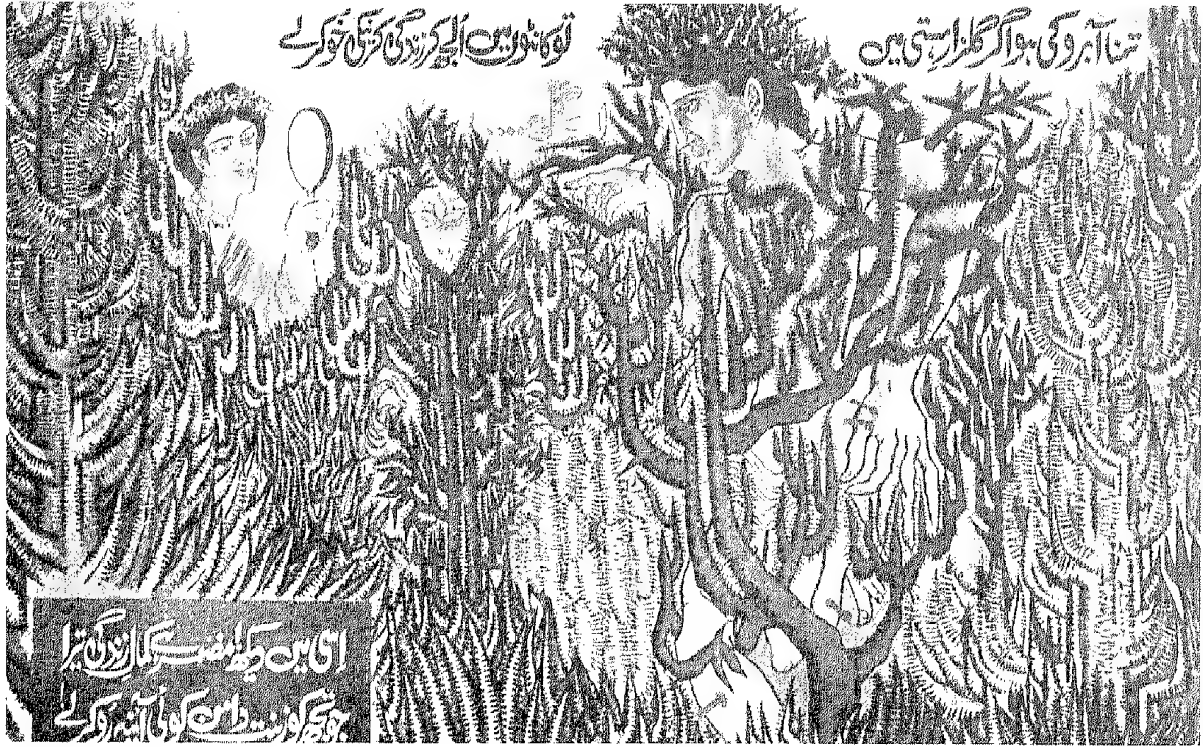
أنا أظفر بطرق الحديد وبضوضائه الخشنة، وأنت تتظفر بالاستماع إلى الأرغن في المعبد. أنا أمتلك هذا الجسد ومعدته، بينما أنت تمتلك كل شيء يمتد من الأرض حتى السموات.

(«رسالة المشرق» ٢٥٥ — ٢٥٦)

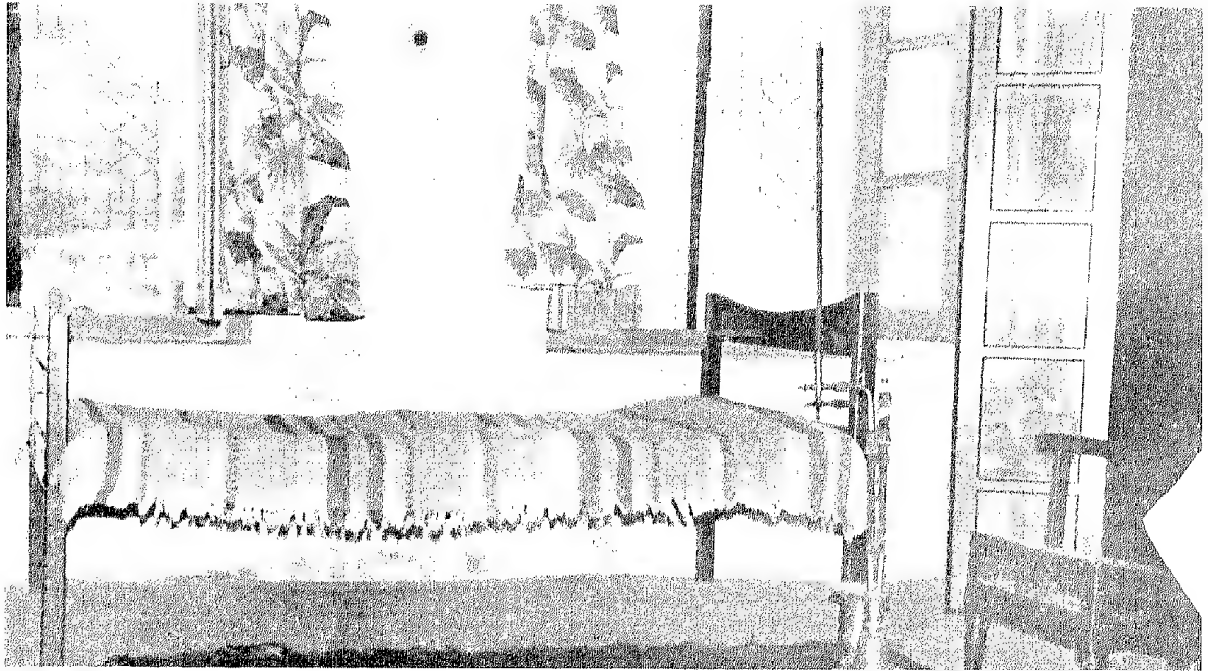
وعلى الرغم من ادانة اقبال للاشتراكية كنظام اجتماعي مادي وغير مؤمن، فقد كان اقبال يكن احتراماً عظيماً لمؤسس الاشتراكية العلمية كارل ماركس. وكان يشير إليه كمبشر بنظام جديد مؤسس على المساواة بين كل البشر، وقد نظر إليه كنبى ورأى كتابه «رأس المال» ككتاب مقدس يحتوي على مبادئ نظام جديد عادل للمجتمع.

(«رسالة الخلود» ٦٩)

وفي موضع آخر يتوسل اقبال إلى روح ماركس أن تجهر مستنكرة نظام الاستغلال في



من صور كتاب «الشمس الجديدة».



غرفة نوم اقبال — هنا قضى اقبال اعوامه الأخيرة، على سرير المرض وفي التأمل.

أن الخلاص
أن يحموا القساوسة؟
على روسيا الكافرة تهبط هذه اللعنة:
لتهوى وحوش الكنيسة وكل الآلهة المزيفة؟
(«ضرب كليم» ١٤٣)

قصيدة روسيا البولشفية يقول:
المراسيم الالهية، الخفيفة، تتحرك
من يدري أية أفكار تضرب بعمق في عقل
الكون!
هؤلاء المكلفون بالهدم، الذين اعتقدوا متأخراً

كاف للوصول الى الهدف. وقد أقام بعض المثقفين اعتقادهم أساساً على آيات القرآن التي تدين السادة الأغنياء وتدافع عن العبيد وتحض على فعل الخير وتقديم الزكاة. ويستشهد كثيراً في هذا الخصوص بالآية القرآنية «يسألك ماذا ينفقون قل العفو» — البقرة ٢/٢١٩ — والآية الأخرى التي تقول:

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون..»
— آل عمران ٩٢/٣ —

فالاشتراكية الاسلامية تعلي من شأن فعل الخير معتمدة على الارادة الطيبة للأفراد الأغنياء بدلاً من مبدأ عدالة التوزيع. وقد حاول اقبال أن يثبت أن مبدأ الاشتراكية الذي تحقق بالفعل في الاتحاد السوفيتي هو مبدأ وثيق الصلة بالمبادئ القرآنية، وبالتالي فليس ثمة صعوبات أمام قبول الشعب السوفيتي الاعتقاد في الله والاسترشاد بالقرآن وقوانينه:

ان الله أمر المسلمين، أن ضعوا أرواحكم على أكفكم.

أعطوا كل ما تملكون فوق احتياجاتكم لقد خلقتم قانوناً جديداً ونظاماً،

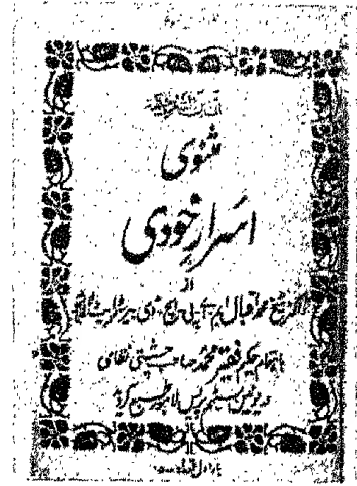
تأملوه قليلاً،

في ضوء القرآن.

(«رسالة الخلود» ١٤٨٩)

لكن من الواضح أن اقبال لم يأخذ هذا النقاش مأخذ الجد، ولم يقصد بالتأكيد دعوة الشعب السوفيتي الى اعتناق الاسلام. أنها كانت بالأحرى طريقة لاثبات أن المبادئ الاشتراكية مثل تلك التي يتضمنها القرآن يمكن أن تطبق في العصر الحديث.

ان نقد كل أشكال الانتهاك والاستغلال التي يمارسها الانسان ضد الانسان ونقد النظم الرأسمالية، والتعاطف مع العمال، كل هذا يرد في كتابات اقبال مقترناً بعقيدة ثابتة بضرورة اقامة علاقة حب بين الشعوب. ان العقيدة الدينية القوية جعلت اقبال غير قادر على الابتعاد عن فكر طبقته وعلى وضع شعره في خدمة الحركة الثورية للعمال والفلاحين كما فعل بعض المسلمين من معاصريه (على سبيل المثال «شاعر الثورة» — جوش مليها بادي) لم يكن



غلاف كتاب اقبال: «اسرار خودي»

ولاقتناعه أن النظام الاشتراكي الذي حقق المساواة والعدالة لكل الناس لا يمكن أن يكون غير مؤمن، فإن اقبال في رسالته الى الأمة الروسية «رسالة الخلود» يسأل شعب الاتحاد السوفيتي أن يكف عن انكار الله وأن يبدأ حياة دينية. ولأول مرة يستخدم هنا تعبير «لا» و«الا» الذي يتكرر بشكل أكثر في أعماله اللاحقة. فـ «لا» العربية هي أداة نفي في شهادة المسلم بايمانه «لا اله». وتعني السقوط النهائي لكل الهرطقة والسلطان الدنيوي أما «الا» فهي تكون الجزء الايجابي في الشهادة «الا الله» وتعني لدى اقبال الحاجة الى الاعتقاد في اله واحد والايمان به كحاكم أعظم وتقديسه. واعتقد اقبال أن الشعب السوفياتي قد حقق بالفعل الجزء الأول من الشهادة باسقاطه النهائي لحكامه، ورأى اقبال أنه قد حان الوقت بالنسبة للسوفيات أن يعرفوا الله كسلطان أعلى لهم:

لقد انتهيت الآن من السادة

انتقلوا من «لا» واتجهوا صوب «الا»

(«جاويد نامه» أو «رسالة الخلود» ١٤٣٧)

وفي رسالته الى الأمة الروسية يشرح اقبال أفكار الاشتراكية الاسلامية، وهي نظرية اجتماعية فلسفية كانت ولا تزال رابحة بين قسم من المثقفين المسلمين، وتركز النظرية على الجوانب الاشتراكية في التعاليم القرآنية موضحة أن المساواة بين كل الناس لا تتطلب ثورة أو إعادة تنظيم اقتصادي في المجتمع الانساني وأن التمسك الدائم بتعاليم القرآن



بازار الحكمة — هنا قرأ أشعاره الجديدة على صديقيه شهباز دين، وحكيم أمين الدين.

ومفكر وقف على الخط الفاصل بين حقيقتين — المجتمع الاقطاعي القديم والرأسمالي الحديث — وقد انفصل جزئياً عن الاثنين، لكنه فيما يختص بالأفكار التصق بالأولى، بينما من الوجهة العملية التصق أكثر بالثانية. لقد كانت الاشتراكية في عصره أيديولوجية الحقبة الجديدة القادمة في التاريخ الانساني، أيديولوجية طبقة اجتماعية لم يعرفها اقبال ولم يثق بها. كان اقبال ممثلاً نموذجياً للبرجوازية الهندية وفوق كل شيء لثقفي الطبقة المتوسطة المسلمة. وقد عبر في شعره عن آمال هذه الطبقة ومطالبها وقدم لها المثل التي تخدم حاجاتها الموضوعية. وقد نجح الى حد ما في الاسراع بحركة انتقال المسلمين الهنود من النظام الاقطاعي الى مجتمع برجوازي، وأسهم بذلك بشكل غير مباشر في تمهيد الأرض للتقدم في المستقبل نحو نظام اجتماعي أفضل وأكثر عدلاً..

●

اقبال أبداً قائداً للجماهير. كان شاعراً مثقفاً وفيلسوفاً، مرتبطاً عاطفياً بالنظام الاقطاعي القديم الذي أراد على أساسه أن يبني مستقبلاً اشتراكياً مثالياً، لقد أحس بقوة بالقمع الواقع على الطبقة العاملة، لكنه ظل بعيداً عنها. وكثيراً ما كان ينتقد الظلم الاجتماعي، ويدين النظام الرأسمالي الذي يتفشى فيه هذا الظلم. ولكنه في الواقع العملي قد سعى لتأمين النمو المطرد للعمل الرأسمالي. وفي بداية الثلاثينات دعا اقبال الى اقامة وطن مستقل للمسلمين الهنود (وهو ما أصبح فيما بعد مطلب تأسيس دولة باكستان) والى تحديد مجالات النفوذ تحديداً عملياً ييسر للبرجوازية المسلمة أن تمارس نشاطها الرأسمالي دون عوائق.

حاولت في السابق أن أبين عدم الاتساق الأساسي الذي يميز حياة اقبال وفلسفته. وعدم الاتساق هذا لا يلزم شخصية اقبال فحسب، وإنما يسم الفترة التي عاش فيها، فهو كشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في القرآن
مناجاة لكل عبد

جاء في كتاب

سورة التوبة

التي كانت تسمى «الجمعية» ومنذ ذلك الحين، أصبحت تسمى «الجمعية الوطنية» وهي الآن واحدة من بين العديد من الجمعيات التي تعمل في مجال حقوق الإنسان في مصر. وقد لعبت الجمعية دوراً هاماً في دعم الحركات الشعبية في مصر، وخاصة في مجال حقوق المرأة. وقد لعبت الجمعية دوراً هاماً في دعم الحركات الشعبية في مصر، وخاصة في مجال حقوق المرأة.


 ربيعي عن عطية، أن الحج على الخلف
 حارس السبع لا يركب الحمار ويختر
 الحمار يركب الحمار ويختر الحمار

التي هي ومخاضهم سلاسلهم شبه وكذب اليه
فقال يا أمي المؤمنين ان بالشام قرية يبيع
عليها جناح كلاب الورد وسياج ديوكمين وهي
تلقب بفتح من ههنا حل محض (١) فيل من
مملكة ابي كعب الى طائفة (٢) ان سمعنا ان
بحر الشام ينفذ على الفل في البحر الى الارض
مستقيما الى كل من يملكه في ان يفيض من
البحر فتوصله فيكم احد الجنود من طائفة
البحر فكانوا المستعجبين وثلا تسلم اهل الشام

من الامم التي قد اذعن له وقد عرفت

من وكذب. فمنه من أن عبيدهم همار
والسيد في قلبه أن الرب يسوع لم يكون
أول الأمر. فهو في حقيقة وكثير. والرب
والأفريسيه لأمريتهم أحوال مريته في القلب
عن أبنائه. وهو عليه عاتقكس الدراج
تقاعهم. لهذا السبب. لك القول عيس
سلطانهم. وأمرت من العبد (جدا)
لهم ليعتد إيمانهم. فلهذا كل من يثبت إيمانهم
يصلح. والستعديا من الشهادة في

حاجاتهم البحرية أمماً، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها، فتاقت نفوسهم الى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه والشواني، وشحنوا الأساطيل بالرجال وأمطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى حافته، مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس»^(٣).

وبسبب موقف الخليفة عمر من اصطناع الأسطول، انصرف الاهتمام الى تحصين المدن الساحلية وترميم حصونها القديمة التي تركها العدو، وسميت «أخاند»^(٤)، كما أنشأوا «مناظر» كانت تتخذ للمواقيد والحفظة والمراقبة وحمايتها من غارات الروم المفاجئة. وكان معاوية قد كتب الى الخليفة يصف له حال الساحل، فكتب اليه في مرمة حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، واقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيد لها. ولم يأذن له في غزو البحر^(٥).

وحدث في أواخر أيام الخليفة عمر وأوائل أيام الخليفة عثمان أن غمرت موجة بيزنطية الساحل الشامي، وعمل البيزنطيون على تثبيت أقدامهم في مدن الساحل والتشبث بها، بفضل أسطولها البحري، وألحقوا هذه الموجة بحملة بحرية، استطاعوا أن يستعيدوا فيها مدينة الاسكندرية سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م. ووجد معاوية أن من الضروري اصطناع أسطول بحري للوقوف في وجه الخطر البيزنطي، والدفاع عن سواحل مصر والشام، وحماية المياه العربية، بله ضرب الأراضي البيزنطية نفسها لتأديبها ول منع الغارات العدوانية التي تقوم بها.

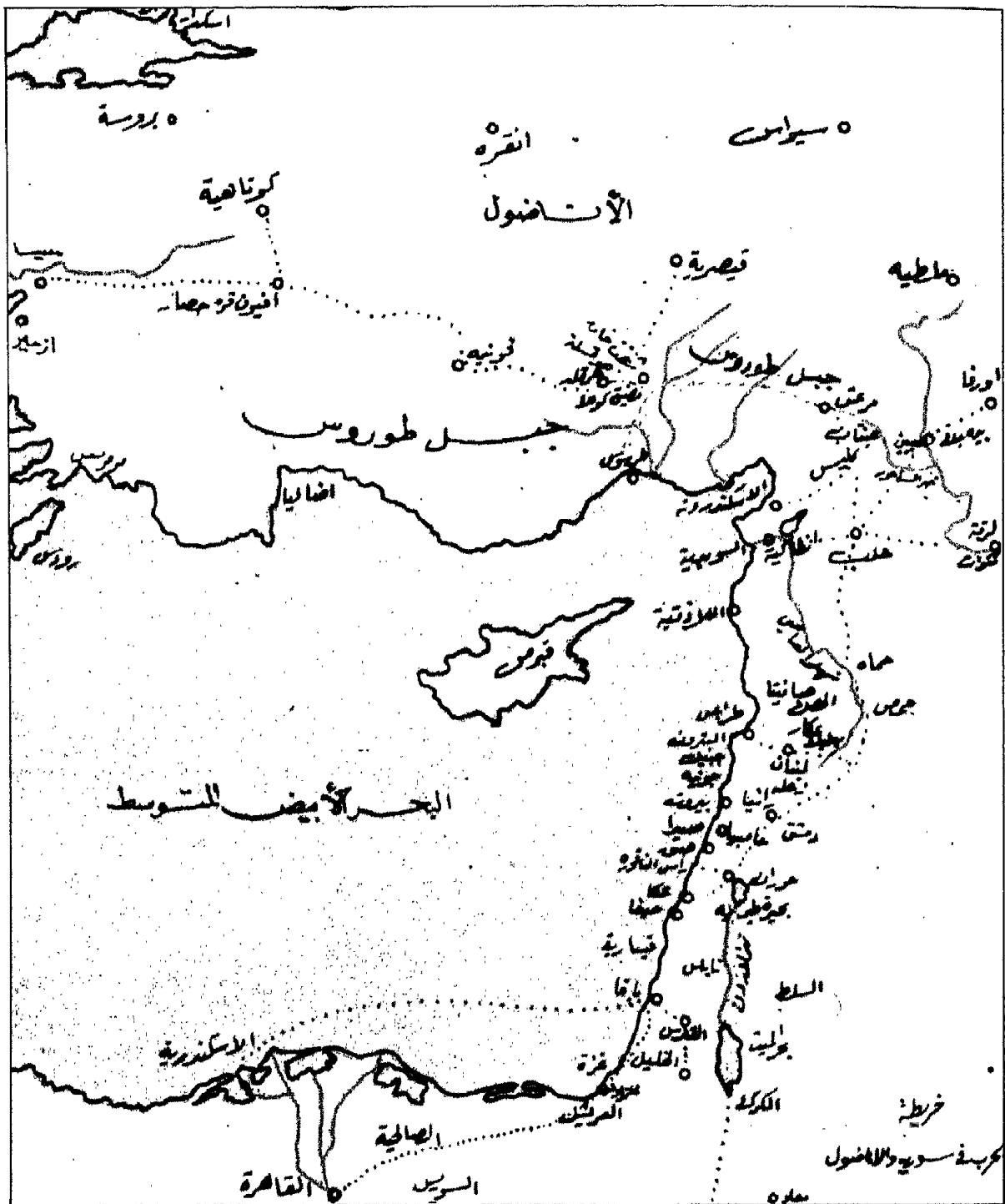
وإذا كان معاوية قد فشل في الحصول على موافقة الخليفة عمر على ركوب المسلمين البحر، فإنه نجح في اقناع الخليفة عثمان بعد لأي، رغم أن عثمان كان محتزراً في قراره بالموافقة، إذ قال لمعاوية: «لا تنتخب الناس ولا تقرر بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فأحمله وأعنه»^(٦).

بناء معاوية للأسطول:

وهكذا شرع معاوية ببناء أسطول اسلامي في مواني الشام ومصر، معتمداً على العناصر

التي كانت لها دراية وخبرة في هذه الصناعة من سكان الساحل الشامي، وفي مصر من القبط، بالاضافة الى عناصر فارسية استقدمها الى السواحل. وبذلك تكون الأسطول الاسلامي. فكانت أسلحة رجاله لا تختلف عن أسلحة الجند في البر، إذ كانوا يتمنطقون بالخناجر والسيوف، ويحملون القسي والحراب والنبال، كما كانت المراكب تشحن بالحجارة لرميها على الأعداء، الى جانب الحبال التي ينتهي طرفها بكلايب لقذفها على السفن المعادية والالتصاق بها لجذبها ومنعها من التحرك أو المناورة.

وإذا كان عثمان قد وافق على انشاء الأسطول نزولاً عن الحاح واصرار معاوية، فإنه قد استمر في وضع القيود أمامه، ومن هذه القيود أنه اشترط عليه في حملته على جزيرة قبرس أن يأخذ معه زوجته، وعلى من معه من القادة المسلمين أن يصطحبوا زوجاتهم كذلك^(٧). وكانت غزوة قبرس هي باكورة أعمال العرب الحربية في البحر الأبيض المتوسط «اذ لم يركب المسلمون بحر الروم قبلها»^(٨). ولقد كتب معاوية الى أهل السواحل فأمرهم بإصلاح المراكب التي غنمها المسلمون من الروم عند الفتح، وتقريب تلك المراكب الى ساحل حصن عكا بفلسطين، وكان معاوية أمر بترميمها وترميم مدينة صور^(٩). وخرج من ميناء عكا في حملته الاولى على الجزيرة في سنة ٢٨هـ / ٦٤٩م^(١٠). على رأس أسطول ضخم، ومعه من الصحابة: «أبوذر الغفاري» و «عبادة بن الصامت» وزوجته «أم حرام بنت ملحان»، و «المقداد بن الأسود»، و «شداد بن أوس»، و «أبو الدرداء الأنصاري»، وكان هذا الأخير ممن رابط في بيروت. وانتهت هذه الحملة بعقد صلح بين أهل الجزيرة والمسلمين، على أن يؤدوا سبعة آلاف دينار سنوياً للمسلمين، ويؤدوا للبيزنطيين مثلها، وليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على أن لا يغزوهم، ولا يتحمل المسلمون الدفاع عنهم أمام عدو يهاجمهم، ولكن على القبارسة أن يبادروا الى اخطار المسلمين في حال مسير عدوهم اليهم من الروم، ويتولى المسلمون وضع بطريق منهم ليحكمهم^(١١). ولكن أهل الجزيرة أخلوا بشروط هذا الصلح، فهاجمها المسلمون



في سنة ٣٣هـ/ ٦٥٤م. وفتحوها عنوة، ونقل إليها معاوية جماعة من أهل بعلبك وبنى بها مدينة، وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفي، وولي بعده ابنه يزيد فأعاد البعلبكيين وغيرهم من أهل الديوان وأمر بهدم المدينة^(١٢).

وكان حظ جزيرة أرواد الشامية، الواقعة تجاه أنطربطوس، مثل حظ جزيرة قبرس، إذ

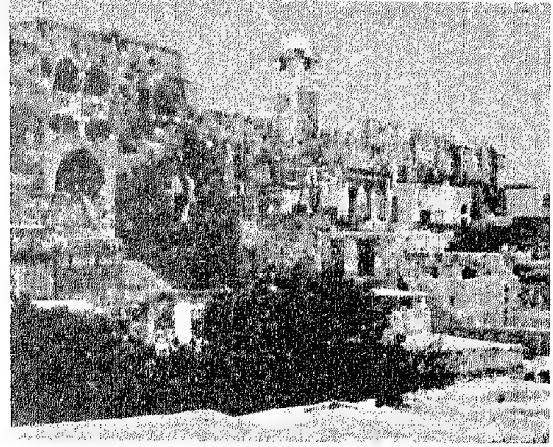
تعرضت لحملتين كانت أولاهما بعد الحملة الأولى على قبرس سنة ٢٩هـ. انتهت بعقد معاهدة مع أهلها. أما الحملة الثانية فكانت في السنة التالية، وتم فيها فتح الجزيرة بالقوة واحراق عاصمتها وقلعتها^(١٢).

وفي سنة ٣٣هـ/٦٥٤م. هاجم المسلمون جزيرة رودس، واستولوا عليها بالقوة. كما

الغزاة في عهد معاوية:

لما قتل الخليفة عثمان واختلف الناس، لم تكن للمسلمين غازية ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة ٤٠ هـ. وسموها سنة الجماعة^(١٦). وما أن بويع معاوية بالخلافة في الكوفة ورجع الى الشام في سنة ٤١ هـ. حتى بلغه أن ملك الروم زحف في جموع كثيرة، فخاف أن يشغله عما يحتاج الى تدبيره واحكامه، فوجه اليه فصالحه على مائة ألف دينار مع «حبيب بن مسلمة الفهري» والي الجرجومة. فكان بذلك أول من صالح الروم في سنة ٤١ أو أول سنة ٤٢ هـ^(١٧). ولما استقام له الأمر أغزى أمراء الشام على الصوائف وشتاهم بأرض الروم ست عشرة صائفة، تصيف بها وتشتوا ثم تقفل وتدخل معقبتها^(١٨). فكان المسلمون يخرجون للغزو في البر والبحر كل سنة. وقد فصل «قدامة بن جعفر» مواعيد الغزوات الصيفية والشتوية والربيعية على النحو التالي:

«ان أجهدها ممن يعرفه أهل الخبرة من الثغريين أن تقع الغزاة التي تسمى الربيعية لعشرة أيام تخلو من أيار بغد أن يكون الناس قد أربعوا دوابهم وحسنت أحوال خيولهم، فيقيمون ثلاثين يوماً، وهي بقية أيار وعشرة من حزيران، فانهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً، وكان دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً، ثم يقفلون فيقيمون الى خمسة وعشرين يوماً، وهي بقية حزيران، وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر. ويجتمع الناس لغزو الصائفة، ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوماً. فأما الشتواتي فإني رأيتهم جميعاً يقولون: إن كان لا بد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل، وليكن مسيرة عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره، وأن يكون ذلك في أواخر سباط (شباط)، فيقيم الغزاة الى أيام تمضي من آذار، فإنهم يجدون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواباً، ويجدون مواشيهم كثيرة، ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون»^(١٩).



جزيرة ارواد

أغاروا على جزيرة اقريطش (كريت) وأنزلوا الخسائر بالأسطول البيزنطي^(٢٠). على أن المسلمين توجهوا نشاطهم البحري بالانتصار الرائع في الموقعة التي اشتهرت باسم «ذات الصواري»، والتي ماتزال حتى الآن تعتبر من أهم المعارك البحرية الفاصلة في التاريخ، وبعدها أصبح بحر الروم يعرف ببحر الشام عند الساحل الشرقي. وقد برز في هذه الموقعة من أمراء البحر الشاميين «بسر بن أرطاة» أو «ابن أبي أرطاة» الذي يرجح أنه خرج بأسطوله من ميناء طرابلس، وانضم الى أسطول مصر بقيادة «عبد الله بن أبي السرح» وكان غزاة البحر يتألفون من العرب اليمانيين والقيسيين، ومن القبط، والفرس، وغيرهم ممن دخل في ذمة المسلمين، وكان معاوية في أول الأمر يغزي اليمانيين في البحر، ويغزي القيسيين في البر، فقال شاعر اليمن يقرع بني قومه وعشيرته:

ألا أيها القوم الذين تجمعوا
بعكاً أناس أنتم أم أباعر؟
أنترك قيس آمنين بدارهم
ونركب ظهر البحر والبحر زاخراً
فلما بلغت هذه معاوية بعث الى اليمن فاعتذر اليهم، وقال: ما أغزيتكم البحر إلا لأنني أتيمن بكم، وأن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم، ونصحكم. فأما اذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه، وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم (أي نوبة ومبادلة)، فرضوا فعل ذلك فيما بعد^(٢١).

● ولقد كان معاوية أول من غزا في البحر، واستعمل على البحر «عبد الله بن قيس الجاسي» حليف بني فزارة، وكان الخليفة عمر أول من استعمله على السواحل، حيث يذكر «الطبري» أن عمر لما قدم الشام قسم الأرزاق، وسمى الشواتي والصوائف، وسد فروج الشام ومسالحها وأخذ يدور بها، وسمى ذلك في كل كورة، واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة، وكان ذلك في سنة ١٧هـ (٢٠). ويفهم من هذه الرواية أن «عبد الله بن قيس» كان أميراً على مدن الساحل وثغوره أيام عمر، ثم أصبح غازياً في عهد معاوية، وقيل أنه غزا خمسين غزاة ما بين شتاتية وصائفة في البحر ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب. وقد ورد ذكره في حوادث سنة ٣٥هـ. صائفة، وفي سنة ٥٥هـ. خرج في غزوة شتاتية، وفي سنة ٥٧هـ. شتا بأرض الروم وأصيب وحده في هذه الغزوة. وذكر الطبري أنه كان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصائب أحد منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم وعليه سؤال يعترفون بذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قرينتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى. قالوا: أي عدوة الله! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم وقالت: أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد. فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوا وقاتلهم، فأصيب وحده، وأقلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم «سفيان بن عوف الأزدي» فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعذب بأصحابه ويشتتهم، فقالت جارية عبد الله: واعبد الله، ما هكذا كان يقول حين يقاتل، فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت:

الغمرات ثم ينجلينا

فترك ما كان يقول ولزم: الغمرات ثم ينجلينا. وأصيب في المسلمين يومئذ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي. وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه؟ قالت: بصدقته، أعطى كما يعطي الملوك ولم

يقبض قبض التجار.. فعرفت أنه عبد الله بن قيس (٢١).

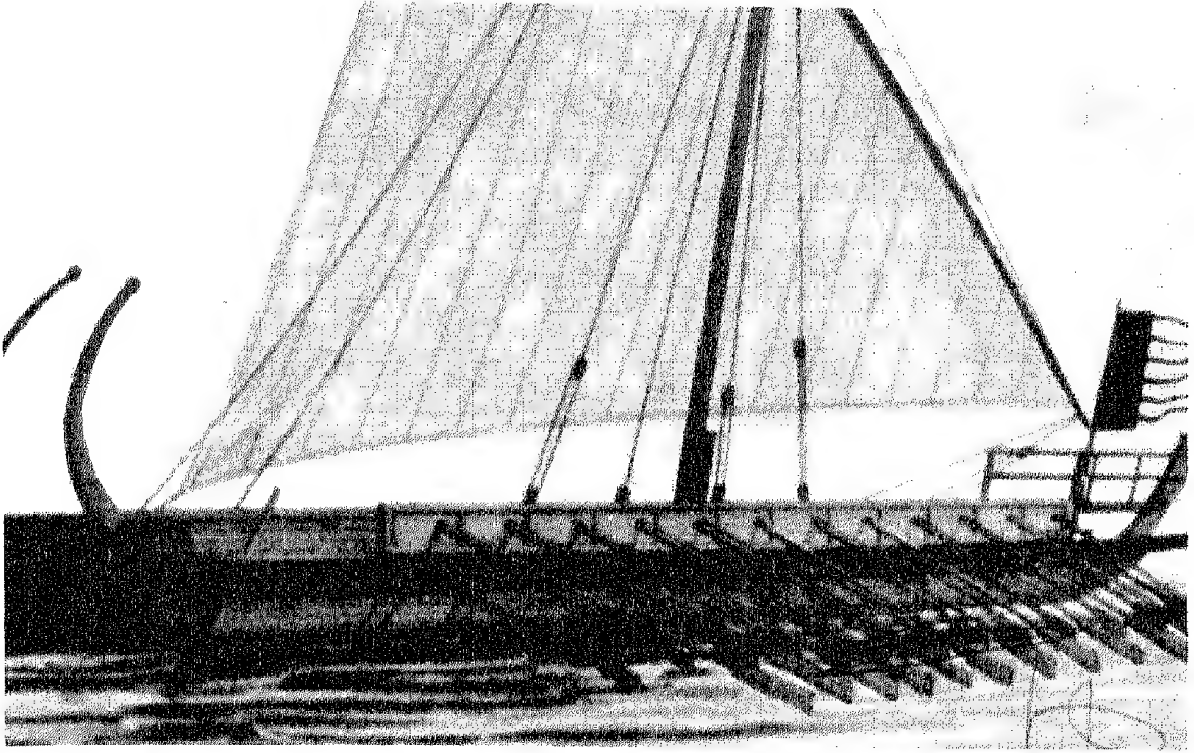
● ويذكر «المنجي» أن «بسر بن أرتاة» كان أول من غزا الروم في خلافة معاوية سنة ٤٢هـ. فهزموهم هزيمة منكرة وقتل عدة من البطارقة (٢٢). وعاد فغزاهم في البحر سنتين متواليتين، حيث شتا بأرضهم في سنة ٤٣هـ. حتى بلغ القسطنطينية، ثم في سنة ٤٤هـ.

● وخرج «عقبة بن عامر بن عبس الجهني» الصحابي المشهور لغزو رودس في سنة ٤٧هـ. وقام الروم، في مقابل ذلك، بغزوة وصلوا فيها إلى السواحل في سنة ٤٩هـ.

ويلاحظ أن «البلاذري» لم يورد تفصيلاً لغزوة الروم هذه، كما لم يشر إليها غيره من المؤرخين المسلمين، وقد أشار إليها المؤرخ اليوناني «توافانس» المتوفي سنة ٨١٨م. فقال: «في سنة ٦٦٩ للمسيح (٤٩هـ). دخل المردة لبنان واحتلوا كل ما يقع بين الجبل الأسود والمدينة. وانضم اليهم كثير من أبناء البلاد والعبيد والأسرى، فبلغ عددهم في مدة وجيزة عدة آلاف».

ويبدو أن هذه الغزوة البيزنطية لم تلبث أن تراجعت دون أن تحدث أثراً هاماً، ولكنها نبهت معاوية إلى ضرورة الاهتمام بتحسين المدن الساحلية، فأمر بعدها بجمع الصناع والنجارين، فجمعوا، ورتبهم في السواحل. وسير قواده لقتال الروم، فشتا بأرضهم «مالك بن هبيرة السكوني»، وغزاهم في البحر «يزيد بن شجرة الرهاوي» وشتا بأهل الشام. كما غزاهم «يزيد بن معاوية» حتى بلغ القسطنطينية، ومعه: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وجماعة من جند مدينة بعلبك وأنطاكية وغيرها.

● ويذكر «البلاذري» وغيره أن معاوية كان وجه جيشاً إلى بلاد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جذري فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه «يزيد» مضطجاً بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال في ذلك شعراً ولم يبال بما لاقاه المسلمون، فبلغ شعره أباه، فقال: أجل، والله ليلحقن بهم فليصيبه ما أصابهم، فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ



سفينة بيزنطية

- «أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري»: توفي غازیاً في البحر سنة ٥١هـ. قيل أن بنيہ قالوا له: قد غزوت على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر، فنحن نغزو عنك، فأبی، فغزا في البحر، فمات في السفينة، فما وجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، ولم يتغيرا
- «عیاض بن الحارث»: وكان على البحر في سنة ٥٦هـ. وقتل وهو يغزو في سنة ٥٨هـ.
- «جنادة بن أمية الأزدي الدوسي»: كان على غزو البحر أيام معاوية كلها. وقد أغزاه معاوية سنة ٥٢هـ. الى جزيرة رودس، وكانت غیضة في البحر، فسار اليها في الشتاء بعد اغلاق البحر، ومعه «حي بن هاني السريع المعافري»، ففاجأ البيزنطيين وتمكن من فتح الجزيرة في سنة ٥٣ (وقيل: ٥٤هـ)، وأرسل اليه معاوية فأنزل فيها قوماً من المسلمين، فزرعوها، واتخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن، وأقاموا على الشاطئ حارساً ممن يريدہم في البحر، فكانوا أشد شيء على الروم يعترضون سفنہم في البحر حتى أخافوہم، وأمدہم معاوية بالعطايا والارزاق، فأقاموا في

القسطنطينية وهزم الروم، وضرب بابها بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق (٢٣). وكانت هذه الغزوات كلها في سنة ٤٩هـ/٦٦٩م. مما يؤكد أن غزوة «المردة» الى «لبنان» التي ذكرها «توفانوس» لم تكن في تلك الخطورة التي بالغ في وصفها.

وتتابعت الغزوات الاسلامية على السواحل البيزنطية، فكان يتناوب على الغزو في البحر عدد من القادة والأمراء والغزاة، برز منهم في ساحل بحر الشام على عهد معاوية:

- «بسر بن أرطاة»: وقد غزا في البحر أيضاً سنتي ٤٨ و ٥٢هـ. وهو صحابي.
- «مالك بن هبيرة السكوني»: غزا في البحر سنة ٤٨هـ. وهو صحابي.
- «يزيد بن شجرة الرهاوي»: وهو من الصحابة، غزا سنة ٤٩ و ٥٦هـ. وقيل: ٥٥هـ.
- «فضالة بن عبيد الأنصاري»: وهو صحابي شهد أحد وما بعدها، وشهد فتح مصر، وسكن دمشق وولي قضاءها لمعاوية وأمره على غزو الروم في البحر سنة ٥٠هـ. وقيل: شتا بأرض الروم في البحر سنة ٥١هـ.

الجزيرة سبع سنين، ومعهم مجاهد بن جبر يقرئ الناس القرآن^(٢٤).

وقد تولى «جنادة» الغزو في البحر من زمن الخليفة عثمان الى أيام يزيد بن معاوية، الا ما كان من أيام الفتنة. وهو من صغار الصحابة، اختلف في سنة وفاته.

● وقد قام البيزنطيون بتسيير أسطول كبير من السفن في سنة ٥٧ أو ٥٨ هـ. فتصدى لهم الأسطول الاسلامي بقيادة «يزيد بن شجرة الرهاوي»، ولكن البيزنطيون تمكنوا من قتل «يزيد» وأصحابه، وهزموا الأسطول الاسلامي، واكتشف الساحل الشامي لهم فنازلوا مدينتي: صور وصيدا^(٢٥) واستطاعوا اقتحامها والقضاء على كل مقاومة فيهما، ثم تسلقوا جبال لبنان واستولوا عليها، وجاءوا بالجراجمة فبثوهم فيما بين جبل الجليل في شمالي فلسطين، الى الجبل الأسود في شمال الشام، وشكلوا بذلك حاجزاً يفصل بين القوات العربية في البلاد الداخلية، وقواتهم في الساحل، حتى اضطر معاوية لرفع حصاره عن القسطنطينية وعقد هدنة مع الامبرطور «قسطنطين اللحياني الرابع» مدتها ثلاثون عاماً، التزم فيها معاوية بأن يدفع في كل سنة عشرة آلاف قطعة ذهبية، ومائة عبد، و٥٠ فرساً — حسب رواية المؤرخ اليوناني «شدرانس» —^(٢٦).

● غير أن «سعيد بن يزيد بن شجرة الرهاوي» أراد الانتقام لأبيه فقام بغزوة في سنة ٥٨ هـ. ومعه أحد الغزاة ويدعى «أكدر» الى جزيرة رودس.

● وفي سنة ٥٩ هـ/٦٧٩ م. — وهي المعروفة بسنة الجوع — قام «جنادة بن أبي أمية» بغزوة شاتية الى جزيرة اقريطش «كرت» بعد اغلاق البحر استجابة لأمر معاوية الذي أراد أن تكون الغزوة مفاجئة للروم في وقت لا يتوقعون الغزو فيه، وكان جواب «جنادة» «اللهم ان الطاعة علي وعلى هذا البحر»، فقيل: انه لم يصب من المسلمين أحد بأذى في تلك الغزوة التي لم تقتصر على اقريطش فقط، بل وصلت الى رودس أيضاً^(٢٧). وكان مع «جنادة» في هذه الغزوة: «علقمة بن جنادة الحجري» و«علقمة بن الأختم»، وتولى أهل مصر ارسال

الطعام الى أهل رودس. غير أن البيزنطيين استردوا الجزيرة بعد خروج «جنادة» منها، مما دعاه الى العودة اليها ومنارلتها وهدم مدينتها في سنة ٦٠ هـ/٦٨٠ م. وقد عرفنا من التابعين الذين نزلوا رودس في هذه الغزوة: «عبد الله بن عوف القساري» و«عبد الله بن محيريز».

واستفحل خطر الروم وعبثهم في سواحل الشام حتى أنهم انتزعوا مدينة حماة من المسلمين، مغتنمين فرصة وفاة معاوية الذي كانت آخر وصاياه «أن شدوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم»، ونقضوا الهدنة التي كانت موقعة في عهده. وعندما قصد ابنه يزيد لاستردادها اعترضه أهل الجبال وردوه عنها في سنة ٦٠ هـ. وازاء هذا الخطر رأى يزيد أن يدعم القوات الاسلامية المربطة في بيروت وطرابلس وغيرها من المدن الساحلية لتقوى على الصمود أمام البيزنطيين ومن والاهم، فكتب الى المسلمين في جزيرة رودس يخبرهم بوقاة أبيه، ويطلب منهم مغادرة الجزيرة وهدم الحصن الذي كانوا يرابطون فيه، والعودة بسفنهم الى ساحل الشام، فغادروها كما أمرهم، فلم تعمر بعد ذلك وخرجت، وأمن الروم ركوب البحر. ويبدو أن قراره شمل جند قبرس ففقلوا أيضاً في السنة نفسها^(٢٨).

وعن عودة المسلمين من رودس يروي المؤرخون حكاية طريفة، هي أن «رشيد بن كيسان الفهمي» قال:

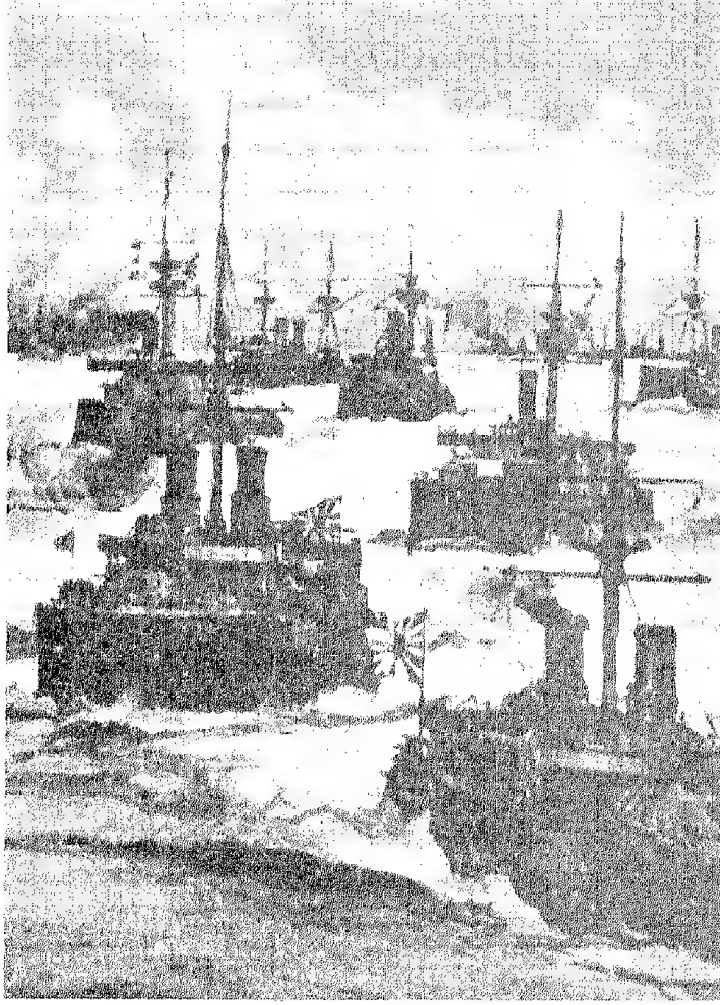
«كنا برودس — وأميرنا «جنادة بن أبي أمية الأزدي» — فكتب الينا معاوية بن أبي سفيان: انه الشتاء ثم الشتاء، فتأهبوا له. فقال «تبيع» ابن امرأة «كعب الأحبار»: تقفلون الى كذا وكذا. فقال الناس: وكيف نقفل وهذا كتاب معاوية: انه الشتاء ثم الشتاء. فأتاه بعض أهل خاصته من الجيش فقال: ما يسميك الناس الا الكذاب لما تذكر لهم من القفل الذي لا يرجونه. فقال «تبيع» فانهم يأتهم اذنهم في يوم كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، وآية ذلك أن تأتي ريح فتقلع هذه التينة التي في مسجدهم هذا. فانتشر قوله فيهم، فأصبحوا ذلك اليوم في مسجدهم ينتظرون ذلك، وكان يوماً لا ريح فيه، فانتظروا

حتى احتاجوا الى المقييل والغداء، وملوا فانصرفوا الى مساكنهم أو الى مراكزهم، حتى اذا انتصف النهار، وقد بقي في المسجد بقايا من الناس، فأقبلت ريح عصار فأحاطت بالتينة فاقتلعها، وتصايح الناس في منازلهم: خرت التينة، خرت التينة. فأقبلوا من كل مكان حتى اجتمعوا على الساحل، فرأوا شيئاً لائحاً يتجول في الماء، حتى تبين لهم أنه قارب، فاتاهم بموت معاوية وببيعة يزيد ابنه واذنهم بالقفل، فشكروا تبعياً وأثنوا عليه خيراً، ثم قالوا: وأخرى بقيت، قد دخل الشتاء، ونحن نخاف أن تنكسر مراكبنا. فقال «تبيع»: لا ينكسر لكم عود يضركم، ولا ينقطع لكم حبل يضركم حتى تردوا الى بلادكم، قساروا فسلمهم الله عز وجل^(٢٩).

المصادر والحواثي

- (١) الطبري — تاريخ الرسل والملوك ٢٥٨/٤ — طبعة دار المعارف بمصر، ويقصد بالقرية: جزيرة أرواد.
- (٢) الطبري ٢٥٨/٤ و ٢٥٩.
- (٣) مقدمة ابن خلدون — ص ٢٢٠ — ٢٢٢ — طبعة بيروت ١٩٠٠.
- (٤) فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص ١٣٠، طبعة نيويورك ١٩٣٢.
- (٥) فتوح البلدان، البلاذري، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ج ١٥٢/١، طبعة القاهرة ١٩٥٦.
- (٦) المواقظ والاعتبار المعروف بالخطط المقرئية، المقرئ، ج ٣٠٨/٢، طبعة مصر.
- (٧) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨١/١.
- (٨) البلاذري، المصدر نفسه.
- (٩) البلاذري ١٤١/١.
- (١٠) وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي أن الغزوة كانت سنة ٢٥ هـ. (أنظر التاريخ ١٨٤/١ — طبعة المجمع العلمي بدمشق).
- (١١) البلاذري ١٨١/١، الطبري ٢٦٢/٤ وهو ينقل هذه الحادثة عن محدثين من ساحل الشام، منهم: سليمان بن أبي كريمة الصيداوي والوليد بن مسلم، والليث بن تميم الفارسي الاطرابلسي، وجميعهم حدثوا بصيدا وبيروت وطرابلس. وذكر الطبري أنهم «من مشيخة ساحل دمشق». وأنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (مخطوط التيمورية)، ج ١٩٦/٣٦، التهذيب ٣٠٧/٧، شرح كتاب السير الكبير — الشيباني — ٢١٦٦/٥، طبعة معهد المخطوطات بالجامعة العربية ١٩٧٢، وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٦/٢ كان الفتح سنة ٢٧ هـ.
- (١٢) البلاذري ١٨٢/١.

- (١٣) المنجي، كتاب العنوان ٢٤٦/٢ طبعة بلجيكا، د. العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٦.
- (١٥) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ج ٢٠/٢٠٩، ترجمة مسكين الدارمي، أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق د. احسان عباس، ق ٤ ج ٩٩/١، طبعة بيروت، ١٩٧٩، مختار الأغاني، ابن منظور، ج ٥٤/٤ و ٥٥، طبعة معهد المخطوطات بالقاهرة ١٩٦٥.
- (١٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٨٨/١.
- (١٧) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٥، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبعة بيروت، تاريخ اليعقوبي، ٢١٧/٢، طبعة دار صادر ببيروت.
- (١٨) تاريخ أبي زرعة ١٨٨/١.
- (١٩) نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، (ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة، ص ٢٥٩، نشره: دي غويه، طبعة بريل ١٨٨٩).
- (٢٠) الطبري ٦٤/٤، ٦٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥٦٢/٢، طبعة صادر ببيروت، ابن عساكر تاريخ دمشق ٢٠٢/٦ وأنظر أيضاً: الطبري ٢٣١/٥ و ٢٩٩ و ٣٠٨ وابن الأثير ٤٥٧/٣ و ٥٠١ و ٥١٤ واليعقوبي ٢٤٠/٢، وابن خياط ٢٢٥.
- (٢١) الطبري ٢٦٠/٤ و ٢٦١ (حوادث سنة ٢٨ هـ). وأنظر عنه في تاريخ خليفة، ص ٢٣٠ (حوادث سنة ٦٠ هـ).
- (٢٢) المنجي، العنوان ٢٤٩/٢، نهاية الأرب، النويري، ج ٢٠/٢٦٥، طبعة مصر ١٩٧٥.
- (٢٣) أنساب الأشراف، طبعة القدس ١٩٣٨، ق ٢ ج ٤/٣، الأغاني، ج ٢١٠/١٧، تاريخ اليعقوبي ٢٢٩/٢ و ٢٤٠، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلس، ص ٢٨٣، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- (٢٤) البلاذري ق ٢٧٩/١، المنجي، ٣٥٢/٢، الطبري ٢٨٨/٥ و ٢٩٣، ابن الأثير ٤٩٣/٣ و ٤٩٧، ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، نشره كلمان هوار، ج ٤/٦، طبعة باريس ١٩١٩.
- (٢٥) المنجي ٣٥٢/٢.
- (٢٦) تاريخ سورية، يوسف الدبس، مجلد ٥، ج ١٠٤/٣، الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المفصل، ص ٣٥، طبعة بيروت ١٩٠٥.
- (٢٧) البلاذري ٢٧٩/١، اليعقوبي ٢٤٠/٢، الطبري ٣١٥/٥، ابن خياط ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ابن عساكر المخطوط، ج ٥٠/٨، ابن الأثير ٥٢١/٣.
- (٢٨) البلاذري ١٨٢/١، تهذيب ابن عساكر ٤١٢/٣.
- (٢٩) ابن عساكر ٤٣١/١ و ٤٣٢ نشره محمد أحمد دهمان، المعرفة والتاريخ، السوري، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ج ٢٢٣/٣ و ٢٢٤، طبعة بغداد ١٩٧٦، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٤١٤/٤، طبعة بيروت ١٩٨١.



الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) في الأدب العربي

معركة تسوشيما (٢٧ أيار ١٩٠٥)
ويبدو الأسطول الياباني يتقدم.

نَجْدَةُ صَفْوَة

بها الكتاب والشعراء، فتردد صداها في الأدب العربي سنوات طويلة بعدها.

كانت هذه الحرب تجري في منطقة نائية من العالم، ولم تكن للبلاد العربية مصلحة مباشرة فيها، وكانت أسباب المواصلات ووسائل الاعلام محدودة وبطيئة. فما سبب هذا الاهتمام الكبير بها؟ ولماذا كان لها ذلك الصدى الواضح في الأدب العربي والصحافة العربية؟ ومن أبرز الكتاب والشعراء الذين تردد ذلك الصدى في أدبهم؟

قبل الاجابة عن هذه الاسئلة، قد يكون من المستحسن أن نعرض بإيجاز أسباب الحرب

كانت الحرب الروسية - اليابانية التي دارت رحاها في ١٩٠٤ و ١٩٠٥ أهم الأحداث الدولية في مطلع القرن العشرين، ولذلك لم تقتصر أثارها على الدولتين المتحاربتين وحدهما - حيث كانت ثورة ١٩٠٥ في روسيا إحدى نتائجها المباشرة - وإنما ترددت أصداؤها في العالم أجمع، وفي بلاد الشرق بصورة خاصة.

وقد شغلت هذه الحرب الرأي العام في البلاد العربية، واهتمت بها الصحافة العربية اهتماماً كبيراً، فكانت تتناقل أخبارها، وتصف معاركها، وتعلق على أحداثها، وتتكهن بنتائجها. كما اهتم



(*) نجدة فتحي صفوة دبلوماسي سابق، عمل في وزارة الخارجية العراقية، وهو يهتم الآن بالأبحاث التاريخية. نشر عدداً من المقالات في مجلة «أفاق عربية» وكتاباً بعنوان «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب»، (بيروت، ١٩٦٩).

الروسية — اليابانية، وتطور أحداثها.

نشبت الحرب الروسية — اليابانية بسبب تضارب المصالح الاستعمارية للدول الكبرى في الشرق الأقصى، وبصورة خاصة المصالح الروسية واليابانية في منشوريا وكوريا. ومن أسبابها أيضاً السياسة الخارجية المتهورة التي اتبعها القيصر نيقولا الثاني في الشرق الأقصى. وقد انجرفت روسيا إلى المنافسات الاستعمارية منذ قيامها بمشروع سكة حديد عبر سيبيريا. وكانت المنطقة المتنازع عليها هي منشوريا.

كانت روسيا قد حصلت — بموجب معاهدتين عقدهما مع الصين — على امتياز بمد سكة حديد عبر منشوريا (التابعة للصين)، كما أنها — بموجب إتفاقية تالية — استأجرت ميناء «بورت آرثر» لإقامة قاعدة عسكرية بحرية فيها، كما استأجرت الميناء التجاري «دالني». ولما قامت في الصين ثورة «ايختيوان» — المعروفة بثورة «البوكسر» — تعاون عدد من الدول الكبرى، من ضمنها روسيا، على قمعها. فلما أخمدت الثورة، أخذت روسيا تماطل في سحب قواتها المربطة في منشوريا، متذرعة بحجج شتى، منها حماية الخط الحديد فيها. وبهذه الوسيلة، اتخذت من منشوريا منطقة نفوذ لها، بالرغم من أنها كانت قد تعهدت بسحب قواتها منها بمعاهدة وقعت في ١٩٠٢.

ان تغلغل روسيا في منشوريا، وترسيخ أقدامها فيها، وحيازتها على قاعدة «بورت آرثر»، أثار مخاوف اليابان، كما أنه أقلق بريطانيا على مصالحها الاستعمارية في الشرق الأقصى، فكان جوابهما على ذلك الحلف البريطاني — الياباني الذي عقد في ١٩٠٢.

وربما سكتت اليابان عن بقاء منشوريا منطقة نفوذ روسية لو أن روسيا اكتفت بذلك، ولكن روسيا كانت تحاول أن تمد هذا النفوذ أيضاً إلى كوريا التي كانت اليابان تعتبرها منطقة نفوذ تابعة لها بصورة قاطعة، ولم تكن مستعدة للتساهل في أمرها مطلقاً. وقد أقر القيصر نيقولا الثاني، الذي تسلم زمام السياسة الخارجية بيده، تسليح القوات الروسية إلى شمالي كوريا، واستغلال موارد الأخشاب

والمعادن في الجانب الكوري من نهر «يالو». وكانت تحسن إليه هذه السياسة بطانة توجهها مطامع رأسمالي يدعى «بيزوبرازيف»، وهو مضارب يمتلك شركة لاستخراج الأخشاب في الشرق الأقصى.

وفي ١٩٠٣، بلغ التوتر بين روسيا واليابان ذروته، ومع ذلك كان هناك مجال لحل الخلاف بالطرق السلمية، لو قبلت روسيا عرضاً يابانياً للاعتراف المتبادل بحقوق كل من الدولتين في منشوريا وكوريا. واستمرت المفاوضات سنة كاملة. وكانت الحكومة القيصرية تستهين بقوة اليابان، كما أن وزير داخليتها «بليف» كان يعتقد بأن «حرباً قصيرة» تخرج منها البلاد منتصرة، سيكون من شأنها توحيد صفوف الشعب، وإذكاء حماسه الوطنية، وتجديد ولائه للحكومة، مما سيصد الحركات الثورية التي أخذت تقوى وتتسع في البلاد.

ولما بلغت المفاوضات مرحلة تعذر فيها التفاهم، وأدركت اليابان أنها ستجبر في النهاية على دخول الحرب، قررت أن تعجل الروس بها، قبل أن يأخذوا لها عدتهم، فقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع روسيا (في شباط ١٩٠٤)، ثم شنت على القاعدة الروسية في «بورت آرثر» هجوماً مفاجئاً يشبهه بعض المؤرخين بهجومهم على «بيزل هاربر» في الحرب العالمية الثانية.

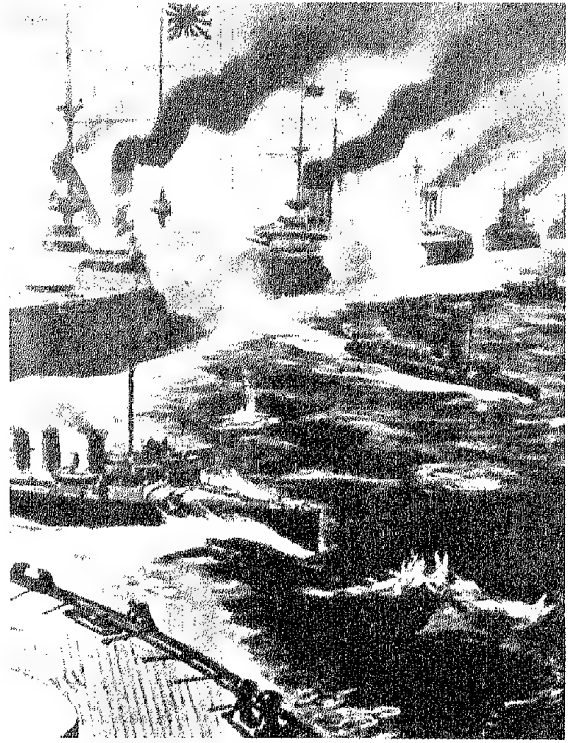
ولم تكن الخسائر التي ألحقتها القوات اليابانية بالأسطول الروسي كبيرة، ولكن الأثر المعنوي للهجوم الياباني المفاجيء كان عظيماً، برغم الشجاعة التي أبدتها القادة الروس. وكانت المشكلة الكبرى التي واجهتها روسيا هي صمود جيشها وتموينه من مسافة ٥,٥٠٠ ميل (بين موسكو وفلاديفوستوك) على سكة حديد ضيقة وغير كاملة.

وعانت قوات الجنرال الروسي «كروباتكين» خسائر جسيمة في البر، كما مني الأسطول الياباني بخسائر كبيرة ألحقتها به الألغام، غير أن محاولات الأميرالية الروس في توجيه قواتهم البحرية المتفوقة على القوات اليابانية، كان يحبطها مقتلهم في المعارك واحداً بعد آخر. وعمدت روسيا إلى تعزيز أسطولها في

ولما أصبح من الواضح ان روسيا خسرت الحرب، تدخلت الدول الكبرى، ووافق الطرفان على اقتراح أميركي بالمفاوضة على شروط الصلح في مدينة «بورتسموث» — ولاية نيويورك — في الولايات المتحدة — واستغرقت المفاوضات ثلاثة أسابيع وقعت بعدها معاهدة الصلح في بورتسموث في ٢٣ آب ١٩٠٥.

ان اليابان، وان انتصرت في المعارك، فانها خرجت من الحرب مرهقة مالياً، وتكدت خسائر جسيمة في الارواح^(١). ولذلك تمكنت روسيا من الحصول على شروط صلح مقبولة نسبياً لدولة خسرت الحرب، ولكن بعد ان تزعزع النظام القيصري من أساسه، فقد أظهر اندحار روسيا في هذه الحرب سوء التنظيم العسكري، وفساد النظام السياسي في روسيا القيصرية^(٢) وزاد في حالة جماهير الشعب سوءاً، وفي سخطها شدة. وهكذا أدت «الحرب القصيرة المظفرة» التي اقترحها «بليفه» حلاً لمشاكل روسيا الداخلية إلى عكس النتائج المطلوبة تماماً: فهي لم تكن قصيرة (دامت سنة ونصف تقريباً)، ولا مظفرة. ولم يكن من شأنها توحيد صفوف الشعب، بل زيادة نفقته على الحكومة بسبب إرسالها أبناءه إلى منشوريا البعيدة، لكي يقتلوا هناك لأسباب لا يفهمها. وظهرت خلال الحرب حركات المقاومة ضد الحكومة في بعض أقاليم الامبراطورية، وخاصة في بولونيا، اعتراضاً على التجنيد، أعقبتها انتفاضات الفلاحين التي أخذت تتكرر في فترات متقاربة، وإضرابات العمال التي اتسع نطاقها، حتى انتهت أخيراً بثورة ١٩٠٥ التي مهدت السبيل بدورها لثورة أكتوبر سنة ١٩١٧، وانتهيار النظام القيصري.

كان لانتصار اليابان، وهي الدولة الشرقية النامية — على دولة أوربية كبرى وقع عظيم على الرأي العام العالمي، ورنة خاصة في بلاد الشرق، بما فيها البلاد العربية التي اتجهت أنظار شعوبها إلى اليابان بشعور مزدوج من العجب والاعجاب. فقد وجدت هذه الشعوب انها تستطيع — بل يجب — ان تتخذ اليابان قدوة لها في نهضاتها وفي كفاحها ضد التغلغل الأوربي والسيطرة الأجنبية، وان الشعوب الشرقية المضطهدة، المغلوبة على أمرها، إذا



الهجوم على «بورت آرثر»

الشرق الأقصى، بأن أوعزت إلى قطعاتها البحرية في بحر البلطيق بالالتحاق بها، فلما علم بذلك اليابانيون، قرروا احتلال قاعدة «بورت آرثر» قبل وصول تلك القطعات، فحاصرتها القوات اليابانية من البر، وعزلتها عن القوات الروسية، حتى تمكنت من احتلالها في أول كانون الثاني ١٩٠٥، بعدما أظهرت القوات الروسية الموجودة فيها، بقيادة الجنرال «ستوسل» شجاعة فائقة في الدفاع عنها. وكان لسقوط «بورت آرثر» دوي هائل ليس في روسيا وحدها، وإنما في العالم أجمع.

ووصل الاسطول الروسي من بحر البلطيق، بعد ان قطع المسافة الطويلة حول إفريقيا دون ان تكون لديه الامكانات الكافية للتزود بالوقود، أو تنظيف قواعده السفن قبل خوض المعارك. وقد استغرقت رحلتها سبعة أشهر، وكانت عند وصولها في حالة لا تسمح بالحرب، ولا بالهرب. فتصدت لها قوات الأميرال «طوغو» في مضيق «تسوشيما» (في ٢٧ — ٢٨ مايس)، فأبادتها بعد معركة ضارية. وفي هذه الاثناء هزمت قوات الجنرال «كروباتكين» أمام القوات اليابانية في معركة برية دامت أسبوعين.

حافظ ابراهيم



ويسترد جلالاً

له ورفعة شأن
ولذلك كان طبعياً ان تستجيب نفس حافظ
إستجابة صادقة لأحداث اليابان، وان يخص
حربها مع روسيا - الدولة الأوروبية
والامبراطورية التوسعية - بأكثر من قصيدة
وهو في أوج شهرته ومكانته الأدبية.

ومما قاله حافظ في ذلك قصيدة، عنوانها
«الحرب»، يصف فيها الحرب
الروسية - اليابانية وأهوالها، ومطلعها:

أساحة للحرب أم محشر؟
ومورد الموت أم الكوثر؟
وقد نشرت هذه القصيدة في «المقتطف» في
١٩٠٤، بينما كانت الحرب لا تزال على أشدها،
ونتيجتها مجهولة، وان كان يستدل من بعض
أبياتها ان حافظاً كان أميل إلى الظن بأن روسيا
هي التي ستخرج منتصرة في النهاية، وفيها
يقول:

أمسى «كروياتكين» في غمرة
وبات «أوياما» له ينظر
وظلت الروس على جمرة
والمجد يدعوهم: ألا فاصبروا
ومن غرائب الصدف ان يصدر عدد
«المقتطف» الذي نشرت فيه هذه القصيدة قبل
سقوط «بورت آرثر» بيوم واحد^(٥):

وجدت صفوفها، وأصلحت أمورها، وتسلمت
بالعلم، فليس ثم ما يحول دون ان تقوى
وتزدهر، فتحيي حضاراتها القديمة وأمجادها
الغابرة.

نالت هذه الحرب عناية خاصة من أدباء
العراق ومصر والشام الذين عاصروها، وبعثت
فيهم أحداثها ونتائجها كثيراً من الخواطر
والعواطف الشعرية، وأوحت إليهم بقصائد
ومقالات كثيرة لم تنل ما تستحقه من عناية
الباحثين الذين أرخوا للأدب العربي في تلك
الفترة^(٦).

وكانت عواطف أولئك الكتاب والشعراء نحو
الأمتين المتحاربتين، وتأبيدهم إحداهما على
الأخرى، تخضع لاعتبارات سياسية وعاطفية
ودينية. وكانت أقوى هذه الاعتبارات هي
«النصرة الشرقية» التي جعلت معظم الأحرار في
البلاد العربية يقفون إلى جانب اليابان لأنها
دولة شرقية، ويعدون انتصارها انتصاراً
للشرق، ودليلاً على يقظة شعوبه. وقد ظهر هذا
الاتجاه في قصائد عدد من الشعراء المصريين،
أبرزهم حافظ إبراهيم.

ان الشعور بالرابطة الشرقية كان قوياً في
نفس حافظ إبراهيم، فظهر أثر ذلك واضحاً في
شعره، وان لم يضعف من شعوره القومي
والاسلامي. وقد شهد النصف الاخير من القرن
التاسع عشر عوامل واتجاهات سياسية، كان من
شأنها ان تبعث مثل هذا الاتجاه، ومن أهمها
السياسة الاستعمارية التي سارت عليها الدول
الأوروبية الكبرى وروح التسلط التي سادتها.
وكان حافظ إبراهيم يظهر في كل مناسبة اعتزازه
بالرابطة بين البلاد الشرقية من أقصاها إلى
أقصاها، وكان شعره يجري بذكر الصين
واليابان وغيرهما من بلاد الشرق، مستجيماً
لأحداثها، ناعياً عليها تأخرها، متمنيا ان يرى
الشرق وقد نفذ عنه رداء التأخر، مهيباً به ان
يعمل على استرداد عظمته ومجده^(٧):

يا ليتني لم أعاجل
بالموت قبل
حتى أرى الشرق يسمو
رغم اعتداء الزمان

ان حافظ إبراهيم وان كان يشجب فكرة الحرب، فانه رأى في وقوف اليابان في وجه روسيا، ودفاعها عن حقوقها وكرامتها الوطنية بشجاعة، مفخرة للشرق، وإعلاء لمكانة الأمم الشرقية في العالم، فيقول:

تسوّنا الحرب وان أصبحت
تدعو رجال الشرق ان يفخروا
أتى على الشرق حين إذا
ما ذكر الأحياء لا يذكر
حتى أعاد الصفر أيامه
فانتصف الأسود والأحمر
والإشارة إلى «الصفر» واضحة تدل على الجنس الياباني الأصفر الذي انتصف للشعوب المضطهدة، مهما كان لونها، وسواء أكانت من شعوب إفريقيا أم هنود أميركا.

على ان أشهر قصائد حافظ إبراهيم في الحرب الروسية — اليابانية هي قصيدته «فتاة اليابان»، ومطلعها:

لا تلم كفي إذا السيف نبا
صح مني العزم والدهر أبى
ويشيد حافظ في هذه القصيدة بوطنية المرأة اليابانية خلال الحرب، ويقول فيها مادحا امبراطور اليابان «الميكادو» ووطنيته على لسان فتاة يابانية:

هكذا الميكادو قد علمنا
أن نرى الاوطان أما وأبا
ملك يكفيه منه أنه
أنهض الشرق، فهز المغرب
وقد نالت هذه القصيدة شهرة واسعة في البلاد العربية، وأصبحت من محفوظات طلاب المدارس، لما تبعته في نفوس الناشئة من روح وطنية عالية، بالإضافة إلى قيمتها الأدبية، وما يتجلى فيها من أسلوب حافظ السلس، وديباجته الناصعة.

وفي شعر حافظ إشارات متفرقة أخرى إلى اليابان ونهضتها كمثال يجب ان تحذو الأمم الشرقية حذوه في الاتحاد ومحاربة الجهل، منها قوله يخاطب أمته في قصيدة عنوانها «الانقسام أفة الشعب»:

فانفضوا النوم وجدّوا للعمل
فالعلي وقف على من لم ينم

وانظروا اليابان في الشرق وقد
ركزت اعلامها فوق الأمم
حاربوا الجهل وكانوا قبلنا

في دجى عميائه، حتى انهزم ومما يدل على قوة النعرة الشرقية التي أملت هذا الموقف على شعراء مصر في وقوفهم إلى جانب اليابان، هو ان اليابان في فترة حربها مع روسيا كانت حليفة لبريطانيا، وفي الإشادة بمحامدها نوع من الدعاية غير المباشرة لبريطانيا، وتقوية لموقفها الدولي. وكان حافظ وزملاؤه — كمصطفى صادق الرافعي وأحمد نسيم ومحمد عبد المطلب — من محاربي النفوذ البريطاني في مصر. ولكن ذلك لم يمنعهم من إظهار عواطفهم الشرقية، وإبداء عطفهم على اليابان، بل وتحمسهم لها، برغم الصداقة التي تربطها بمحتلي بلادهم. فقد تغلبت تلك العواطف على شعورهم الاقليمي، لانهم وجدوا ان نهضة أمم الشرق وتقويتها كفيلتان بتخليصها من الاستعمار الأجنبي.

أما الاعتبار الثاني في تحديد مواقف الأدباء العرب من الجانبين المتحاربين، فهو موقفهم من «الدولة العثمانية» وعلاقتهم بها وشعورهم نحوها. فقد كان العراق وسوريا ولبنان في أيام تلك الحرب جزءا من الدولة العثمانية. أما مصر، فكانت تربطها بها رابطة إسمية واهية. وكان النضال الوطني في مصر متجها إلى مقاومة الاحتلال البريطاني، ولذلك كان شعراؤها يعطفون على الدولة العثمانية بدافع الشعور الديني، ويوصفها عاصمة الخلافة الاسلامية. وكانت اليابان تحارب روسيا، وهي عدوة تركيا التاريخية، ولذلك كان للشعور الاسلامي أثره في موقف الشعراء المصريين وعطفهم على اليابان.

أما في العراق والشام، فان النضال الوطني كان يتمثل في استقلال هذه البلاد عن السلطة العثمانية، ومع ذلك فان الشعراء — حتى الناقمين منهم على تلك السلطة — لم يؤيدوا روسيا عدوة تركيا — وإنما غلب عليهم شعورهم الشرقي، فانحازوا إلى اليابان أيضا، كما فعل الرصافي في قصيدته «معركة تسوشيما» التي أغرق فيها الأسطول الياباني، بقيادة طوغو الأسطول الروسي القادم من بحر البلطيق،

بعثتنا غيرة شرقية
كاد منها الغرب ان يلتهبها
مادت الدنيا لها من دهشة
واضطرابا رقصت، لا طربا
أدبتنا الحرب فيما قد مضى
بخطوب حار فيها الخطبا
وفيها يقول أيضا:

نحن سيف قاطع لكنه
مغمد يحسبه الأعمى نبا
ان نكن صفرا فماذا ضرنا

هل يعيب الاصفرار الذهباً^(٦)؟
وللشاعر اللبناني أمين ناصر الدين في الحرب
الروسية - اليابانية قصيدة، عنوانها «الياباني
ومعشوقته»، تشيد بشجاعة اليابانيين ووطنيتهم
وانتصارهم الباهر، ومنها قوله على لسان
المحارب الياباني في اسقاط «بورت آرثر»:

هجمنا على ميناء آرثر هجوم
ترد ابن عام وهو بالخوف أشيب
ببيض يلوح النصر أيان جردت

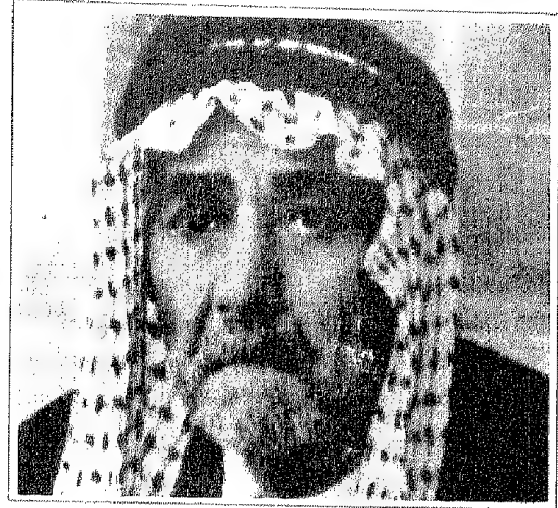
وسمر لها بين القلوب تقلب
وكنا إذا انهل الرصاص كأننا
من الغيد بالفتح نرمي فنطرب

وعدنا وهاتيك القلاع بأسرها
مهدمة قد حل منها المركب
وقائنا في البر كانت عجيبة

ولكنها في لجة البحر اعجب
وهنا يصف معركة «تسوشيما» وانتصار
«طوغو» ويشير إلى ما ساد الشرق من سرور
بانتصار اليابان، وما أصاب الغرب من خيبة
وأسى:

ورجعت الأقطار صوت انتصارنا
ففي الشرق هزاج وفي الغرب ندب^(٧)
ومن الطريف، ان من أبرز السوريين الذين

اهتموا بموضوع هذه الحرب، هو السياسي
السوري المعروف المرحوم فارس الخوري، الذي
كان في طليعة زعماء الحركة القومية العربية منذ
فجر شبابه. فقد كان إلى جانب نشاطه السياسي
ونضاله الوطني، يعنى بالأدب وينظم الشعر،
ولذلك انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي
في دمشق منذ تأسيسه. وقد أوجت إليه أحداث
الحرب الروسية - اليابانية بأربع قصائد طويلة



معروف الرصافي

إذ قال:

سعروها في البحر حربا ضروسا
تأكل المال نارها والنفوسا
يوم طوغو دهى بأسطوله الـ

روس قتالا، وكان يوما عبوسا
فحداها بوارجا تملأ البحر وقد
أارا طورا وطورا بوسا

فكسوه من الهوان لبوسا
وسقوهم من المنون كؤوسا
هكذا شيدوا بناء المعالي

هكذا أحسنوا لها التأسيسا
ونلمس مثل هذا الاتجاه في شاعر آخر من
خصوم الدولة العثمانية، وهو فؤاد الخطيب،

اللبناني الأصل، الذي التحق فيما بعد بالملك
حسين في ثورته على الدولة العثمانية، ومدحه
بقصائد كثيرة، وترأس تحرير جريدة «القبلة»

التي كانت تصدر في مكة، ناطقة بلسانه خلال
الثورة، وبعدها. ففي الجزء الأول من ديوانه
قصيدة، عنوانها «العجوز اليابانية» يعارض فيها

قصيدة صديقه حافظ «فتاة اليابان»، ويشيد
أيضا بوطنية الأم اليابانية. وفيها يروي حادثة
وقعت لأرملة يابانية عجوز، دفعت بابنها إلى

الجيش أيام الحرب الروسية اليابانية، ولكن
السلطات رفضته لانه كان معيلا الوحيد،
فما كان منها إلا ان قتلت نفسها لكي يسوغ

تجنيدته. وفيها يقول على لسان العجوز اليابانية:
لا تقولوا بلغ السيل الزبي
نحن مزقنا العدى أيدي سبا

حول تمرس بالصعاب محنك
بطل شديد في الحروب مجرب
بمضيق سوشيما تخير مجثما
حتى إذا أُرِفَ القضاء يتوثب
كالليث يأتيه القضاء برزقه
وهو المقيم بأرضه يترقب
أما القصيدة الرابعة، فهي في مولد ولي عهد
روسيا الذي ابتهل له القيصر «نيقولا الثاني»
ابتهاالا عظيما، وإن لم يقدر له اعتلاء العرش،
بسبب انهيار النظام القيصري. وكان «نيقولا
الثاني» متزوجا من أميرة ألمانية ولدت له ثلاث
بنات متتاليات، حتى أصابه اليأس والألم،
وحسب انه لن يرزق وريثا ذكرا لعرشه، فلما
وضعت مولودها الرابع، كان ذكرا - وقد جاءت
ولادته خلال الحرب الروسية اليابانية - فابتهل
القيصر لذلك ابتهاالا، وأمر باقامة معالم الزينة
واطلاق المدافع ابتهاجا بولادة ولي العهد، غير
عابىء بأهوال الحرب التي تجتازها البلاد،
ولا بدموع الشعب على أبنائهم الذين تحصدتهم
الحرب. وقال فارس الخوري مخاطبا المولود
الجديد:

يا أيها الطفل الموسد هل ترى
كيف استقزز أباك هذا المولد
لما ظهرت انجاب أفق داك
بحياته، وأبيض يوم أسود
قد جئته والحرب فاغرة فما
تجتاح مضرب جنده وتبدد
أجمدت عبرته على قتلى الوغى
ولفاقديهم عبرة لا تجمد
بردت حسرته فانبرت صعقاتها
بأذاعة البشرى تعج وترقد
هل ذكركته ان في منشوريا
نار المدافع للكتائب تحصد
ان هذه القصيدة الأخيرة هي أبعد أخواتها
مغزى، وأحفلها بالمعاني الانسانية، وهي تدل
على مدى تحسس فارس الخوري لأهوال الحرب
ومآسيها، وتحمل معنى اللوم للقيصر على مبالغته
في اظهار السرور والابتهاج في مناسبة
شخصية، في وقت يعاني فيه شعبه من نكبات
الحرب التي يتساقط فيها مئات القتلى من أبنائه
يومية.



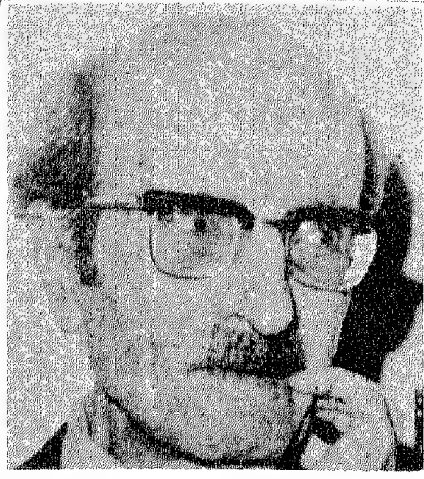
فارس الخوري

نشرت في صحف دمشق، ثم جمعت في كتاب
نشر في مصر في ١٩٠٦ بعنوان «وقائع الحرب».
تصف القصيدة الأولى إعلان الحرب،
والمعركة البرية الأولى بين الروس واليابان،
وغيرها من الوقائع حتى «موكدن»، ومنها قوله
في غرق الأميرال «مكاروف» وأثره في معنويات
الروس:

على مكروف قد بكت البواكي
وأطلقت المدامع والشعورا
بمصرعه عزوم الروس خارت
وحق لها بذلك ان تخورا
رجاء القوم معقود عليه
ليدفع عنهم الخطب العسيرا
فكان بهديه قمرا مضيئا
وكان بكره أسدا مزيरा

أما القصيدة الثانية، فهي في وصف معركة
«موكدن» وفيها يقول:

ودارت للمنون رحي طحون
لها الاجساد قد صارت طحينا
وطبق كل ناحية دخان
كثيف، أسود، يعمي العيونا
فليس بمبصر أحد أخاه
ولا هوسامع منه الانينا
وتتناول القصيدة الثالثة وصف وقائع
استطول البلطيق الذي أغرق في مضيق
«تسوشيما»، ثم عقد الصلح، منها وصفه
الأميرال الياباني طوغو:



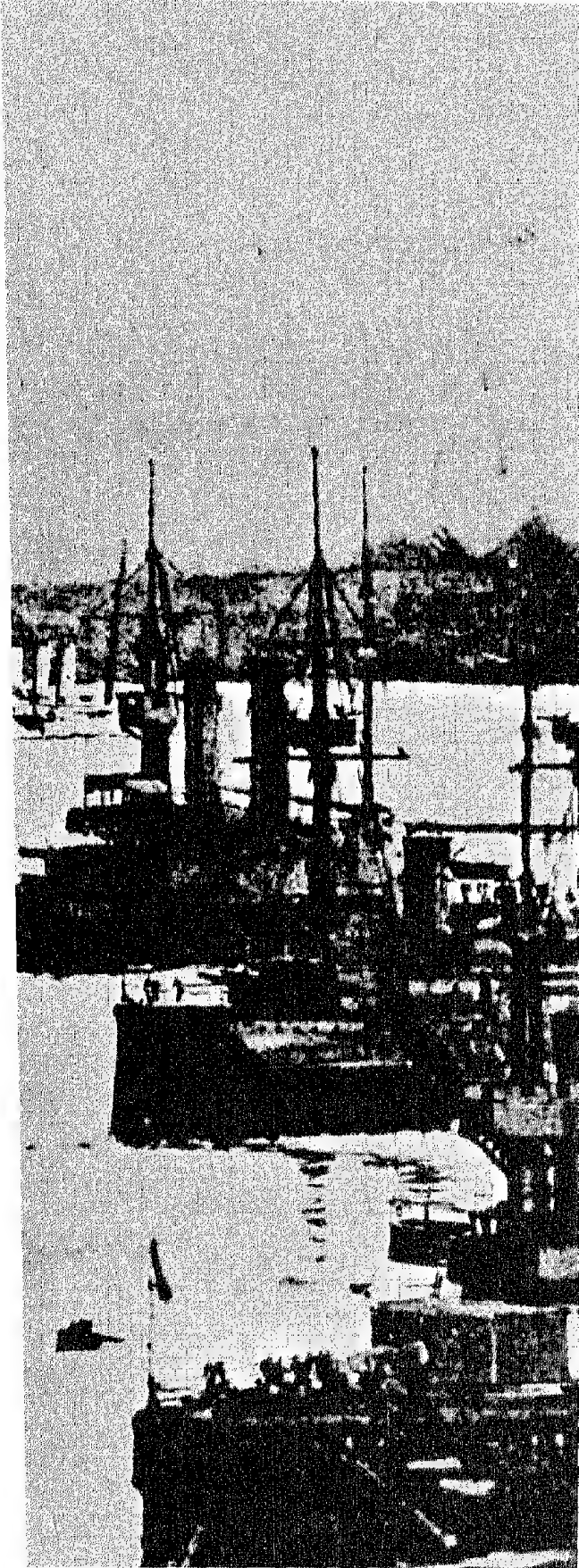
ميخائيل نعيمة

تعد نفسها حامية للارثوذكس — بصفتها أكبر دولة ارثوذكسية — وقد أظهرت حمايتها هذه بوسائل عديدة منها الارساليات الدينية، والمدارس التابعة لها، ومنها تشجيع التجارة. وكانت تهتم بوجه خاص بالقدس، وبالأراضي المقدسة في فلسطين، وقد أسست لهذه الغاية «جمعية فلسطين الروسية الامبراطورية» برعاية القيصر، وكان رئيسها العامل الغراندوق «سرجيوس» عم القيصر، ففتحت هذه الجمعية كثيرا من المدارس في فلسطين ثم في سوريا ولبنان^(١٠)، كما أسست مدرسة لتخريج المعلمين والمعلمات في «الناصرية» وفي «بيت جالا» لسد حاجة مدارسها منهم، لان التدريس فيها كان باللغة العربية، مما لا يمكن معه استقدام المعلمين لها من روسيا. وقد بزت روسيا منافساتها، بأن مدارسها كانت مجانية، وبأنها كانت تنسق برامجها على أحدث الأساليب التربوية^(١١). وكان من الطبيعي ان تبعث المدارس الروسية في نفوس طلابها شعورا خاصا نحو روسيا، قوامه المحبة والاعجاب. ويصف ميخائيل نعيمة الذي تعلم في إحدى مدارس الارساليات الروسية في لبنان وفلسطين هذا الشعور في مذكراته قائلا: «لقد أخذتنا نشوة من الاعتزاز بمدرستنا الجديدة، إذ كنا نشعر ان من ورائها دولة عظيمة تهابها الدول. وها هي صورة القيصر نقولا الثاني وصورة القيصرية ألكسندرا في اطارين مذهبين تزيان صدر البهو الكبير»^(١٢).

ولا شك ان اهتمام شاعر وطني، وسياسي قومي كفارس الخوري بأحداث هذه الحرب، يدل على الصدى القومي الذي أحدثته في البلاد العربية، كما انه يدل على ان تلك الحرب وعبرها، والوطنية التي أظهرها اليابانيون الشرقيون فيها، قد زودت العرب بحقائق وتجارب وأمثلة في الوطنية، وجدوا انهم يستطيعون الاستفادة منها في نضالهم لتحرير بلادهم، وفي الثورة التي كانوا يستعدون لها. «ولو أردنا تعداد القصائد والمقالات التي أثارها هذه الحرب أو ذكرياتها»، كما يقول أنيس المقدسي، «لضاق بنا الصفحات الكثيرة. وليس غرضنا من الإشارة إليها وضرب الأمثلة عليها، إلا اثبات حقيقة قد تضع في مطاوي الأيام، أو تذهب بذهاب الذين عرفوها بالاختبار، وهي ان النهضة اليابانية التي بلغت أوجها في حرب ١٩٠٤ — ١٩٠٥ قد حركت عواطف الوطنيين في مصر والشام والعراق، فظهر ذلك في أدبهم المنظوم والمنثور، وكان من الأسباب الممهدة لذلك الانقاد الوطني الذي عقب اعلان الدستور العثماني، فعزز الروح الشرقية في جميع الاقطار العربية»^(٨).

وهناك اتجاه آخر في موقف بعض الأدباء العرب من الحرب الروسية — اليابانية ظهر بصورة خاصة بين أدباء لبنان والمهجر، واتسم بالعطف على روسيا، والتحمس لها في نزاعها مع اليابان، والخيبة والأسف لاندحارها.

ومن المعروف ان «بلاد الشام» في العهد العثماني كانت تحت النفوذ الفرنسي من الناحية الثقافية، وأن فرنسا لم تخف ادعاءها بما كانت تسميه حقوقها في سوريا، فكانت تمد الارساليات الدينية بالمال، وتعمل على اعطاء الناشئة نوعا من التعليم هو جيد في حد ذاته، ولكنه يستهدف صب أفكار النشء في قالب فرنسي، وتوجيه أذهانهم وولائهم الفكري نحو فرنسا. ولكن روسيا كانت ترمي إلى الغاية نفسها، وتنافس فرنسا في ذلك منافسة شديدة^(٩). وربما كان لبنان وفلسطين في ذلك العهد أوثق البلاد العربية صلة بروسيا بسبب انتماء نسبة كبيرة من المسيحيين فيهما إلى الكنيسة الارثوذكسية. وكانت روسيا القيصرية



وكان الروم الارثوذكس يحبون الروس حبا يقرب من العبادة^(١٣)، وينظرون إلى روسيا كحامية لهم، وكضمان تجاه الدولة العثمانية التي يؤلفون فيها أقلية دينية لا تتمتع بحقوق كاملة^(١٤). ويصف ميخائيل نعيمة مشاعرهم نحو روسيا أو «بلاد المسكوب»، كما كانوا يسمونها، فيقول: «... وكل ما عرفناه ان (المسكوب) قوم أشداء وكرماء، يحكمهم قيصر، تهتز لكلمته جميع ملوك الأرض، وانهم يقطنون بلادا شاسعة وباردة في الشمال، وانهم (روم) مثلنا. ولذلك يعطفون علينا، ويحرصون على الدفاع عنا وعن (ديننا) الذي هو الدين الصحيح...»^(١٥).

ولما نشبت الحرب الروسية — اليابانية، كان ميخائيل نعيمة قد انتقل إلى مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة، وهو يتحدث عن موقف طلابها من روسيا خلال تلك الحرب، ومدى اهتمامهم بأخبارها قائلا: «نشبت الحرب الروسية — اليابانية ابان دراستي في الناصرة. واني لأذكر بأي لهفة كنا نتسقط أخبارها على قلة الوسائل في ذلك الزمان لنقل الأخبار. فالراديو كان لا يزال في ضمير الغيب. والصحيفة الوحيدة التي كانت تأتينا بعد أسبوع أو أكثر من صدورها في بيروت البعيدة. والصحف بالروسية كانت تصلنا بعد شهرين من تاريخ صدورها. وعندما بلغنا خبر الفاجعة التي حلت بالأميرال (مكاروف) ودراسته (بتروفا فلوفسك) في ميناء فلاديفوستوك، كان له وقع الصاعقة في نفوسنا. وكان في الناصرة شيخ أمي، طاعن في السن، يتعشق روسيا وذكرها حتى الجنون. وكان في كل يوم يأتي إلى المدرسة ليقف من التلاميذ على آخر أنباء الحرب...»^(١٦).

ولم يكن نظام عبد الحميد الصارم، والرقابة المشددة على الصحف العربية، ليسمحاً للكتاب العرب وشعرائهم بالتعبير عن مشاعرهم في صحافة بلادهم. وقد أدت الرقابة المستمرة، وسياسة الارهاب والتجسس إلى لجوء كثير من المفكرين والكتاب إلى الهجرة.

ولذلك كانت صحف المهجر في بعض الحالات أكثر تعبيراً عن المشاعر والاتجاهات السائدة في

ولم يكتم أسعد رسم خيته الكبرى لانحمار روسيا وهزائنها، ويقول بأسلوب من فكاهة مبررة، لعل الله شجر من كثرة سماعه دعاهم للروس بالنصر فأراد معاقبته بدهرهم: وشربنا أسرارنا وسألنا الـ إنما كلما طلبنا لروسيا

لـ نصبرا للروس في الهيجا

لـ انتصارا لروس قهقري للواء

قد دعونا للروس بالفوز حتى

شجر الله من سماع الدعاء

وانقاما منا لى الله ان يثـ

صبرهم في الرغبة على الأعداء

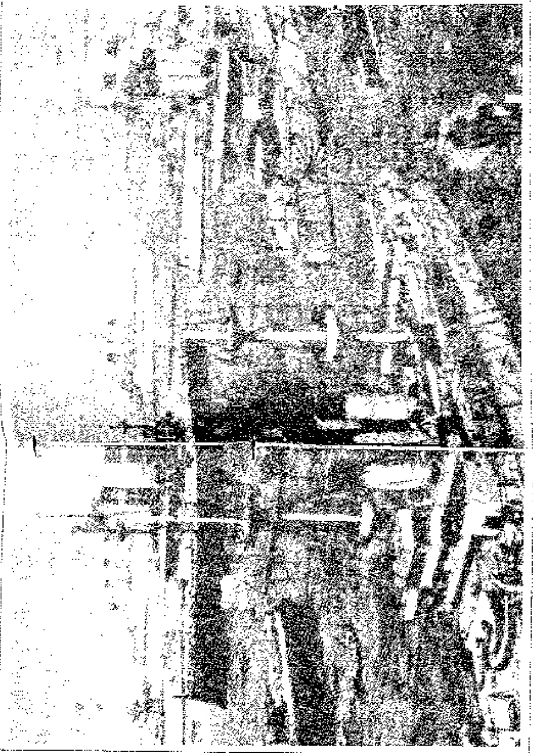
وشة شاعر مهجري آخر في أميركا الشمالية، أشار إليه كراشكوفسكي، وهو سليلان داود سلامة اللباني، وقد نشر في جريدة «الهيبة» التي كانت تصدر في نيويورك قصائد عديدة عن العرب الروسية — اليابانية، ثم جمعها في ديوانه الذي نشر في ١٩٠٥، وبينها قصائد تتم عنايتها عن مضامينها: «روسيا واليابان» و «الحرب الروسية — اليابانية» و «بورت آرثر» الخ^(١٧)...

أما شعراء المهجر في أميركا الجنوبية، فكان أكثرهم اهتماما بهذه الحرب «قصر إبراهيم الملقب»^(١٨)، وفي ديوانه قصائد عنايتها «مؤتمر لاهاي» و «بورت آرثر» وما أشبه.

ولم يقتصر صدق الحرب الروسية في الأدب العربي على الشعر وحده، ولكن ذلك الصدى في الشعر كان أقوى منه في النثر. وربما كان سبب ذلك أن الأشكال الفنية التي تصلح لتصوير مثل ذلك الحدث تصويراً فنياً، كالقصة والرواية والمسرحية لم تكن قد تبلورت في الأدب العربي في تلك الفترة، فلم تظهر سوى محاولات محدودة في عدها، تافهة في قيمتها الأدبية، أهمها رواية وضعها «عقرب صروف» صاحب المقتطف، عنوانها «قناة مصر» نشرت في المقتطف، ثم أعيد طبعها أربع مرات، آخرها في ١٩٢٢.

في الرواية عن فتي انكليزي وأخته أرفدا إلى اليابان قبل حربها مع روسيا، مراسلين لجريدة انكليزية يصدرها أبوهما، ويتوقف القارئ وأخته في مصر. وفي طريقهما إلى اليابان، يتعقبهما تاريخ العرب والعالم — ٤٩

الاستول الياباني قبل هجومه.



لا ينسى الإشارة إلى قتل الحرب أيضا — وأن كانت الإشارة بلهجة أخف من لهجة قارص الخوري — فيقول، إن الله من عليه يقولون ذكر لي عرف قدر الذكور، ويشعر بشعور الآباء الذين تحصد الحرب أبنائهم، فيقول: ما بين طعن القنا والصلم الذكور عليكم أنعم الرحمن بالذكور قد استجاب الدعاء والحرب دائمة وفي استجابته معني لمفكر أراد أن تعرفوا قدر الذكور وكم يصول آباءهم بالذكور والسهر وفي قصيدة أخرى عنوانها «بورت آرثر أثناء حرب الروس واليابان»، يصف حصار حصن «بورت آرثر»، واستئصال القوات الروسية بقيادة الجنرال «ستوسل» في الدفاع عنها ومظلمها: في بورت آرثر تخفق الرايات وتشن فيها للردى غارات وفيها يقول: وهناك في إحدى الحصون «ستوسل» كالبليث منه ترعد الزفرات مسالوه تسليمها لهم فأجابهم أنسى، وفي أجسادنا نسمات

البلاد العربية. وكانت قد تكونت في أميركا الشمالية والجنوبية في ذلك الوقت جالية عربية كبيرة، يؤلف السوريون واللبانيون أغلبها الساحقة، وكان بينهم عدد من الشعراء والكتاب والصحفيين الذين وجدوا في تلك البلاد محلا للتعبير عن مشاعرهم ومشاعر أبناء وطنهم بحرية.

أما فيما يتعلق بصدى الحرب الروسية — اليابانية، فإنا لا نجد في إنتاج أدباء المهجر وشعرائه انعكاسات عرسية، كالتي في شعر حافظ إبراهيم ومعروف الرصافي مثلا، بل تيارا معينا سيطر على اتجاه عدد منهم، وأبرزهم في هذا الاتجاه الشاعر «أسعد رستم»^(١٧).

وفي ديوان رستم ثنائي قصائد عن الحرب الروسية — اليابانية^(١٨)، تدل جميعا على اهتمام خاص بروسيا وأحداثها، وهو اهتمام غريب، لا يمكن تفسيره بسهولة. فأسعد رستم لم يكن أرتزكسيا — بل إن والده كان شيخ الكنيسة الانجيلية في بعلبك — كما أنه لم يدرس في مدارس الإنسانيات الروسية، ولا ترتبط بروسيا صلة خاصة ولم يسافر إليها قط^(١٩). ومع ذلك، فهو يظهر عتقا شديدا على روسيا، وانتصارا قويا لها، ويشيد برعايتها لسوريا، فيقول مثلا: «سوريا حزن روسيا وتفرحنا أفراحها، فهي فخر العالم البشري وهي التي شملت أنظارها الوطن الـ سوري، فليشملها الله بالنظر وكذلك يعجب أسعد رستم، في غير موضع، عن أمه بأن تخرج روسيا من حربها مع اليابان ظافرة، وأن تقهر اليابان التي يصورها بصورة تنم عن الاحتقار بالدولة الصغراء، فيقول، مخاطبا الجنرال كوياتكين الروسي: ألا أرح الدنيا من الدولة الصغرا وضع براح النصر موضعها صفرا وحكم سيوقا في رقاب رجالها وغادر أراضيهم لهم بالقصا قفرا وعد يا كوياتكين من الشرق ظافرا ومن أم اليابان خذ ما تشاء أسرى

جاسوس ياباني تلقى الشرطة اليابانية القبض عليه فيما بعد. وعند عودتهما تغرق سفينتهما قرب إحدى الجزر، ولكنهما ينجوان بأعجوبة، ويعودان إلى مصر ثانية. وتجري معظم حوادث هذه الرواية في مصر، وبعضها في إنكلترا واليابان — خلال الحرب — وأقل من ذلك في روسيا^(٢٢).

ومما كتب بوحى من تلك الحرب أيضا مسرحية وضعها وهبي تادرس بعنوان «بطرس والكسي». وقد نشرت هذه المسرحية في القاهرة في ١٩٠٥، ومثلت على بعض المسارح المدرسية، ولكنها لم تكن مستوفية الشروط الفنية، بل كانت من قبيل المسرحيات التي يكتبها المدرسون، بأسلوب خطابي، ليمثلها طلابهم في الحفلات المدرسية.

وهناك رواية أخرى نشرت في المهجر بعنوان «بورت آرثر» من تأليف أسعد منصور صدرت عن دار «مرآة الغرب» في ١٩٠٦، والشخصية الرئيسية في هذه الرواية ضابط روسي اسمه «إيفان» وهو كولونيل في القوة البحرية. يقابل «إيفان» خطيبته في موسكو، ثم يرسل إلى «بورت آرثر». وتتناول الرواية بعد ذلك عرضا مفصلا لأحداث «بورت آرثر»، وتنتهي بوصف مختصر لعودة بطل الرواية إلى موسكو بطريق «أوديسا». وفي الرواية مشاعر وطنية تشابه بعض المشاعر الساذجة التي تظهر في شعر المهجر. ويتضمن الكتاب تصويرا لعدد من الشخصيات العسكرية الروسية واليابانية.

أما في ميدان الصحافة، فقد كان اهتمام الصحف العربية بأحداث هذه الحرب طبيعيا، لأنها كانت أهم أحداث الساعة في العالم. وكانت الصحف اليومية والمجلات الدورية الصادرة أبان الحرب طافحة بأخبارها. وفي أعداد «الهلال» و«المقتطف» الصادرة في تلك الفترة مقالات كثيرة عن روسيا واليابان، والحرب الدائرة بينهما، تتضمن تحليلا لأسبابها، ووصفا لمعاركها، وتنبؤات عن مستقبلها. ولكن هذه المقالات، بالرغم من مستواها الجيد في بعض الحالات، لا تعد نثرا فنيا، ولا أدبا سياسيا، ولا تخرج عن حيز الكتابات السياسية التي تفقد قيمتها بزوال المناسبة التي كتبت فيها. أما اتجاه تلك المقالات، ونظرتها إلى الحرب، فكان

متشابهة، إذ انها كانت متفقة جميعا، في بداية الحرب، على أن النصر سيكون لروسيا. فكتبت «الهلال» مثلا في عددها الصادر في شهر مارس ١٩٠٤، تقول: «... والحرب الحاضرة: إما أن يفوز بها الروس قريبا فتمهد لهم السيطرة على الصين، أو أن يفوز بها اليابانيون، فيكون ذلك التمهيد لهم. ولكن العارفين لا يقدرون الفوز إلا مؤقتا، ولا بد أخيرا من فوز الروس»^(٢٣).

كما أن تلك الصحف كانت تنظر إلى الحرب الروسية — اليابانية على أنها صراع بين الشرق والغرب، وترى في اليابان رمزا للشرق، وفي انتصارها انتصارا للشرق على الغرب. كما انها كانت تأمل في أن يؤدي انتصار اليابان — في حالة تحققه — إلى أن «يستريح أهالي الشرق الأقصى من غطرسة الغربيين نوعا، ويحسن الأوروبيون معاملتهم ومجاملتهم بما لم يسبق لهم مثله إلى هذا التاريخ»^(٢٤).

ونشرت «المقتطف» خلال الشهور الأولى من الحرب مقالا افتتاحيا، في ثماني صفحات بعنوان «الحرب بين الروس واليابان» جاء فيه: «إن للحرب الحاضرة أكبر شأن في مصالح البشر، وعليها سيكون مدار المناظرة القديمة بين الشرق والغرب. فإن فازت روسيا، وسحقت دولة اليابان، بقي الفوز للغرب على الشرق قرونا كثيرة. وإن فازت اليابان، ولم تعارضها في إنهاء بلاد الصين، فلا يستبعد أن يعود الفوز للشرق في بلاد المشرق في القريب العاجل»^(٢٥).

والخلاصة أن الحرب الروسية — اليابانية كان لها صدى كبير في الأدب العربي الحديث الذي أنتج خلالها. وقد استمر هذا الصدى يتردد حوالي عشرين سنة بعد أن وضعت أوزارها. ويعود السبب إلى أن تلك الحرب كانت أهم الأحداث الدولية في ذلك الوقت، ولم يكن العالم قد شهد حربا في نطاقها الواسع منذ مدة طويلة. كما انها كانت أول حرب تقف فيها دولة شرقية في وجه إحدى الدول الأوروبية الكبرى، ثم تخرج منها منتصرة، مما أثار مشاعر الاعتزاز والفخر بين الشعوب الشرقية. وقد حركت نهضة اليابان عواطف الوطنيين في البلاد العربية، وعرثتهم منها هزة وطنية، فأخذوا

يدعون إلى اتخاذ اليابان قدوة في نهضة بلادهم وأمتهم. وكانت مشاعر أكثرية الأدباء تميل إلى اليابان بدافع النعرة الشرقية، وإن ظهر بينهم من أبدى العطف على روسيا، وتمنى انتصارها، بسبب الرابطة الدينية.

إن الأدب الذي كتب بوحى من هذه الحرب — وخاصة في مجال الشعر — قد أغنى الأدب العربي، وأضاف إلى الشعر العربي المعاصر لونا انقطع عنه الشعراء العرب منذ مدة طويلة، وهو وصف المارك والحروب، ولم تظهر العناية بهذا اللون مرة أخرى إلا بعد نشوب الحرب العالمية الأولى.

الهوامش

- (١) قدرت خسائر اليابان بـ (١٧٥,٠٠٠) قتيل. أما خسائر الروس فكانت حوالي (٣٠,٠٠٠) جندي.
- (٢) تصنيف المصادر السوفيتية إلى أسباب اندحار روسية «خيانة عدد من الجنرالات القيصريين وجهلهم في المسائل الحربية»: آ. بريسوف، وآخرون «تاريخ اتحاد الجمهوريات السوفيتية — موجز»، موسكو، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، الطبعة العربية. ص ١٩١.
- (٣) إن أول باحث أشار إلى هذا الأثر فيما نعلم، هو الاستاذ أنيس المقدسي في دراسة له عن «العوامل الفعالة في الأدب العربي الحديث»، نشرت للمرة الأولى في المقتطف (المجلد ٩٣ و ٩٤) في ١٩٣٩، ثم أعيد طبعها ضمن كتابه «الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث» بيروت، ١٩٥٢، ص ٢٧ — ٣٠. كذلك أشار إليه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في بحثه المعنون «أصداء ثورة ١٩٠٥ في الأدب العربي» والذي نشر باللغة الروسية في مجلة «الاستشراق السوفيتي»، ج ٣، ١٩٤٥، ص ٥ — ١٤.
- (٤) روفائيل مسيحية «حافظ إبراهيم — الشاعر السياسي»، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٧، ص ٣٢ — ٣٣.
- (٥) نشرت القصيدة في العدد الصادر في أول كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤، ج ١٢، م ٢٩، ص ١٠٦٨، وسقطت «بورت آرثر» في الثاني منه.
- (٦) ديوان الخطيب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩، ص ٧٣.
- (٧) صدى خاطر، ١٩١٣، ص ٢٤.
- (٨) أنيس الخوري المقدسي، «الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث»، بيروت، منشورات الجامعة الأميركية، ١٩٥٢، ص ٣٠.

- (٩) جورج انطونيوس، «يقظة العرب»، الطبعة الانكليزية، لندن ١٩٣٨، ص ١٥٣.
- (١٠) أسعد خليل داغر، «المدارس الروسية في سورية»، المقتطف، المجلد ٢٦، ج ١٠، القاهرة، أكتوبر ١٩٠١، ص ٩٠٢.
- (١١) ساطع الحصري، «محاضرات في نشوء الفكرة القومية»، القاهرة، ١٩٥١، ص ١٧١.
- (١٢) ميخائيل نعيمة، «سبعون»، بيروت، ١٩٥٩، ج ١، ص ٧٦.
- (١٣) أسعد خليل داغر، المرجع السابق، ص ٩٠٢.
- (١٤) ساطع الحصري، المرجع السابق، ص ١٦١.
- (١٥) ميخائيل نعيمة، «أبعد من موسكو ومن واشنطن»، بيروت، ١٩٦١، ص ٦٤.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٦٨.
- (١٧) من شعراء المهجر، ومن ضهور الشوير في لبنان. ولد في بعلبك في ١٨٧٥، وهاجر إلى الولايات المتحدة في ١٨٩٢، ونشر في الصحف العربية التي كانت تصدر فيها قصائد جمعها في ديوان عنوانه «ديوان رستم»، طبع في بيروت، المطبعة الأدبية ١٩٠٨. ويغلب على شعره الطابع الهزلي الخفيف، وهو ضعيف التركيب وفيه الكثير من التعابير العامة.
- (١٨) وفي ديوان رستم قصيدة تاسعة تتعلق بروسيا أيضا، ولكنها ليست عن الحرب الروسية — اليابانية، بل عن حادثة قديمة هي معركة برثوب بين روسيا وتركيا في ١٧١٠، وعنوان القصيدة «بطرس الأكبر وزوجته كاترينا والقائد التركي»، ص ٢٦٦.
- (١٩) ترجمة أسعد رستم بقلمه، في مقدمة ديوانه، ص ٥ — ٧.
- (٢٠) أشار إلى هذا الديوان كراتشكوفسكي. المرجع السابق، ص ٩.
- (٢١) من شعراء المهجر في البرازيل. ولد في زحلة في ١٩٠٣، وعاد في أخريات أيامه إلى لبنان. وقد جمع شعره في ديوان «تذكار المهاجر»، طبع في سان باولو، مطبعة المناظر، في ١٩٠٤، وقصيدته «عليا وعصام» نالت شهرة خاصة في العراق، وأخرجت في فيلم سينمائي.
- (٢٢) نقد تحليلي لهذه الرواية ظهر في «المقتطف»، المجلد ٣١، الجزء السابع، يوليو (تموز)، ١٩٠٦، ص ٥٤٥.
- (٢٣) الهلال، السنة ١٢، ج ١١، مارت ١٩٠٤، ص ٣٤٩.
- (٢٤) من مقال بتوقيع (م. ع. ج.) «الحرب الحاضرة ونتائجها»، المقتطف، مجلد ٣٠، ج ١، كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥.
- (٢٥) «المقتطف»، المجلد ٢٩، ج ٣، مارت ١٩٠٤، ص ١٩٣.

تحليل الاتجاهات السياسية في لبنان

١٩٢٠ - ١٩٥٢

د. حسان حلاق



منصة الاحتفال بولادة دولة لبنان الكبير (١٩٢٠)

تعتبر الاتجاهات السياسية في لبنان من أعقد الدراسات التاريخية المعاصرة وأصعبها نظراً لتعدد الاتجاهات وتناقضها وتشابكها وتبدلها باستمرار ونظراً لأن هذه الاتجاهات ليست هي في الحقيقة تيارات سياسية فحسب، بل هي تيارات طائفية ودينية ومنفعية، بل هي في حقيقتها ليست اتجاهات وتيارات لبنانية بقدر ما هي اتجاهات عربية أو صهيونية أو دولية: أوروبية أو أميركية أو سوفياتية.

تتخذ أحياناً طابع الصراع الدولي — تبعاً لصراع الأحزاب اليمينية واليسارية، أو صراع الفئات السياسية التي كان بعضها يدين بالولاء لهذه الدولة أو تلك. وعلى هذا يمكن عملياً أن نقسم الاتجاهات السياسية في لبنان في الفترة،

هذه التيارات السياسية المتصارعة، كانت تتخذ حيناً طابعاً سياسياً بحتاً وطوراً تتخذ طابعاً طائفيّاً، وذلك تبعاً للظروف والحالات التي تمر بها وتبعاً للعوامل الكامنة في تحريكها، بل كانت هذه التيارات



د. حسان حلاق، مدرس التاريخ في كلية الآداب — جامعة بيروت العربية، له عدة مؤلفات في التاريخ المعاصر منها: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية / الاتجاهات السياسية الطائفية في لبنان / وتغريب النقود والدواوين في العصر الأموي...

المسيحية تخوفت من هذه التحركات والمطالب
الاسلامية.

ومن الاهمية بمكان القول أن الفرنسيين
استغلوا هذه الانقسامات بين اللبنانيين وغذوها
كي يتمكنوا من إحكام قبضتهم على البلاد
وبصورة أسهل. وكان الوجدويون يعبرون عن



الجنرال غورو

رفضهم للصيغة الجديدة برفضهم قبول
المناصب الحكومية باستثناء قلة منهم لئلا يفسر
قبولهم بها اعترافاً بواقع ١٩٢٠، الأمر الذي
أدى إلى أن يتولى المسيحيون غالبية المناصب
الكبرى، والهامة في الدولة، وكان ذلك سبباً هاماً
ورئيسياً في أن الادارة اللبنانية أصبحت
«مسيحية الطابع». هذا ولا يمكن أن ننكر في أن
المسلمين يتحملون الكثير فيما وصلت إليه
الادارة اللبنانية من غياب إسلامي فيها، وكان
هذا الحرمان والابتعاد عن مناصب الدولة
نتيجة إيمانهم وتشبثهم بالوحدة السورية. ولما
حاول المسلمون في أواخر الثلاثينات القبول
بدولة لبنان الكبير والدخول إلى مناصب الدولة
كانت الادارات والوظائف تغص بسواهم ممن
سبق لهم أن باركوا وأيدوا إعلان غورو.

من ١٩٤٣ إلى ١٩٥٢ إلى عدة أقسام وهي:

- ١ — اتجاهات سياسية وطائفية لبنانية.
- ٢ — اتجاهات سياسية عربية.
- ٣ — اتجاهات سياسية صهيونية.
- ٤ — اتجاهات سياسية دولية.

ومن خلال هذا التفريع للاتجاهات السياسية
في لبنان يتبين لنا بأن التيارات السياسية من
المنطلقات غير اللبنانية هي الغالبة والمسيطرة
على الفكر السياسي اللبناني، هذا مع العلم أن
التيارات اللبنانية ليست بالضرورة أن تمثل
تياراً سياسياً إصلاحياً وطنياً، بل قد تمثل تياراً
منفعياً استغلالياً.

إن الاتجاهات السياسية في لبنان، في الفترة
موضوع الدراسة، تعتبر من أهم الفترات في
تاريخ لبنان المعاصر، لأنها الفترة التي وضعت
فيها المحاولات الأولى لأسس دولة الاستقلال،
وهي الاسس الطائفية التي لا يزال يعاني منها
لبنان إلى عهدنا الحاضر، وهي الاسس التي
انطلقت منها كافة المفاهيم السياسية
والاقتصادية والاجتماعية، خاصة وإن ساسة
عام ١٩٤٣ ظنوا أنهم قادرون على فصل لبنان
١٩٤٣ عن لبنان الانتداب ولبنان الامتيازات.
فمنذ أن أعلن الجنرال «غورو» (gouraud) في
أول أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ دولة لبنان الكبير.
ولبنان يثن من الصراعات السياسية أو
الطائفية، ومنذ ذاك التاريخ ازداد انقسام
اللبنانيين على انفسهم، فرغم أن دولة لبنان
الكبير وحدت لبنان جغرافياً غير أنها لم تستطع
أن توحد اتجاهات اللبنانيين السياسية، بل على
العكس فمنذ اعلان غورو لبنان الكبير رفض
الوجدويون — أكثرهم من المسلمين — الصيغة
الجديدة، ونزعوا أكثر نحو المطالبة بتحقيق
الوحدة السورية بين المناطق الساحلية في لبنان
وبين سوريا الداخلية. كما ضاعف ذلك الاعلان
من اتجاه المسيحيين وبالتحديد الموارنة نحو
الانفصال التام عن سوريا والقبول بدولة لبنان
الكبير في ظل الانتداب الفرنسي، فيما رأى
القنصل البريطاني «ساتو» (Satow) بأن بعض
المسلمين ايدوا صيغة لبنان الجديد، ولكنهم
طالبوا باقامة العدل والمساواة، غير أن العناصر

ومن المهم القول أن الدستور اللبناني الذي نشر في ٢٣ أيار (مايو) ١٩٢٦ في عهد المندوب السامي هنري دي جوفنيل (H. de Jouvenel) خرج دستوراً طائفيًا. فقد أوصى في مواده بتوزيع وظائف الدولة وتشكيل الحكومات على أسس طائفية، مما أدى إلى حدة الانقسامات بين اللبنانيين وقد نصت المادة (٩٥) على التوزيع الطائفي صراحة بقولها: «بصورة مؤقتة وعملاً بصك الانتداب والتماساً للعدل والوفاق، تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة، وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الاضرار بمصلحة الدولة» والغريب في الأمر أن هذه «الصورة المؤقتة» منذ عام ١٩٢٦ لا تزال مستمرة بنصها الحرفي إلى وقتنا الحاضر، الأمر الذي أدى إلى تكوين الطائفية السياسية التي لعبت دوراً بارزاً في تكوين الاتجاهات الحزبية والقيادية والفكرية. والجدير بالذكر أن دستور عام ١٩٢٦ ظل معمولاً به في عهود الاستقلال باستثناء تعديلات طفيفة واهية طرأت عليه في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ لا تزيد عن تغيير ألوان العلم اللبناني، وإلغاء الفرنسية من إدارات الدولة والبقاء على اللغة العربية فحسب كلفة رسمية في الدولة، وحذف عبارة «عملاً بصك الانتداب» من بنود الدستور.

والحقيقة أن فرنسا ساهمت بدورها في تعميق الطائفية السياسية وبتكريس الانقسامات بين اللبنانيين، ومما ساهم في ذلك شعور المسلمين بالغبن لا سيما بعد اعترافهم بواقع لبنان الكبير، فبالإضافة إلى انتفاء أي احتمال لوصولهم لمنصب رئاسة الجمهورية منذ عام ١٩٢٦، فانهم أبعادوا أيضاً عن منصب رئاسة الوزارة ولم يتولوا هذا المنصب ولأول مرة إلا في عهد الرئيس إميل أده (١٩٣٦ - ١٩٤١) الذي اختار مسلماً موالياً للفرنسيين هو خير الدين الأحذب. وعلى حد قول الوزير البريطاني «سبيرز» (Spears) بأن الفرنسيين سيطروا على البلاد وحكموها بتقريب الموارنة إليهم واعطائهم امتيازات امتازوا بها عن سواهم من الطوائف. وفي عام ١٩٤٣ وعندما تمكن اللبنانيون من

نيل استقلالهم بعد أحداث تشرين الثاني (نوفمبر) استمرت الاتجاهات السياسية - الطائفية تفعل فعلها في «المجتمعات اللبنانية» ولم تحاول دولة الاستقلال صهر هذه «المجتمعات» في مجتمع لبناني واحد بل رأت أن خير وسيلة للبقاء على المصالح الذاتية هي في الابقاء على روح الاسلوب الفرنسي باستغلال الفكر الطائفي والديني وأحياناً السياسي واستخدامه كوسيلة يهدد به اللبنانيون بعضهم الآخر به كسلاح سريع الأثر.

ويلاحظ بأن النظام السياسي الطائفي حكم لبنان على أساس أنه بلد عشائري ذلك «أن خمس لبنان يحكم البلد بواسطة رئاسة الجمهورية - والموارنة خمس اللبنانيين - وخمس لبنان الآخر - السنة - يحكم البلد بواسطة رئيس الحكومة والشيعي والدرزي والأرثوذكسي والكاثوليكي والأرمني والأشوري والكلداني وما إلى ذلك يحكمون لبنان، هذا بخمسه وهذا بسدسه وهذا بعشره و... كأننا في نظام العشائر والبطون والافخاذ» وذلك على حد قول كمال جنبلاط في عام ١٩٥٨.

حقيقة أن الميثاق الوطني الذي أوجده بشارة الخوري ورياض الصلح كان لتهدئة الاوضاع السياسية في لبنان ولتأمين استقرارها، غير أنه منذ ولادته عام ١٩٤٣ ولد ميثاقاً طائفيًا بأساليب سياسية، وكان بمثابة أداة تهدئة مؤقتة بين اتجاهين:

أولهما، الاتجاه الاسلامي الوحدوي الذي كان يؤمن بتحقيق الوحدة السورية.

وثانيهما، الاتجاه المسيحي اللاوحدوي الذي يؤمن باستقلال لبنان بحماية أجنبية.

غير أنه تبين من خلال ممارسات السياسيين في الفترة من ١٩٤٣ إلى ١٩٥٢ ان ما من أحد منهم إلا واستمر يعمل أو يصرح من أجل الوحدة العربية أو من أجل الحماية الاجنبية، مرة علانية ومرة أخرى في الخفاء. وراح رياض الصلح مثلاً يعمل من أجل التوازن العربي - اللبناني كقوله: «ماذا يمنع أن يكرس العلم اللبناني عربياً بألوانه، وأن تحتل الارزة صدر هذه الألوان» على حد قول صحيفة «الأيام» الدمشقية، مما أثار احتجاجاً لدى الأوساط



رياض الصلح



بشارة الخوري



كمال جنبلاط

كان وفاز حبيب أبو شهلا بأكثرية ضئيلة... وهكذا استمرت الزعامات اللبنانية في استغلال «المجتمعات اللبنانية» المتناحرة أساساً، وكان كل زعيم أو نائب يمثل طائفته ومجتمعه الضيق رغم أن الدستور اللبناني يعتبر أن كل نائب يمثل كل لبنان وليس ناخبه فحسب، مما أدى إلى زيادة المناحر والانقسامات والتهافت على كسب المغنم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي كان يؤدي إلى انهيار أسس لبنان قبل تركيزها. ولم تحاول تلك الزعامات الوقوف بجرأة في وجه التيارات الطائفية، بل كانت تشجعها حرصاً منها على مصالحها السياسية الخاصة. حتى أن رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه ووزرائه كثيراً ما كانوا يحرصون على أخذ آراء القوى الطائفية، السياسية والدينية على السواء استرضاء وتخوفاً من تهجم أو معارضة أو نقد. ونظراً لتردي الأوضاع السياسية والإدارية في الدولة برزت قوى معارضة ادعت أن هدفها «الإصلاح» في الإدارات والشؤون العامة سرعان ما ينتهي هذا الهدف حينما تتولى زمام الحكم. غير أنه مما لا شك فيه أن تشابك الصلاحيات بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء كان من شأنه تعقيد الكثير من الأمور

اللاوحدوية. وكانت بعض الأوساط السورية لا تزال تطالب حتى هذه الفترة بإلحاق المناطق الساحلية اللبنانية بسوريا مما أثار العديد من التساؤلات حول حقيقة الموقف السوري. والحقيقة التي لا ينبغي تجاهلها هي أن الميثاق الوطني — خلافاً للفكرة السائدة في لبنان والخارج — ليس اتفاقاً نهائياً على توزيع الرئاسة الثلاث بين الموارنة والسنة والشيعة، بل هو في الحقيقة اتفاق على أن يبتعد المسلمون عن اتجاهاتهم الوحدوية مقابل أن يبتعد المسيحيون عن طلب الحماية الأجنبية وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس بشارة الخوري نفسه حينما أشار في مذكراته «وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة: استقلال لبنان التام الناجز دون اللجوء إلى حماية من الغرب ولا إلى وحدة أو اتحاد مع الشرق». ومما يؤكد ذلك أيضاً بأن الرئاسة الثانية — رئاسة المجلس النيابي — لم تكن باستمرار للطائفة الشيعية، بل تولاهما نائب أرثوذكسي عام ١٩٤٦ وبدعم وتأييد من رئيس الجمهورية نفسه الذي نصح الرئيس صبري حماده «بأن من مصلحته الاحتجاب عن الرئاسة مدة فيما لو فاز منافسه بها. وهكذا



النواب نجحوا في انتخابات ١٩٤٧ دون تدخل الدولة لمصلحتهم، بخلاف الذين سارعوا إلى تعديل الدستور وهم الذين نجحوا عبر تدخل أجهزة الدولة لمصلحتهم.

والجدير بالذكر أن الولاية الجديدة للرئيس بشارة الخوري لم تكن أفضل من الولاية الأولى بل تردت خلالها الاوضاع العامة في البلاد، وزادت سلبيات الطائفية وعمت البطالة وتفشيت الفضائح الادارية، وتفاقمت الصراعات الحزبية والعشائرية، وعادت الانقسامات حول نظرة اللبنانيين إلى كيان لبنان. وانقسم أركان الحكم أنفسهم على غرار ما وقع من خلافات حادة بين الرئيس بشارة الخوري، ورئيس وزرائه الرئيس سامي الصلح عام ١٩٥٢، مما دعا الصلح إلى إلقاء كلمة في المجلس النيابي عرفت باسم البيان — الفضيحة حيث أوضح بقوله «أردنا تطبيق القانون فحاربونا، حاربونا لاننا أردنا أن نطبق القانون القاضي بمنع المقامرة والقمار هو أحد مواردهم السرية. حاربونا لاننا شرعنا في مكافحة التهريب إلى إسرائيل لأن هذه المكافحة تقطع عليهم الرزق الحرام» ثم طالب الصلح باقالة رئيس الجمهورية في معرض تساؤله عن كيفية الاصلاح بقوله «كيف تريدون أن يتحقق إصلاح ونجاح إذا لم تستأصل شأفة العلة القاتلة ونقتلع جذورها؟»

ونظراً لتردي الاوضاع كان لا بد من استقالة رئيس الجمهورية في ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢ الذي دافع عن نفسه وسجل مشاعره حيال ما جرى في لبنان خلال حكمه بقوله: «معارضة ضارية ظالمة لا تعرف التحليل والتحريراً. يشجعها الاجنبي، وموالاة متواكدة نائمة على الثقة، وفي كثير من أفرادها نهم ومطامع وأحقاد».



سامي الصلح

السياسية مما دعا العديد من الصحف اللبنانية ورؤساء الوزراء السابقين للمطالبة بتعديل الدستور اللبناني لتحديد الصلاحيات والمسؤوليات غير أن شيئاً من هذا لم يحدث، وعندما قرر النواب تعديل الدستور إنما قرروا تعديله عام ١٩٤٨ لتجديد الولاية لرئيس الجمهورية ست سنوات أخرى قبل انتهاء ولايته بسنة واحدة على أن تمتد الولاية الجديدة بين ١٩٤٩ — ١٩٥٥. ولم يعترض سوى قلة من



أنا في الحقيقة طاحونة، لست عملاقاً. ها أنا أقف في مكاني، خارج القرية، وحدي على هضبة رملية، لا أنور أحداً ولا أساعد أحداً، ولا أدع أحداً يساعدني... جميع الرياح الأثنين والثلاثين تصادقني. لا أطلب من الكون أجمعه غير ما يكفيني حتى تدور أجنحتي. ومطلبي الوحيد أن تدور أجنحتي...

(لسنح: خطابات ذات محتوى)

الغناء يحيى القلب (*)

كان جاهلاً؛ لأنه لا منزلة أرفع، ولا شيء أحسن منه، فكيف يستصوب تركه، ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل! وكلام كثير غير هذا.

فما رد عليه أحد، ولا أنكر ذلك منهم بشر، وكل عاد بالخطأ على نفسه، وأقر بالحق له!

ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت؟ ووقع من نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل! وأنا استغفر الله. قال لها: فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط، فغنت:

أني رسم دار دمك المترقق
سفاهاً! وما استنطق ما ليس

ينطق

بحيث التقى جمع وأقصى
محسراً (٥)

مغانبه قد كادت عن العهد
تخلق

مقام لنا بعد العشاء ومنزل
به لم يكدره علينا معوق

فأحسن شيء كان أول ليلنا
وأخره حزن إذا نتفرق

فقال الشيخ: حسن والله! أمثل هذا يترك! لا والله ولا كرامة لمن

خالف الحق. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي

لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته، وسلام

عليك ورحمة الله يا جميلة.

فقال قوم منهم: وفقك الله وثبت عزمك! وقال آخرون:

لا حرج عليك في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه

وتجربة: قد تكلمت الجماعة، وكل حزب بما لديهم فرحون، ولم

أعترض عليهم في قولهم، ولا شركتهم في رأيهم فاستمعوا الآن لقولي، وانصتوا ولا تشغبوا (٣) إلى

وقت انقضاء كلامي، فمن قبل قولي فالحق موفقه، ومن خالفني فلا

بأس عليه إذ كنت في طاعة ربي. فسكت القوم جميعاً، وتكلم

الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي - صلى

الله عليه وسلم - ثم قال يامعشر أهل الحجاز، إنكم متى

تخاذلتم فشلتم، ووثب عليكم عدوكم، وظفر بكم، ولا تغفلوا

بعدها أبداً... إلى أن قال: إن الغناء من أكبر اللذات، وأسر

لللنفوس من جميع الشهوات، يحيى القلب، ويزيد في العقل،

ويسر النفس، ويفسح في الرأي، ويتيسر به العسير، وتفتتح به

الجيوش، ويذل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند

استماعه، ويبسرى المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره، ويزيد

أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضاً باستماعه،

فيغزفون (٤) عن طلب الأموال. من تمسك به كان عالماً، ومن فارقه

حدّث من يفهم الغناء، قال: بلغني أن جميلة قعدت يوماً

على كرسي وقالت لأذنتها: لا تحببي عينا أصدأ اليوم،

واقعدي بالباب، فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي؛

ففعلت ذلك حتى غضت الدار بالناس؛ فقالت جميلة: اصعدوا

إلى العلالي (١)؛ فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح.

فجاءتها بعض جواربها فقالت لها: ياسيديتي! إن تمادى أمرك

على ما أرى لم يبق في دارك حائط إلا سقط، فأظهري ما تريدين؟

قالت: اجلسي!

فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الماء الناس، فدعت لهم

بالسويق (٢)، فشرب من أراد، ثم قالت: أقسمت على كل رجل

وامرأة دخل منزلي إلا شرب، فلم يبق في سفل الدار ولا علوها أحد

إلا شرب، وقام على رؤوسهم الجوارب بالمناديل والمراوح

الكبار، وأمرت جواربها فقمّن على كرسي صغار فيما بين كل عشرة

جارية تروح.

ثم قالت لهم: إني قد رأيت في منامي شيئاً أفزعني وأرعيني،

ولست أعرف ما سبب ذلك، وقد خفت أن يكون قرب أجلي، وليس ينفعني إلا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن

يلحقني منه شيء عند ربي!

(*) الأغاني: ٨ - ٢٢٤.

(١) العلالي: جمع عليّة، وهي الغرفة.

(٢) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

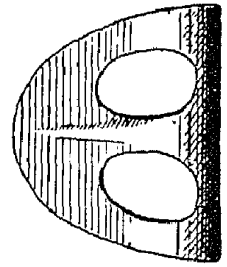
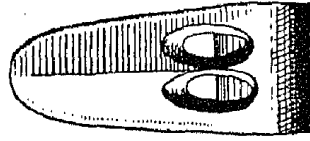
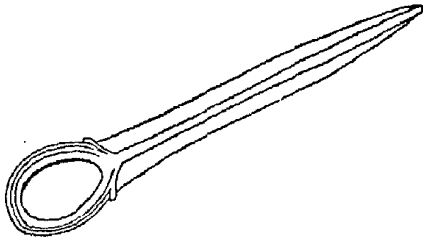
(٣) شغبت على القوم: هيجت الشر عليهم.

(٤) عزفت نفسي عن الشيء: تركته وزهدت فيه

وانصرفت عنه.

(٥) جمع: علم للمزدلفة. ووادي محسر: موضع

بين منى والمزدلفة.



فلسطين

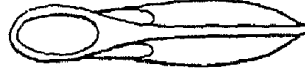
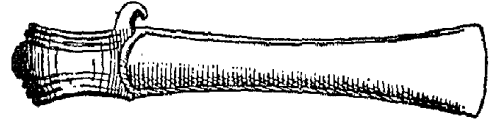
في الألف الثاني قبل الميلاد . ديمتري برامكي

فلسطين إذ أمّت البلاد قبائل ماهرة في صناعة المعادن من جهة وقوي شمل السلطة المصرية وأعادت هبتها إلى المنطقة من جهة أخرى. فقامت المدن الجديدة على أنقاض المدن التي دمرها العموريون ونشأت حضارة جديدة أرقى بكثير من الحضارة السابقة. إنما موجة العموريين أصبغت البلاد بصبغة عربية محضة ولا أقول سامية لأنه حسب اعتقادي أن عبارة سامي وسامية وساميين غير صحيحة ومبنية على خرافة غير حقيقية. وبما أن مهد الأقوام التي سماها شلوزر سامية في سنة ١٧٨١ هي الجزيرة العربية ولذلك من الأصح أن نسمي هذه الأقوام بالأقوام العربية ونسمي لهجاتهم بلهجات عربية.

نشأت في مستهل الألف الثالث قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل نشأت حضارة رائعة، فقامت المدن المسورة وازدهرت الصناعة والتجارة والهندسة وترعرع الفن. دامت هذه الحالة لمدة سبعة قرون أو أكثر بقليل ثم انهارت تحت وطأة هجوم قبائل همجية من العموريين أو الأموريين الذين دمروا المدن، ودبت الفوضى في البلاد إذ لم يكن بوسع مصر أن تصد تلك الهجمات نظراً لرزوحها تحت وطأة الاقطاعية التي انتشرت في المملكة المصرية في أوائل القرن الثالث والعشرين. بقيت هذه الفوضى منتشرة حتى أوائل الألف الثاني عندما قضى الفرعون انتف على الفوضى في مصر وحل محلها الاستقرار فانعكست هذه الحالة في



د. ديمتري برامكي: مولود (١٩٠٩) في الأردن، حامل شهادة دكتوراه بالآثار من جامعة لندن (١٩٥٣)، أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦-١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١. استاذ الآثار (١٩٥٨)، في الجامعة نفسها.



والعموريون عندما شنوا حملاتهم على فلسطين والبلاد المجاورة لم يكن لهم حضارة تذكر إنما كانوا يعتنون بموتاهم أكثر مما كانوا يعتنون بحياتهم على الأرض وخذلوا قبوراً كثيرة نرى فيها عناية خاصة بالموتى.

والقسط الأوفر في ازدهار مدنية الألف الثاني في فلسطين يعود إلى أقوام لانعرف هويتهم بالضبط سماهم العلامة الدكتور شيفر بحملة الأطواق (Porteurs de torques) لأنهم كانوا يتزينون بالأطواق المعدنية من فضية ونحاسية يحملونها حول أعناقهم. فتعلم العموريون صناعة المعادن منهم وأخذوا يصنعون أواني خزفية بشكل الأواني المعدنية. زعمت المرحومة كثلين كنيون أن حملة الأطواق هم الكنعانيون ولكنني لا أشاطرهما هذا الرأي لأن حملة الأطواق جاؤوا من الشمال وتمكن الدكتور شيفر الأنف الذكر من تتبع تجوالهم من جبال القفقاس إلى فلسطين والبلاد المجاورة. والكنعانيون أقوام من أصل عربي ولكن يبدو أن الكنعانيين هم نسل العموريين الذين جاؤوا من الجزيرة العربية عن طريق شرقي الأردن من جهة وحملة الأطواق من جهة أخرى.

ونلاحظ أن منذ مستهل الألف الثاني قبل الميلاد أن التجارة ازدهرت وأقيمت علاقات تجارية وثقافية بين فلسطين وبين البلاد المجاورة خصوصاً مصر. كما نلاحظ أن صناعة الخزف وصناعة المعادن وطرق الدفن والهندسة طرأ عليها نظام جديد دام نحو سبعة قرون. بانتشار التجارة أخذت فلسطين تتأثر بالحضارات التي انتشرت في مصر والعراق وآسيا الصغرى وحتى جزيرة كريت ومما ساعد بنشوء الحضارة الجديدة كانت الحملات التي شنتها فراعنة

الأسرة الثانية عشر مثل سنو سرت الأول والثاني التي وضعت حداً للفوضى التي كانت شائعة في البلاد. فالحفريات التي أقيمت في بيسان ومجدو وأريحا وتل العجول وتل بيت مرسم وتل القاضي وبلاطه تعكس لنا صورة واضحة لأقوام كادحين في أعمالهم دأبهم السعي وراء حرفهم ومهنتهم وعبادة آلهتهم وتحصين مدنهم وصد هجمات جيرانهم. صنفت المرحومة كثلين كنيون الألف الثاني قبل الميلاد والذي يدعى بالعصر البرونزي المتوسط والعصر البرونزي المتأخر صنفت هذا العصر إلى عدة أقسام: فهناك العصر البرونزي المتوسط الأول والعصر البرونزي المتوسط الثاني وقسمت الأخير إلى خمس مراحل ولكنني لا أشاطرهما هذا التقسيم بمجمله، أوافق معها بتقسيم العصر البرونزي إلى القسمين ولكنني لا أرى مبرراً إلى تقسيم الثاني إلى خمس مراحل وأفضل تقسيمه إلى ثلاث مراحل فقط. فحسب رأيي أن القسم الأول يمتد من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٨٥٠ ق.م. ومراحل القسم الثاني يمكن تحديدها على ثلاث مراحل من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٧٨٠ ومن سنة ١٧٨٠ إلى سنة ١٧٣٠ ومن سنة ١٧٣٠ إلى سنة ١٥٨٠ عندما طرد الهيكسوس من مصر.

وفي العصر البرونزي المتوسط برمته كانت فلسطين وفينيقيا وسوريا ممر القوافل بين مصر من جهة والعراق وآسيا الصغرى من جهة أخرى. فرجال القبائل الرحل الذين كانوا في هذه البلاد انضموا إلى الجيوش المصرية في القسم الأول من العصر وفي القسم الثاني انضموا كمرتزقة إلى جيوش الهيكسوس وعادوا إلى بلادهم أثرياء من غنائم الحروب التي

بيت مرسوم حيث عثر على بيت لأحد النبلاء يرقى إلى القرن السابع عشر، يحتوي هذا البيت على باحة أمامية على جانبيها بناءان يحتوي واحد منهما على أربع غرف والآخر على غرفتين كما وجدت أبنية مماثلة في أريحا ومجدو وبلاطة وتل العجول. فالبيت في بلاطة يحتوي على باحة داخلية تحيط بها الدواوين والغرف على جوانبها الأربع. والمعابد كانت تحتوي على غرفة صغيرة بداخلها مذبح أقيم أمام الحائط الخلفي. أمام المعبد فكانت باحته واسعة.

وكان أهل هذا العصر يدفنون موتاهم بمغائر اصطناعية منحوتة بالصخر. وكانوا يضعون في القبر جميع ممتلكات الميت. وكانوا يدفنون عدة جثث في قبر واحد كما وجدنا في تل فارة وتل الدوير وأريحا، وفي أريحا عثرت المرحومة كثلين كنيون على مدافن عائلية فيها عدد كبير من الأواني الخزفية وأدوات نحاسية ومناضد من الخشب والحصار وأسيرة حتى ولحم جاف.

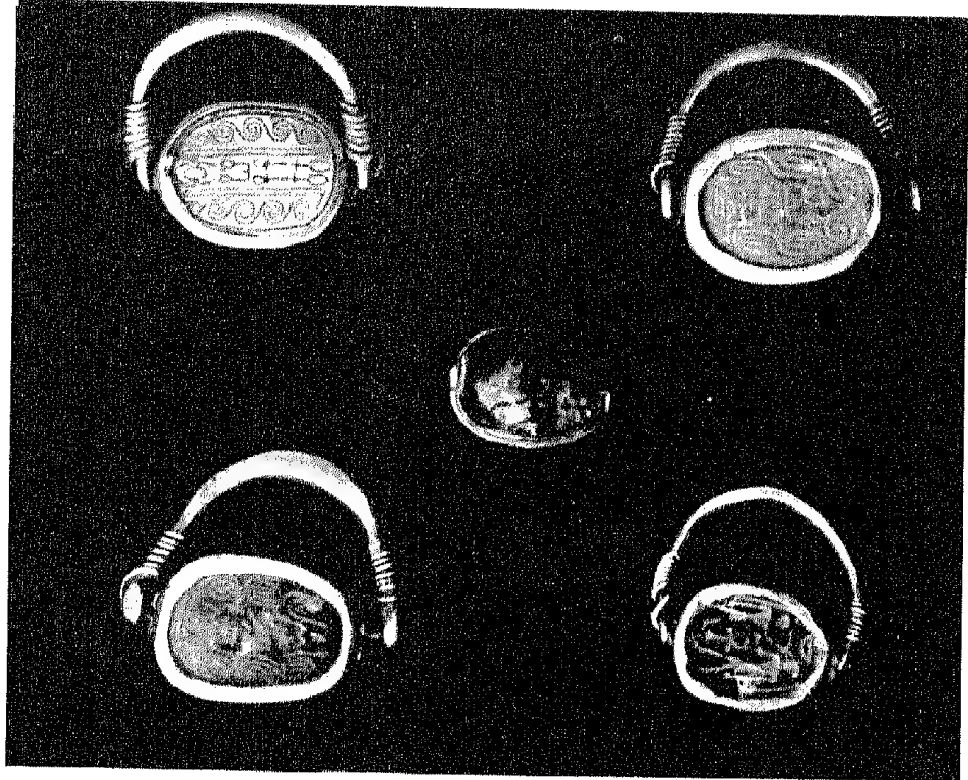
شاركوا فيها، يظهر هذا جلياً مما تركه هؤلاء الأشخاص من كخيرة في قبورهم.

أما فيما يختص بالهندسة فإن أسوار المدن كانت مبنية من حجارة ضخمة وكانت الأسوار مائلة من الخارج. وجدت نماذج من هذه الأسوار في مدينة شكيم القديمة وتل فارة وتل بيت مرسوم وأريحا. إنما الأسوار في أريحا كانت مبنية من اللبن والقسم الأعلى من الأسوار كان مبنياً باللبن. وكانت الأسوار تحصن بأبراج من الخارج وفيها مدخل محصن تحصيناً قوياً مزود بثلاث دعائم من كل جانب يقسم المدخل إلى قسمين، وبين كل زوج من الدعائم أقيم باب من الخشب أي كان للمدخل ثلاثة أبواب الواحد تلو الآخر. وجدت مداخل من هذا الشكل في مجدو وتل بيت مرسوم وتل فارة وبلاطة. وكانت الأسوار سميكة بحيث يمكن بناء بيت فوقها. أما فيما يختص ببناء المعابد فالحجارة كانت مربعة عند الزوايا ومدقوقة دقاً ناعماً. وجدت بقايا أبنية على هذا النمط في تل

قبر في أريحا من الألف الثاني ق.م



خزف من
الالف الثاني



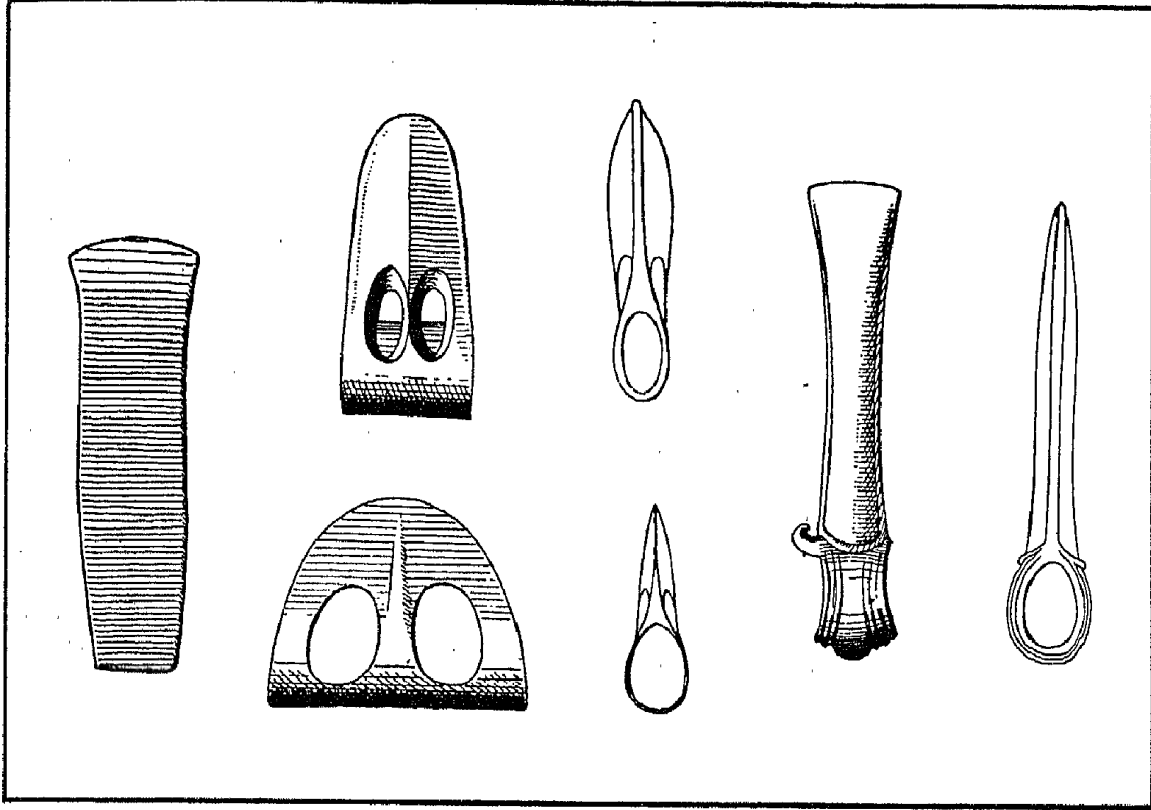
بعض الأواني فأخذت تظهر الطاسات المجأجة والأواني المزودة بقعر يشبه البوق وبدون أعناق. كما ظهرت لأول مرة الأسرجة المكموشة. وفي هذا العصر ظهر إبريق جديد شكله اجاصي ومطلي بطلاء أسود أو رمادي قاتم ومزخرف بأشكال هندسية بثقوب دبابيس. يعرف هذا بخزف تل اليهودية حيث عثر عليه لأول مرة. وفي الفترة الأخيرة التي تمتد من سنة ١٧٣٠ إلى سنة ١٦٠٠ أي عصر الهيكسوس ظهرت أشكال جديدة مثل الأباريق الاسطوانية الشكل وتلاشى الشكل الاجاصي شيئاً فشيئاً ولكن الجأجة زادت بشكل ملحوظ. وهناك أشكال كانت تصنع في جميع الفترات من جرار وصبايات وأباريق ومغاطس. عدا هذه الأواني كان أهل هذا العصر يصنعون الأواني من البرونز والفضة والذهب ويقال ان الجأجة في بعض أشكال الأواني الخزفية منقولة عن الأواني المصنوعة من المعادن.

إن الخزف الذي صنع في العصر البرونزي المتوسط من أجمل ما صنع من خزف في فلسطين حتى العصر الهلنستي. وتنوعت أشكال الخزف في هذا العصر وكانوا يفضلون الشكل الاجاصي.

ففي المرحلة الأولى من هذا العصر أي ما بين ١٩٢٥ إلى ١٨٥٠ ق.م. كانوا يطلون أوانيهم باللون الأحمر القاني ويصقلونها صقلاً لماعاً ومن أوانيهم الطاسات والأباريق والصبايات والمغاطس كلها مصنوعة بالشكل الاجاصي.

وفي القسم الثاني من العصر أي ما بين ١٨٥٠ و ١٦٠٠ ق.م. ففي الفترة الأولى أي ما بين ١٨٥٠ و ١٧٨٠ لم يطرأ أي تغيير على شكل الأواني إنما استعاضوا عن الطلاء باللون الأحمر بطلاء بلون عاجي وكثير من الأواني كانت تدهن بطوق من الأحمر أو البني. وفي الفترة الثانية أي ما بين ١٧٨٠ و ١٧٣٠ تلاشى الطلاء والصقل وأخذوا يعالجون الأواني من الخارج بشريطة مبلولة وطراً تبديل على شكل

أدوات نحاسية من الألف الثاني



قافلة بدوية في مصر في قبور بني حسن



فترة وجيزة شن الفرعون تحوتمس الثالث ست عشرة حملة وتمكن من السيطرة على فلسطين وفينيقيا وسوريا سيطرة تامة.

يمتد هذا العصر من أوائل القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر. يقسم هذا العصر إلى مرحلتين. في المرحلة الأولى التي تشمل القرنين السادس عشر والخامس عشر كانت فلسطين تابعة للحكم المصري والمرحلة الثانية وتشمل القرنين الرابع عشر والثالث عشر، حين دبت الفوضى في البلاد في زمن الفرعون أخناتون والهجمات التي شنت على فلسطين من قبائل همجية تدعى حبيرو ربما كان الاسرائيليون قسماً منهم. ففي المرحلة الأولى كان تأثير المصريين كبيراً ولكن في المرحلة الثانية تعرضت فلسطين إلى تأثيرات عديدة زيادة على التأثير المصري كالتأثير الايجي والكريتي والحثي والعراقي نظراً لازدهار التجارة مع هذه البلدان.

فرض فراعنة مصر ضريبة باهظة على فلسطين فأفقر هذا البلد والدليل على هذا تدمير بعض المدن تدميراً كاملاً وصغر حجم ما تبقى من المدن الأخرى. أما الدليل الساطع على الفقر فهو ضالة محتويات القبور التي ترقى إلى هذا العهد والانحطاط الذي أصاب الحرف والفنون. وليس هنالك من فرق بين هندسة هذا العهد والعهد السابع إلا أن الانجاز أصبح ركيكاً. عشر على معبدتين يرقبان إلى الألف الثاني قبل الميلاد أحدهما وجد في مجدو والآخر في تل الدوير. والأول يحتوي على أيوان كبير في مؤخرته نتوء في الحائط لوضع تمثال الاله أو رمز ديني له. عند المدخل كانت غرفتان صغيرتان ربما أعدتا لخدم المعبد. ومعبد تل الدوير بني على ثلاثة مراحل. ففي المرحلة الأولى كان يحتوي على أيوان طوله عشرة أمتار وعرضه خمسة أمتار. كان يرتكز سقفه على صوايد من الخشب قائمة على أساسات من الحجارة. وفي طرف المعبد أقيم مذبح صغير قرب أحد طرفيه غرفة صغيرة للكاهن، وأمام المعبد أقيم رواق. يرجع تاريخ هذا المعبد إلى سنة ١٤٨٠ ق.م. وهجر في أواخر

وخطت صناعة المعادن خطوات بارزة إلى الامام وصنع أهل هذا العصر عدداً من الأدوات والأسلحة من هذه المادة بما فيها الخناجر ورؤوس الفؤوس والبلطات ورؤوس الرماح. والخناجر تشبه أوراق الغار. كانت تمسمر بأيدي من الخشب أو العاج بمسامير برونزية صغيرة تمر بثقوب في أسفل الخنجر. أما الفؤوس فكانت مثقوبة بوسطها لبرشمة اليد. أما البلطات التي كانت تستعمل بالحروب فكانت بشكل نصف دائرة مثقوبة بثقبين ومزودة بأنبوب في طرفها لوضع اليد أو المسكة وإن رؤوس الرماح كانت مزودة بأنبوب تدخل اليد فيها.

وأدوات الزينة تتكون من دبابيس مروسة برأس يشبه البطيخ كما وأنهم كانوا يزينون أنفسهم بأشكال حلزونية من الفضة والبرونز، وجد عدد كبير من الأشكال الحلزونية في تل العجول كما استعملت أيضاً الجعلان يرصعون بها الخواتم إن كانت من الذهب أو الفضة واستعملوا أيضاً العقود والأساور والخرز المصنوع من الذهب والفضة والكورناليين والحجر اللازوردي والفيروز. وكثر استعمال الجعلان في زمن الهيكسوس أي الفترة الثالثة من العصر البرونزي الثاني وكان أهل هذا العصر يتلهون بالألعاب ذات المهارة يستخدمون لذلك الألواح الحجرية مثل لعبة الضامما العصرية.

وبرع أهل هذا العصر بالتجارة ولنا برهان على ذلك من لوحة في قبر وجد في بني حسن في مصر يظهر عليها صورة اعراب يحملون كمية من الأثمد لبيعها في مصر كما يحملون على حميرهم منافخ لصناعة المعادن.

العصر البرونزي المتأخر

بعد أن طرد المصريون الهيكسوس من مصر ونظموا الإدارة في البلاد أخذوا يشنون الحملات على فلسطين وفينيقيا وسوريا. شن الفرعون تحوتمس الأول حملة استطلاعية وبعد



تمثال برونزي للإلهة رشف

أكثر من خمسين سنة وهو صادر جداً. من الأشكال التي ظهرت لأول مرة الجرار الصغيرة والدهونة بلونين ولكن بدون صقل. والطاسات الصغيرة والمزودة بقاعدة عالية نقلاً عن الطاسات المصرية المصنوعة من الألبستر. ظهرت في هذا العصر أيضاً صبايات تختلف عن صبايات العصر السابق مدهونة على الكتف بأشكال أشعة الشمس.

ولكن إن كانت صناعة الخزف المحلية عديمة الذوق فقد استورد أهل البلاد الخزف القبرصي والخزف الميسيني الجميل الصنع والزخرفة من طاسات وأباريق وأواني عدسية الشكل وأواني اسطوانية وطاسات وهلم جرا، والخزف القبرصي يكون عادة مطلياً بطلاء أسود ومدهوناً في بعض

القرن الخامس عشر ولكن أعيد بناؤه بعد فترة وجيزة من الزمن في أوائل القرن الرابع عشر على نطاق أوسع. كان هذا المعبد مربعاً وكان سقفه يرتكز على أربعة صوايد من الخشب قائمة على أساسات من الحجارة. وفي طرفه الجنوبي أقيم مذبح وعلى جوانبه الثلاثة الباقية بنيت مقاعد مزدوجة. خلف المعبد أقيمت غرفة صغيرة يصلها بالمعبد باب على جانب المذبح. أعيد بناء هذا المعبد في أواسط القرن الرابع عشر حين أزيل الحائط بين المعبد والغرفة خلفه وبنيت غرفة جديدة إلى الطرف الغربي من الغرفة ذاتها. وجد في هذا المعبد تمثال صغير من البرونز للإلهة الفينيقي رشف.

ومن الأبنية التي ترقى إلى هذا العصر عثر في مجدو على بيت ربما كان قصر الملك أو الحاكم. يحتوي هذا البناء على إيوان كبير يؤدي إلى عدد من الغرف في أطرافه الشمالي والشرقي والغربي، وبابه كان في طرفه الجنوبي. يبلغ طول البيت خمسين متراً وعرضه ٢٥. وجد في هذا البناء ذخيرة من الحلي الذهبية كالقلائد بشكل قرون وخواتم عدا الخرز من الحجر اللازوردي والزجاج ومجوهرات أخرى.

ووجد في بيسان معبد يرقى إلى القرن الرابع عشر يحتوي على عدد من الغرف ودواوين ووجد نصب في أحد الدواوين.

إن بوابة المدينة في مجدو بنيت فوق البوابة التي ترقى إلى العهد السابق ولا تختلف عنها إلا بركافة البناء.

بالإجمال كان العصر البرونزي المتأخر عصر انحطاط ويظهر هذا جلياً في صناعة الخزف. إن جميع الأواني التي كانت تصنع في المرحلة الثالثة من العصر البرونزي المتوسط ما زالت تصنع في هذا العصر ولكنها فقدت جمال صنعها فالصقل تلاشى تماماً. حاول أهل هذا العصر أن يستعوضوا عن جمال أشكال الأواني بدهانها. رغم ذلك ظهرت أشكال جديدة، منها الأواني التي كانت تدهن بلونين على كتفها بصور الحيوانات والطيور ضمن إطار مربع وتصقل صقلاً لماعاً ولكن هذا النوع من الخزف لم يدم

الأحيان بحزوز بيضاء، أما الخزف الميسيني فأما أن يكون مدهوناً باللون البرتقالي أو اللون البني ومصقولاً صقلًا لماعاً. ولا حاجة إلى وصف هذه الأواني برمتها ونكتفي بذكر واحدة منها فقط هي الطاسة القبرصية النصف كروية والدهونة باللون البني على شكل سلالم فوق أرضية بيضاء ومزودة بيد تشبه عظمة الترقوة المعروفة عند العامة باليدست.

وكما كانت الحالة بالخزف كذلك في صناعة المعادن. إن رؤوس البلطات التي ألفناها في العصر البرونزي المتوسط تلاشت تماماً وحل محلها رؤوس بلطات مستطيلة. كذلك ظهرت خناجر جديدة بدلاً من أن تكون مزودة بأنبوب لادخال اليد فيها كانت تزود في مؤخرتها بسيلان (Tang) لادخاله في اليد. وظهرت زودت بسيلان (Tang) لادخاله في اليد. وظهرت لأول مرة رؤوس النبل البرونزية إذ قبل ذلك كانوا يستعملون رؤوس نبل من الطران. وفي كثير من الأحيان زودت هذه بشوكات. كذلك تلاشت الدبابيس المعروفة بـ (Toggle pins) وحل محلها دبابيس مزودة برأس حلزوني الشكل وندرت الحلى المصنوعة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة وحل محلها حلوى مصنوعة من معجون زجاجي مصبوغة بلون الفيروز استوردوها أهل فلسطين من مصر. كانوا يتحلون بعقود وقلائد من هذا النوع من الخرز كما وأنهم استوردوا من مصر أواني صغيرة للعطور والمساحيق المصنوعة من ذات المادة كما استوردوا كميات كبيرة من العاج المحفور من فينيقيا. وكثر استعمال الجعلان المصرية خصوصاً المحفورة باسم تحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني كما استوردوا من العراق الأختام الاسطوانية.

وكثرت في هذا العصر تماثيل الآلهة البرونزية. وجدت تماثيل للاله الفينيقي رشف في كل من تل أبي حوام وتل الدوير ومجدو. صنعت هذه عن طريق الشمع المفقود كما وأنه صنعت كميات كبيرة لآلهة الخصاب نقلاً عن الآلهة المصرية حاثور كما وأنه شاعت صناعة تماثيل

أخرى تمثل الحيوانات والطيور ربما كان لها مغزى ميثولوجي أو كانت ألعاب يتلهى بها الصغار.

وازداد استعمال الكتابة فكانت تستعمل الكتابة الهيروغليفية المصرية والكتابة المسمارية وظهرت بوادر الكتابة الهجائية في سيناء ومنها انتقلت إلى فلسطين إذ وجد في تل الدوير جرة مكتوب عليها كتابة بالأحرف الأبجدية.

ونظراً لنمو التجارة مع مصر فطلالما نجد أواني صغيرة مصنوعة من الالبستر في بعض المواقع الفلسطينية مثل مجدو وبيسان وحاصور وتل الدوير.

إن النحت لم يرق بأعين الفلسطينيين القدماء. وجد في تل بيت مرسم نصب محفور عليه آلهة بأسلوب بدائي. ولكن استورد أهل البلاد الأنصاب مثل نصب الفرعون ستي الأول كما وجد في بيسان نصب من حجر البزلط محفور عليه أسد وكلب الآلهة نرجال استورد من العراق. ووجدت بعض الأنصاب في مجدو ولكنها من صنع مصري.

أما طرق الدفن في هذا العصر فلا تختلف عن طرق العصر السابق. فالموتى كانوا يقبرون بمغاور عائلية اصطناعية كما وأنهم كانوا يضعون في القبر جميع ممتلكات الميت.

استورد أهل هذا العصر بعض العاجيات من فينيقيا وجد بعضها في مجدو.

فحضارة العصر البرونزي المتوسط والمتأخر من صميم اسهام الكنعانيين والعموريين المنحدرين من أصل عربي والفضل في الحضارة التي نشأت في فلسطين في الألف الثاني قبل الميلاد يعود للعرب فقط ولا دخل فيه للاسرائيليين الذين بقوا في حالة البداوة لا يملكون مدناً تذكر حتى زمن الملك داوود في العصر الحديدي الذي نشأ في أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد والحضارة التي نشأت في ذلك الحين لم تكن رائعة ولم تضاهِ حضارة الألف الثاني رغم الانحطاط الذي انتاب البلاد في العصر البرونزي المتأخر.

أدريس الأول

ت: ٧٧هـ / ٦٩٦م

د. سهيل زكار

وقيام الفراغ والحاحه، يقودان نحو الاستغلال الأعظم لانجاز «البطل» وهكذا يبدأ الناس في اغناء دور البطل بتفسيرات وشروح كبيرة، ثم باضفاء مواد جديدة عليه، حتى يتم تحويله من واقعة تاريخية إلى واقعة شبه اسطورية.

ويمكن لنا أن نرى هذا الحال في شخصية المولى ادريس الأول في المغرب الأقصى، ففي دولة مغرب اليوم — كما في الماضي — يلاحظ الإنسان أن السواد الأعظم من ملايين سكان المغرب من أصل عربي أو بربري سواء ينسبون أنفسهم إليه، كما أنهم يعتقدون أن كيان دولتهم ظهر لأول مرة على يديه.. والمولى ادريس هو واحد من أبناء عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبناء الحسن بن علي من حزب الشيعة، لم يكن لهم نشاط يذكر في العصر الأموي، بل شغلوا أدوارهم التاريخية في العصر العباسي، ففي أيام أبي جعفر المنصور ثار اثنان من أبناء عبدالله وهما محمد النفس الزكية ثم أخوه ابراهيم، وقد استطاعت جيوش المنصور القضاء على ثورتيهما وقتلهما مع اعداد كبيرة من الشيعة، وكان النفس الزكية قبل اعلان ثورته، قد أرسل دعائه واخوانه إلى أمصار العالم الاسلامي للدعوة له، وللاعداد لثورة على العباسيين، ومن أخوانه الذين بعثهم إلى شمال افريقية كان عيسى، وقد نشط في تونس، وسليمان وقد نشط في المغرب الأوسط، ثم تحول

هناك خلاف شديد بين المؤرخين حول دور البطل في التاريخ، فالبعض يعتقد أنه وجد بين البشر من ملك من الطاقات ما جعله يفوق ما عداه من الناس في وقته، وبذلك تسنى له أن يتربع على مقعد للزعامة، وأن يحدث تغييرات كبيرة، وانجازات خطيرة، تآثر بها معاصروه ومن أتى بعدهم بدرجات مما تسبب له بالشهرة والخلود، والبعض الآخر ينكر دور البطل الفرد في صنع التاريخ، ويعتقد أن الجماهير هي البطل الحقيقي الذي صنع أحداث التاريخ، إنما إذا راعينا متذكرين أن لكل واقعة من الوقائع العديد من الأسباب المتنوعة البعيدة والقريبة، وأن المسببات هي سابقة للواقعة وأصل لها، خففنا من غلواء الاعتقاد بأن الفرد البطل قادر وحده على صناعة التاريخ، وأن البطل الفرد وحده لاشيء، بدون جماهير تستجيب لقضيته، التي تعتبرها قضيتهما، وتتعاون معه وتحت قيادته لتنفيذ مطامح متشابكة بشكل معقد.

على هذا يمكن رؤية دور الفرد والجماعات في صنع التاريخ من خلال قضايا كبرى ذات جذور بعيدة في الماضي، ولها أسباب قريبة، وحين تتضافر الأسباب وتتوفر القدرة على الانجاز، يقوم دور الفرد على مدى فاعليته في الانجاز، وقد يكون الانجاز كبيراً، له فاعلية الاستمرار، وقد يحدث أن يقوم فراغ كبير إثر غياب البطل،

استاذ التاريخ الإسلامي في جامعة دمشق

إلى منطقة الصحراء.

وفي أيام الخليفة الهادي حفيد المنصور، ثار حسني جديد في الحجاز، هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان ذلك سنة ١٦٩ هـ، وسار إلى مكة لأخذها في موسم الحج، فتصدت له القوات العباسية، وواقعته يقع على بعد ثلاثة أميال من مكة، وبطشت به وبأنصاره بالرحمة، ثم لاحقت من نجا من المعركة لاستئصاله.

وكان ادريس بن عبدالله ممن شارك بموقعته فح، وكتبت له الحياة، ففر مع مولى له اسمه راشد نحو مصر، ومنها إلى المغرب الأقصى، حيث حل فيه سنة سبعين ومائة للهجرة، وقصد مدينة طنجة، التي كانت قاعدة المغرب الأقصى، وأهم مدنه.

وفي سنة اثنين وسبعين ومائة، توجه ادريس نحو داخل المغرب، فنزل مدينة ويلي، في منطقة جبل زرهون الحصينة، والكثير الثراء الزراعي، خاصة شجر الزيتون، ومدينة ويلي تقع الآن خرائبها على مسافة حوالي العشرين كيلو متراً من مدينة مكناس، في وسط المغرب، وهي مدينة أسست في عهد الحكم الروماني للمغرب، وآثارها ذات مكانة لا بأس بها.

كانت ويلي تحكم من قبل قبائل أوروبية البربرية، وقد اتصل المولى ادريس بزعيم أوروبية، وكانت هذه القبائل على درجة كبيرة من القوة وكثرة الرجال، كما يبدو أنها كانت متأثرة بشكل كبير بحب آل البيت، وبسرعة عجيبة تمكن ادريس من أن يجمع حوله جيشاً من رجالات القبائل، وأن ينال البيعة بالامامة، وهكذا شرع في تأسيس مملكة تحكم مناطق المغرب الأقصى مع مناطق من المتوسط، ولقد توفرت له النجاحات بسرعة مدهشة، حيث لم يكن في المغرب سلطة للعباسيين، كما أن الامارة الأموية في الأندلس كانت مشغولة بقضاياها الداخلية، خاصة حركة المولدين وثورتهم الكبرى بزعامة ابن حفصون.

وطارت شهرة المولى ادريس في شمال افريقية، فقصده عدد من أهل القيروان وسواهم، وربما من أهل الأندلس، واستطاع ادريس أن يستفيد من جهود هؤلاء في

تكوين نواة ادارية لمملكته الناشئة، وأضاف نجاح ادريس دولة الأغالية في تونس، ولم يكن في مقدورها أن تفعل شيئاً عسكرياً ضده، لهذا رفعت الأمر إلى بغداد، التي كان خليفتها آنذاك الرشيد.

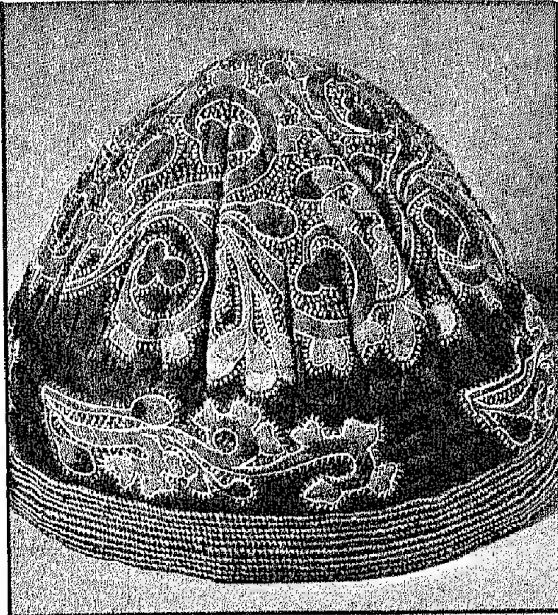
وكان الرشيد أسير مشاغله الخاصة التي تبدت في ثورات في خراسان، مع نشاط عسكري للامبراطورية البيزنطية على الحدود الاسلامية، لهذا لم يكن بمقدور الرشيد إرسال جيش كبير إلى المغرب، ثم أن الأغالية أنفسهم ماكانوا ليحبذوا قدوم مثل هذا الجيش.

لذلك قرّر أي الرشيد أن يبعث أحد رجالاته إلى المغرب الأقصى ليتصل بادريس، ويدبر أمر اغتياله، ووقع الاختيار على رجل اسمه سليمان بن جرير، فقدم إلى ويلي، واستطاع أن يلتحق بخدمة المولى ادريس، وينال ثقته، وبعد جهود متواصلة أن يدس له السم ويقتله، وقد فر سليمان بعدما قضى فعلته هذه، واستطاع أن يصل حياً إلى العراق حيث أخبر الخليفة بنجاحه، وكان مقتل ادريس سنة سبع وسبعين ومائة، أي بعد خمس سنوات من وصوله إلى ويلي، ويعتقد المؤرخون المغاربة أنه لم يدفن داخل مدينة ويلي، بل أن ذلك كان على مقربة منها، وفي المغرب الآن على مسافة ميلين تقريباً من ويلي تقوم قرية صغيرة على ذروة جبلية مرتفعة، وتعرف هذه القرية باسم مولاي ادريس، وهي تحوي ضريحاً فخماً للغاية بني حوله مسجد كبير، وهذا الضريح يعتقد بأنه يحوي رفات المولى ادريس، وهو محج لأهل المغرب، كما أنه مقر لنشاطات دينية موسمية كبيرة.

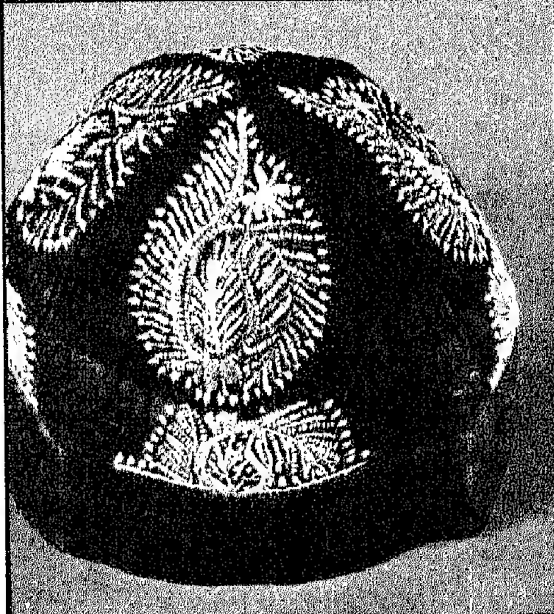
إلى المولى ادريس ينسب التفكير، أو الشروع، في تأسيس مدينة فاس، التي شيدت في عهد ادريس الثاني، إذ يقال بأن جارية بربرية اسمها كنزة، من جوارى المولى ادريس، أنجبت بعد وفاته غلاماً ذكراً سمي ادريساً على اسم أبيه، ومن صلب ادريس هذا، يؤمن ملايين من أهل المغرب، وحتى من زنوج افريقية بأنهم انحدروا، فهل هذا حصل فعلاً أم أن هؤلاء الملايين وأجدادهم أرادوا ذلك، فكونوه حدثاً تاريخياً...!

●

قلانس



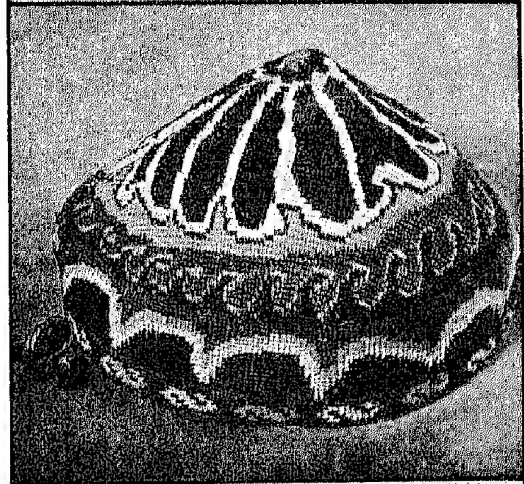
قلنسوة من نوع البخاري، من بخاري بتركستان، وتصنع من الحرير والتافتاه وتبطن بالليفته، ويطرز «الطبق» و «الشريط الدائري» أولاً ثم يحاكان بواسطة خيط قطني.



لبدة بخراري للرجال، من بخاري، بواسطة خيوط حريرية وقطنية، وألوانها: الأحمر والأصفر والبنفسجي والأبيض والأخضر وتشكل هذه الألوان في وحدة.

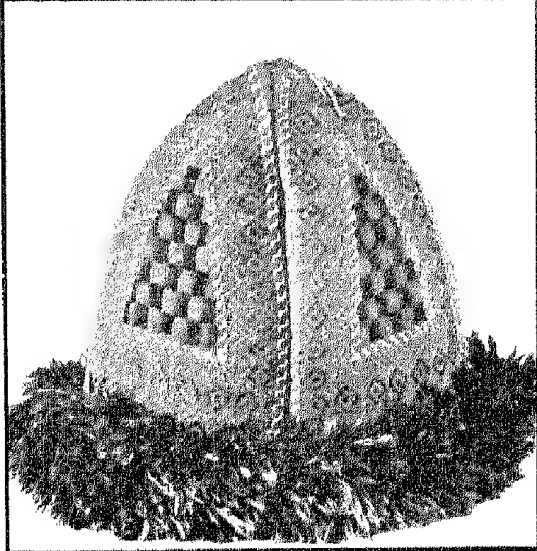


لبدة بخراري للرجال، من بخاري، ويطرز بواسطة خيوط حريرية وقطنية، وألوانها: الأحمر والأصفر والبنفسجي والأبيض والأخضر وتشكل هذه الألوان في وحدة.

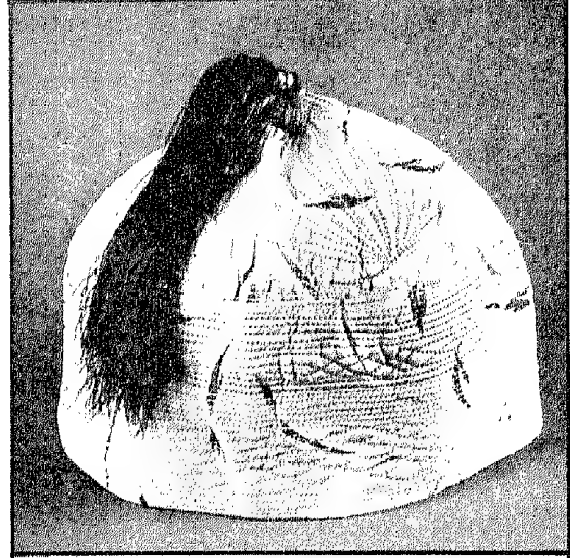


لبدة بخراري للرجال، من بخاري، وهي من القطن وتتكون من عشرة أجزاء، وتعتبر الوردية الوسطى الدائرية رمزاً للشمس، وتنسب إلى قبائل القرغيز بجبال الأفغان.

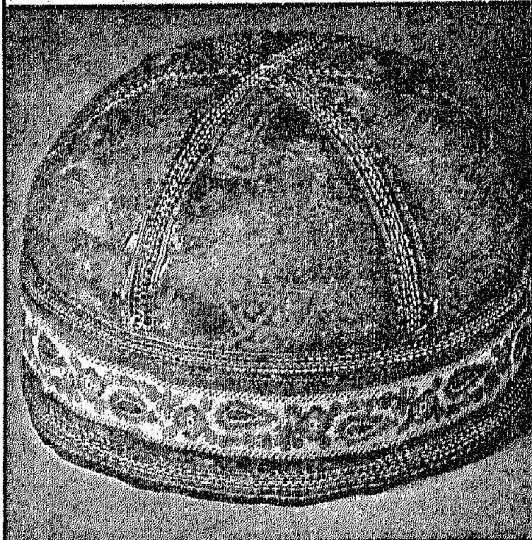
من وسط آسيا وفارس بمتحف علم الشعوب برلين



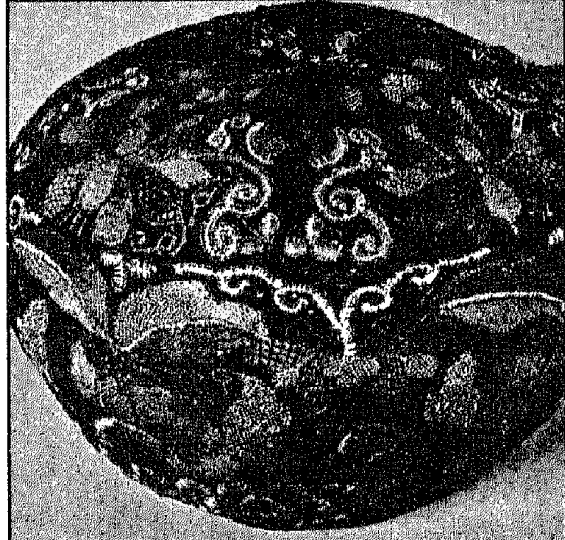
لبدة درويش موطنها جركند، من الصوف الأحمر ومبطنة بلباد خشن، ومطرزة بخيوط بنية وبيضاء وزرقاء.



لبدة لأعلى الرأس من تركستان، وتصنع من نسيج قطني، لونها الخارجي برتقالي تتخلله شرائط زرقاء بيضاء والأهداب (الهدايب) من الحرير الأزرق.



لبدة للصبيان، تبريز، فارس، وتتكون من ثمانية أجزاء، وتصنع من السديباج (البسوكاة) ويستورد على الأغلب من تركيا، ويلاحظ أن أجزاء هذه اللبدة تلتصق ولا تخاط.



قلنسوة كبيرة من كوتشا، شمال سكيانج، وتتكون من سبعة أجزاء، وتصنع من القطيفة الحريرية، وتستورد القطيفة من الهند وتطرز بخيوط ذهبية وفضية.

الفكر العربي

مجلة الإنتماء العربي للمسلمين والإنسانية

السنة الثالثة

العدد الثاني والمئرون

أيلول (سبتمبر) تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨١

الفكر السياسي العربي والفكر السياسي المعاصر I

دراسات سياسية

مجلة الإنشَاء المَعْرِفي للعلوم الإنسانية

الفكر العربي

السنة الثالثة

المعَد الثالث والمِثرون

تشرين الأول (اكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١

الفكر السياسي العربي

II والفكر السياسي المعاصر

**. آفاق الفكر السياسي
. نصوص ومراجعات سياسية**



د . رياض العاللي

الماريشال

مُنْقِذُ أُمِّ خَائِنَةٍ؟

بيتان

اللقاء التاريخي بهتلر في مونتوار!



حزيران، قبل الاتفاق على الهدنة بين ألمانيا وفرنسا، أوحى إلى الكثيرين من قادة الجيش الفرنسي، أن ثمة هدنة عقدت بين البلدين، وأن على الجيش إلقاء السلاح. وهكذا، حين انطلق الجيش الألماني إلى مختلف اتجاهات فرنسا، وجد تجمعات الجيش الفرنسي تنتظر قدومه دون

يقال إن الماريشال لم يعد فارغ اليدين، من تلك البلدة الصغيرة. فقد كان شغله الشاغل إطلاق سراح قرابة مليوني جندي فرنسي أسير، كان يشعر أنه مسؤول عن أسر معظمهم. ذلك أن الخطاب الذي ألقاه الماريشال بيتان في السابع عشر من



هموم بيتان

هل كان لقاء «مونتوار» بين هتلر وبيتان، (٢٤ تشرين الأول ١٩٤٠) نصراً لبيتان؟ أم انه كان فرصة ذهبية، لم تقتنصها فرنسا، لتنهض من بين الانقاض، حسب بعض المؤرخين؟



قام الوفد الفرنسي في لجنة الهدنة في ويسبادن بنشاط حثيث، يضاف إليه جهود لافال نفسه، وكان ذلك بوحى من رئيس الدولة الذي يطمح إلى إزالة تقسيم فرنسا، فحكومة فيشي لا يقع ضمن نطاق سلطتها إلا الأراضي الفقيرة، وإلى إعادة القوى العاملة الأسيرة حتى ذلك الوقت.

ولكن المفاوضات باءت بالفشل، على الأقل بالقياس إلى المارشال، ذلك أن رئيس الوفد الألماني إلى مفاوضات الهدنة قدم عرضاً مكتوباً يطلب فيه هتلر ثمانية مطارات مغربية، ومحطتي رصد في إفريقيا الشمالية، وخط تونس - الرباط الحديدي، والموانئ على جانبي البحر الأبيض المتوسط.

كانت هذه المطالب مريبة. السابع عشر من تموز أجاب بيتان على مطالب هتلر بقوله: «وحدها المفاوضات يمكن أن تحل مثل هذه القضايا... وأعتقد أن بلادي تستطيع أن تسمع صوتها لما فيه الخير. لي كبير الأمل، بعد أزمان من النفور بين بلدينا، أن يجدا الطريق إلى التفاهم».

كانت ألمانيا تريد تجنيد شمال إفريقيا ضد إنكلترا، وكانت هذه نقطة يمكن لبيتان ولافال أن يساووا عليها. وحين قامت قوات فيشي بالدفاع عن المرسى الكبير ضد الغارات البريطانية، أثبتت فيشي أنها تحترم تماماً

مقاومة، فإذا هو يعتقلها جميعاً، ويعتبرها أسرى حرب.

في هذا الوقت كانت جموع الفرنسيين تهرب من المدن، وخاصة من باريس، ولكنها فوجئت بأن باريس قد أعلنت «مدينة مفتوحة» فعاد إليها معظم من هجرها.

على كل حال، لقد نص البند العشرين من إتفاقية الهدنة، على تحرير الأسرى الفرنسيين، بعد عقد الصلح بين ألمانيا وفرنسا. غير أن المارشال بيتان كان يسعى يومياً، منذ تسلمه السلطات، إلى تحسين أوضاع الأسرى، وإلى الإفراج عنهم تدريجياً، إن أمكن. ولم تكن تصل من معسكرات اعتقالهم أية أنباء، ما عدا القليل، بواسطة الصليب الأحمر في جنيف.

كان الاقتصاد الفرنسي بحاجة شديدة إلى جهود المليونى أسير. وكان المارشال يحاول استعادة الفلاحين والتقنيين الذين كان يعتمد عليهم ليقوم «بثورته الوطنية»، ثورة إعادة بناء فرنسا.

من جهة ثانية كان الألمان قد جزأوا فرنسا عملياً، ورسموا بين الأجزاء حدوداً وحواجز لم يكن يسمح للفرنسي باجتيازها إلا بعد تفتيش دقيق، ومعاملات طويلة. حتى الوزراء الفرنسيون كانوا يخضعون للتفتيش والمراقبة.

وكان الألمان، خلافاً للهدنة، يضاعفون من المراقبة وتقسم فرنسا، بالاضافة إلى جعل أقسام منها محرمة، وضم الألزاس واللورين نهائياً إلى ألمانيا. كما أن قطاع فرنسا الشمالي - الشرقي قد هجره أهله تماماً، فبتسلمته ألمانيا لتستغله كما تشاء.

كل هذه الهموم كانت ترهق المارشال بيتان. وكان يصارع من حوله بأنه عازم على التخفيف منها بأية وسيلة.



النفق الأمن قرب مونتوار.

الطرادان مونتكالم وجورج ليغ، تدعمهما المدمرة ريشيليو الفصائل البريطانية. وقد أمر تشرشل نفسه، يومذاك، بالانسحاب خوفاً من أن تنعكس الآية.

لقد برهنت هذه المعركة لهتلر أن حكومة فيشي ملتزمة الحياد. مما أتاح لطموحات جديدة لبيتان ولافال وهنتزيجر، إذ راح كل منهم يحاول بطريقته، أن يحصل من ألمانيا على شروط صلح مناسبة، وتخفيف قسوة بنود الهدنة. في أيلول، أعطى الماريشال أمره إلى الكولونيل قونك، الطيار المشهور في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨، بالاتصال بصديقه غورينغ، ليسبر غوره حول مفاوضات قمة. بينما ذهب سكايبيني، وزير الأسرى، إلى برلين ليناقش مشكلة تحرير الأسرى. وكان سكايبيني من مشوهي الحرب العالمية الأولى، وكان أعمى! كذلك قام لافال من جهته، بمحاولة مع آبتين، ليهيء له لقاء مع رينتروب. وفي الفترة ذاتها

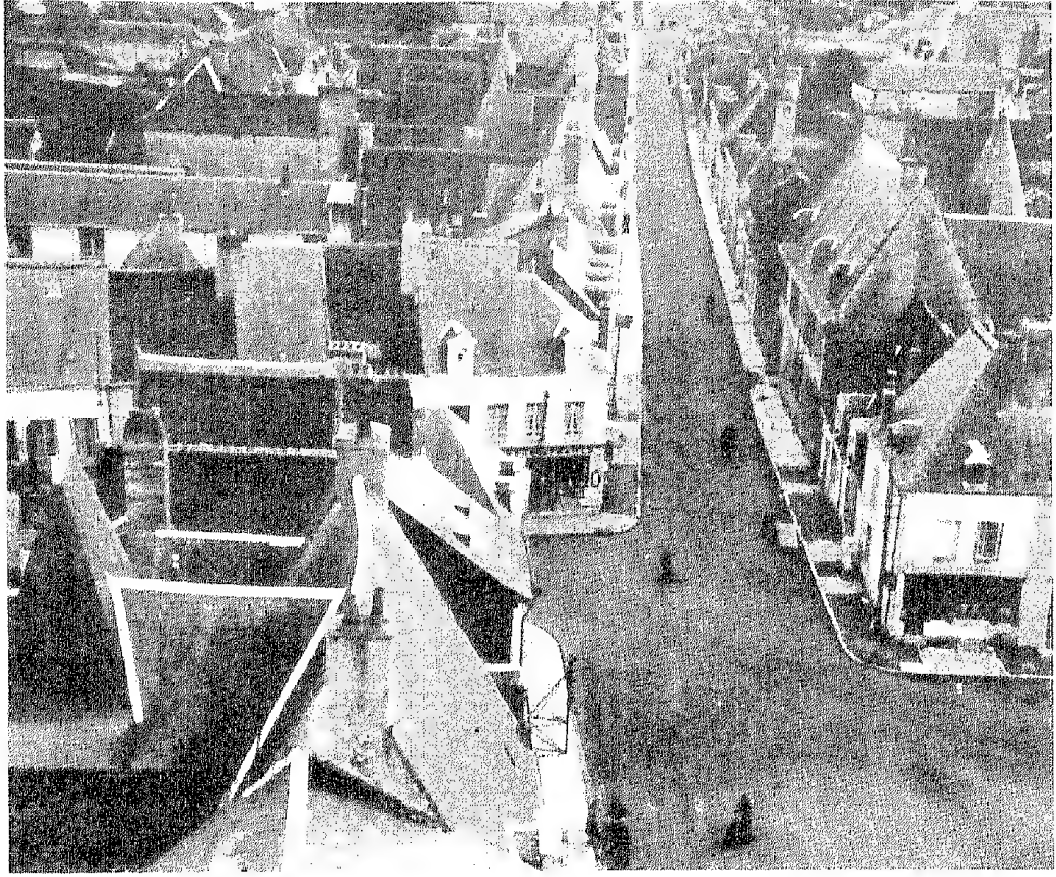
الهدنة. وكان حياد الأسطول الفرنسي والأمبراطورية الفرنسية لصالح المحور. مما يفرض على الألمان أن «يدفعوا الثمن» حسب قول لافال.

ولكن الفوهرر غضب لرفض الحكومة الفرنسية مطلب القواعد في إفريقيا الشمالية. لذلك لم يطلق سراح إلا قلة من الأسرى الفرنسيين، ممن كان تسريحهم نافعا للمصالح الألمانية، كالمزارعين وعمال البريد. أجلى وزير المال الفرنسي عن باريس، ورفعت تكاليف جيوش الاحتلال إلى أربعمئة مليون فرنك في اليوم. الأشارة الوحيدة إلى بقاء الألمان غير أبدي، هي المفاوضات بين بيير لافال وبين أوتوايتز الذي رقبه رينبتروت إلى رتبة سفير في فرنسا، مركزه باريس، وشغله الشاغل الحفاظ على فرنسا ضعيفة داخلياً، وإبعادها عن القوى المعادية للرايخ. كان آبتنز يبحث عن إقامة صلات طبيعية مع الفرنسي الوحيد الذي يحمل إجازة مرور عبر الحدود الفاصلة.

انتشى لافال برغبة آبتنز، فقدم أموراً عملية دليل تعاون في المجال الحربي (مائتا طيار يستطيعون تأمين الدفاع عن البلاد ضد غارات الطيران البريطاني) والمجال الاقتصادي (بيع منتجات المستعمرات مقابل المصنوعات الألمانية).

ماشى الماريشال هذه المساومات، وأرغم على طرد سفراء بلجيكا وهولندا واللوكسمبورغ إرضاء للألمان. ثم في السادس من أيلول، استبدل الجنرال ويغان رئيس وفد فيشي في ويسبادن، بالجنرال هنتزيجر الذي وقع إتفاقية الهدنة في حزيران عام ١٩٤٠ في ريتوند. ومنح ويغان سلطات مطلقة في الشمال الأفريقي. كانت فيشي بحاجة إلى رجل قوي ليحول بين الأمبراطورية وبين الطموحات الدوغولية التي سيطرت في تشاد، وكونغو، وكامرون. وكان على ويغان كذلك أن يقاوم تطلعات المحور إلى المغرب.

كان بيتان يعول على الشمال الأفريقي لتطوير موقف هتلر من فرنسا: ٢٣ أيلول رد الجنرال بواسون محاولة الدوغوليين، يدعمهم البريطانيون، الانزال في دكار. فقد قصف



كل الفرنسيين في مونتوار كانوا ممنوعين من التجول خلال الأعداد للقاء هتلر — بيتان، وأثناءه.

ضد الأنكليز والديغوليين في إفريقيا. جرت بين الجنرالين ستولبتاجل وهنتزيجر مفاوضات مشجعة حول هذه النقطة. وأكد مندوب قيشي عزم حكومته على محاربة المنشقين، وتوصل، بوافقة إيطالية — ألمانية، على إعادة تكوين الجيش الفرنسي في إفريقيا (١٢٠ ألف رجل، ١٤ فصيل مدفعي، وأربعة فصائل قناصة). وسمح للقوة البحرية باجتياز جبل طارق إلى المستعمرات. وصدرت اقتراحات عن قادة ألمان لاقناع هتلر بمساهمة فرنسا في المعركة ضد بريطانيا.

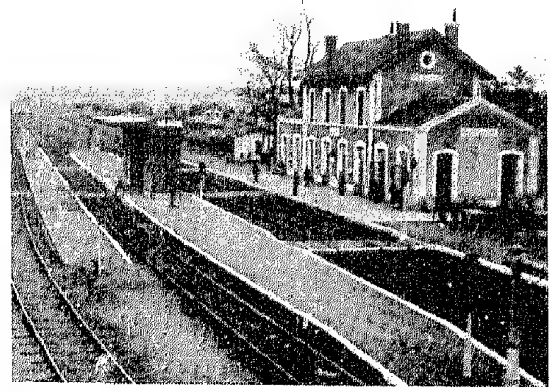
ولكن إيطاليا وإسبانيا كانتا على شأن كبير في هذه المسألة. لهذا سافر وزير خارجية إسبانيا، سَرَّانو سونر، إلى برلين في منتصف أيلول. كان هتلر يود من فرانكو أن يكون شريكاً كاملاً في الحلف الثلاثي، وأن يسمح للجيش الألماني باجتياز إسبانيا باتجاه جبل طارق. فطالب سونر بثمان باهظ: المغرب، ووهران، ومساعدة

(١١ تشرين الأول) ألقى بيتان خطاباً قال فيه: «ستعرف فرنسا كيف تسيطر على انكسارها» إذا «سيطرت ألمانيا على انتصارها، ورفضت صلحاً قسرياً».

خطط هتلر

إستحالة اجتياح إنكلترا بعد الخامس عشر من شهر آب، جعلت الفوهرر ينضج استراتيجية بديلة هدفها الأساسي اجتياح روسيا، والثانوي احتلال شمال إفريقيا. فلئن نجحت ألمانيا، شكلت مع حليفتيها إيطاليا واليابان قوة كبيرة، فتحولت إنكلترا إلى قوة لا يؤبه لها، ولن تستطيع الولايات المتحدة نفسها أن تخف إلى إنقاذها.

ولكن القيادة في برلين (O.K. W) تخوفت من فتح جبهة ثانية في الشرق، وحاولت صرف مطامح هتلر إلى ضفتي المتوسط. فقد كان قادة الجيش راغبين في احتلال جبل طارق والتدخل



محطة القطار في مونتوار: صمت وانتظار

إنكلترا بواسطة السفراء في مدريد أنه سيرد على كل المحاولات البريطانية — الديغولية، ومن جهة ثانية، لن يحاول استرداد الأراضي التي تحالفت مع فرنسا الحرة، شرط أن تتخلّى إنكلترا عن الحصار الذي ضربته على الأمبراطورية.

كان الجو الدبلوماسي مشحوناً بالغموض، حين تلقى لافال دعوة آبتز بالحضور إلى باريس في ٢١ تشرين الأول. وقد استبعد بدوان من هذه المسألة.

٢٢ تشرين الأول، وصل لافال إلى باريس، مع مساعده برينون. ركب الاثنان سيارة ألمانية، خفرتها قافلة، واتجه الجميع نحو الجنوب. كان الغداء في «تور». وعندئذ أخبر آبتز لافال، أن من سيستقبله هو أدولف هتلر.

كان اللقاء في مدينة مونتوار الصغيرة، التي لا يزيد عدد سكانها عن /٢٧٠٠/ نسمة. وتقع في اللوار—إي—شير، على بعد ١٨٠ كم من باريس. كانت المدينة منذ الصباح تحت الرقابة الشديدة. وكان النفق الذي يعبره القطار ملجأ أميناً يحمي من أي قصف جوي.

وصل قطار هتلر المصفح في الساعة (١٨). دخل لافال قاعة صغيرة في المحطة الساعة (١٩). أخذت له بعض الصور. قاده ريبنتروب إلى المقطورة. كان الجو مظلماً، وفجأة وجد لافال نفسه تجاه هتلر.

كان جو المحادثات — حسب المترجم شميدت — عاصفاً. ولكن لافال حاول كسر حدة موقف هتلر، بلباقته المعهودة، وتوكيده على رغبته في إقامة علاقات طبيعية بين فرنسا وألمانيا. كان هتلر يتكلم معظم الوقت، مازجاً في حديثه التهديد بالوعود. فإذا كانت فرنسا تنتظر نهاية الحرب للتعاون فإنها ستذل، أما إذا ساهمت في انكسار إنكلترا فإنها لن تفقد من مستعمراتها، خصوصاً الأفريقية، إلا القليل.

لخص هتلر اللقاء بدعوة بيتان إلى لقائه عند عودته من هندي، في الرابع والعشرين من تشرين الأول.

رحل لافال إلى تور ليهتف إلى المارشال بيتان. وأبقى ريبنتروب ودبرينون للغداء معه في مونتوار. وترك قطار هتلر المحطة الساعة الرابعة

إقتصادية ضخمة.

رفض هتلر، ولكنه تمسك بأمل إقناع فرانكو في لقاء مباشر، وُلد التفكير فيه خلال المحادثات. بينما كان فرانكو راغباً عن كل الحروب، بعد أن أمضت بلاده أربع سنوات في حرب أهلية مدمرة. وقد بلغ ذلك الموقف المارشال بيتان، سراً.

الرابع من تشرين الثاني، لقي هتلر موسوليني في برينر. وجرى اقتسام الأمبراطورية، فكانت نيس، وكورسيكا، وتونس، ودجيبوتي من نصيب إيطاليا. ومراكش مع الدار البيضاء وأغادير، وإفريقيا الغربية من نصيب ألمانيا. وكان على الجيش الإيطالي احتلال مصر، بينما يحتل الجيش الألماني جبل طارق. ومنحت فرنسا نيجيريا، لأن فرنسا فقدت الكثير. ولكن النظرية اصطدمت بعقبتين: إجتياز المنطقة الحرة، وشبه جزيرة إيبيريا. فإذا خرق هتلر الهدنة مع فرنسا، وحياد إسبانيا، خاطر بفتح جبهات ضده، والتحاق الأسطول الفرنسي في طولون، بالأسطول البريطاني، ودخول الولايات المتحدة الحرب. كان هتلر يجهل الاتفاق السري بين فرانكو وبيتان. لذلك اعتقد أن اجتماعه بالاثنتين يكفي لأقتناعهما بالاتفاق معه على العمليات ضد بريطانيا.

لعبة لافال

٢١ تشرين الأول. أمر هتلر آبتز أن يحضر لمؤتمر يعقد مع الفرنسيين، خلال رحلته إلى لقاء فرنكو في هندي. في اليوم ذاته أبلغ بيتان

هتلر — فرانكو، كان هتلر يمني بخيبة أمل كبرى في لقاء فرانكو. فقد استغل فرانكو ظروفًا قاسية على المحور، ليطالب بأمور لم يكن هتلر ليقبلها مهما كانت الظروف. فقد فشلت الجيوش الإيطالية في احتلال مصر، وأوقف زحفها عند سيدي براني. وفتح موسوليني جبهة ثانية في اليونان، كانت أشبه بالكارثة، فان الجيش في ألبانيا كبده خسائر طائلة.

لذلك قال فرانكو لهتلر إنه لا يستطيع ربط مصيره بالمحور دون أن يعطى: كاتالونيا، والمغرب، ووهران. وقال إنه لا يستطيع السماح للألمان بمهاجمة جبل طارق، خوفاً من هجمات بريطانية على طول الساحل الأسباني. ولذلك لا يمكنه الانضمام إلى المحور.

عاد هتلر من اللقاء منزعجاً جداً. وأدرك أن لقاء بيتان لم يعد ذا شأن كبير إذ لا بد لنجاح خطط هتلر من الاتفاق مع فرنسا وإسبانيا سوياً.

لقاء هتلر — بيتان

حيث ثلّة من الحرس الألماني سيارة المارشال بيتان عند نقطة الحدود الفاصلة (حسب شروط الهدنة). كانت تلك أول رحلة للمارشال إلى القطاع المحتل من فرنسا.

كان الغداء في تور بصحبة آبتز، تبعته قيلولّة حتى الساعة (١٧)، ثم سارت القافلة من جديد، وكان لافال ودوبرينون بصحبة المارشال، عند بلوغ المحطة، استقبل بيتان استقبالاً حافلاً، إذ كان حرس هتلر الخاص مصطفىاً يؤدي التحية، وكان كايتل وريينتروب في استقبال رجل فردان. على الرصيف كان هتلر نفسه ينتظر، سار هتلر لاستقباله وآلات التصوير تلتقط الصور، فيما تنير أضواؤها ظلام الليل.

كان الاجتماع — حسب المترجم شميدت — حُبياً، يهيمن عليه هتلر أغلب الأحيان. ويمكن تلخيص الموقف الألماني بأن هتلر كان واثقاً من النصر، وتحطيم بريطانيا. وكان بيتان يستمع، فسأله هتلر عن موقف فرنسا، إذا قامت بريطانيا بهجوم ما. تحدث بيتان عن مصاعب بلاده، وعن حاجتها إلى استبعاد أي صراع. ثم



هتلر يطلب الاذن من بيتان لمراقبة «فرنسا» الرسم من جريدة «LARAZON» بونيس ايرس في ذاك التاريخ.

صباحاً باتجاه الحدود الأسبانية.

مضى نهار ٢٣ تشرين الأول، مليئاً بالقلق والتساؤل، ففيشي تحاول معرفة متطلبات هتلر، وحدود فرنسا، ودور لافال في هذه المسألة التي أعدت دون مساعدة المستشارين الدبلوماسيين الرسميين؟

حاول بودوان، الذي استبعد من الأحداث، أن يثني بيتان عن لقاء هتلر. دعمه في محاولة إقناعه الدكتور مينيتزل، الذي كان يرى حظ بيتان قليلاً، تجاه هتلر المتفوق عليه حيوية وشباباً ودهاء.

وافق بيتان على آراء مستشاريه، ولكنه قال إن لافال هو الوحيد المسموعة كلمته لدى الألمان، ولا بد من الذهاب إلى لقاء هتلر.

لخص لافال لبيتان ما جرى في لقاءه مع هتلر، وأكد له أن اجتماعه بهتلر الفرصة الوحيدة لتحقيق ما يمكن تحقيقه بالقياس إلى مسألة الأسرى، ومسألة الحدود.

خبيّة أمل

في ذلك الوقت الذي كانت فيه فيشي تعد للقاء بيتان — هتلر، وتترقب نتائج لقاء



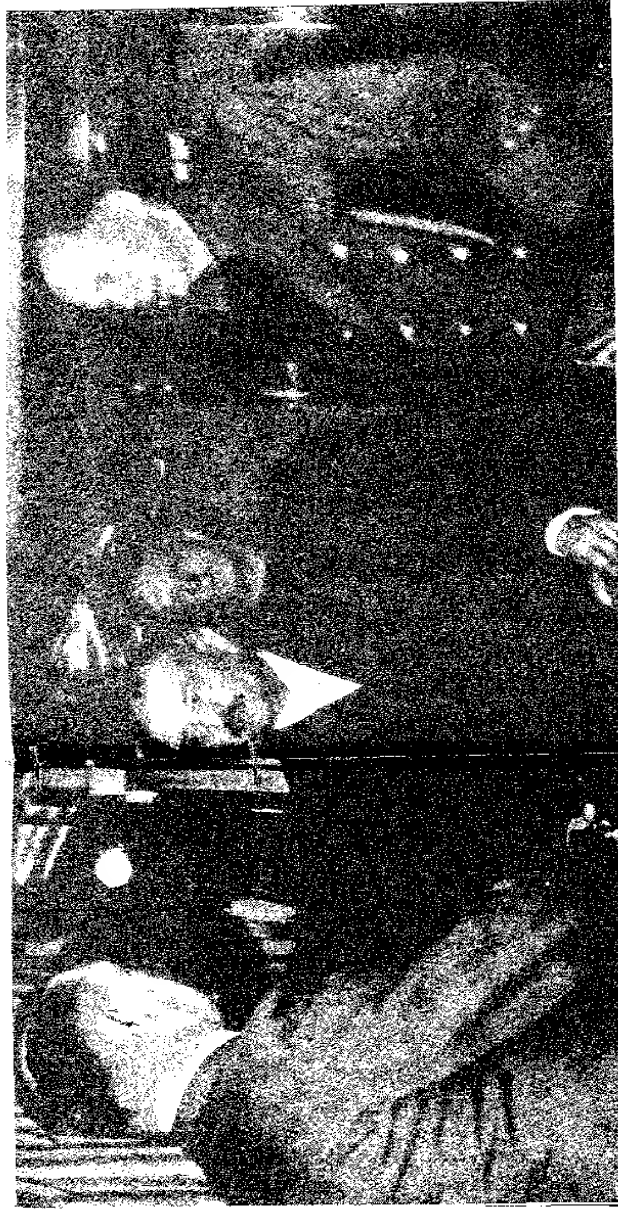
بيتان مع هتلر ولانكو لم تصل إلى نتيجة.

التي يجب إقناع الفرنسيين بها. أعد لافال وأينز مساء، بروتوكولاً مكتوباً، أشبه بتقرير عن اللقاء؛ وقد اتفقا على محاربة أية خلافات تنجم بين الطرفين. أما تحرير الأسرى، وإعادة ضم المقاطعات الفرنسية المحتلة إلى سلطة فيشي، فتستكون موضوع «محادثات تالية» و«اتفاقات خاصة». وأكد الجانبان أن «الكسار بريطانيا لمصلحة فرنسا وألمانيا». وبالتالي فإن الإمبراطورية الفرنسية ستدافع عن نفسها ضد أي غزو بريطاني. لم يؤد البروتوكول إلى نتيجة ما. مع ذلك استمرت المسامحة. لم يكن الفرنسيون يعرفون شيئاً عن ذلك. ولكن الرأي العام ما لبث أن أدرك حقيقة خيارات فيشي.

٢٦ تشرين الأول اجتمع مجلس الوزراء، وقرر أن التعاون هو الخيار الوحيد. ٣٠ تشرين الأول أذاع بيتان خطاباً عبر الإذاعة؛ مستل فرنسا سيده... هذه السياسة هي سياستي... وختم: «يجب أن تكون مخلصي التعاون».

لكن كان عدد الفرنسيين الذين استجابوا قليلاً - كما تنبأ التقدير - فإن الخطاب كانت له آثار خارج نطاق العلاقات الفرنسية الإيطالية. فتشرشل سارع إلى الاتصال بأخصام فيشي في إفريقيا وأعدا بالدعم المطلق. وفي روما خشي الدونشي أن يكون الاتفاق على حساب إيطاليا، ولكن هتلر طمأنه سلفاً، وأكد له أن مطالب إيطاليا مستجابة.

مهما يكن فإن لقاء مونترال - في رأي بعض المؤرخين - كان يمكن أن يغير وجه تاريخ الحرب العالمية الثانية.



لافال في مقطورة هتلر.



الاستيخام على اجتماع هتلر - بيتان.

وجد الفرصة مواتية لطرح الأمور التالية: إذا كانت ألمانيا رغبة في صلح دائم فلا بد أن تظهر بعض التسامح لتخفف من قيود الهدنة. وشروط تحرير الأسرى.

كان هتلر ينتظر مثل هذه العروض. فلفت انتباه المارشال إلى أن الجمهورية الثالثة وعدت في بداية الحرب بفرض عقوبات كبيرة على ألمانيا. وعرض عليه وثائق تثبت ذلك. وجين لاحظ المارشال أنه لن يحظى بظائر من هتلر. وعد بدعوة الفرنسيين إلى التعاون.

ختم هتلر المحادثات المخيبة. فلا دخلت فرنسا الحرب ضد بريطانيا، ولا حصلت فرنسا. ولو على مسودة معاهدة صلح.

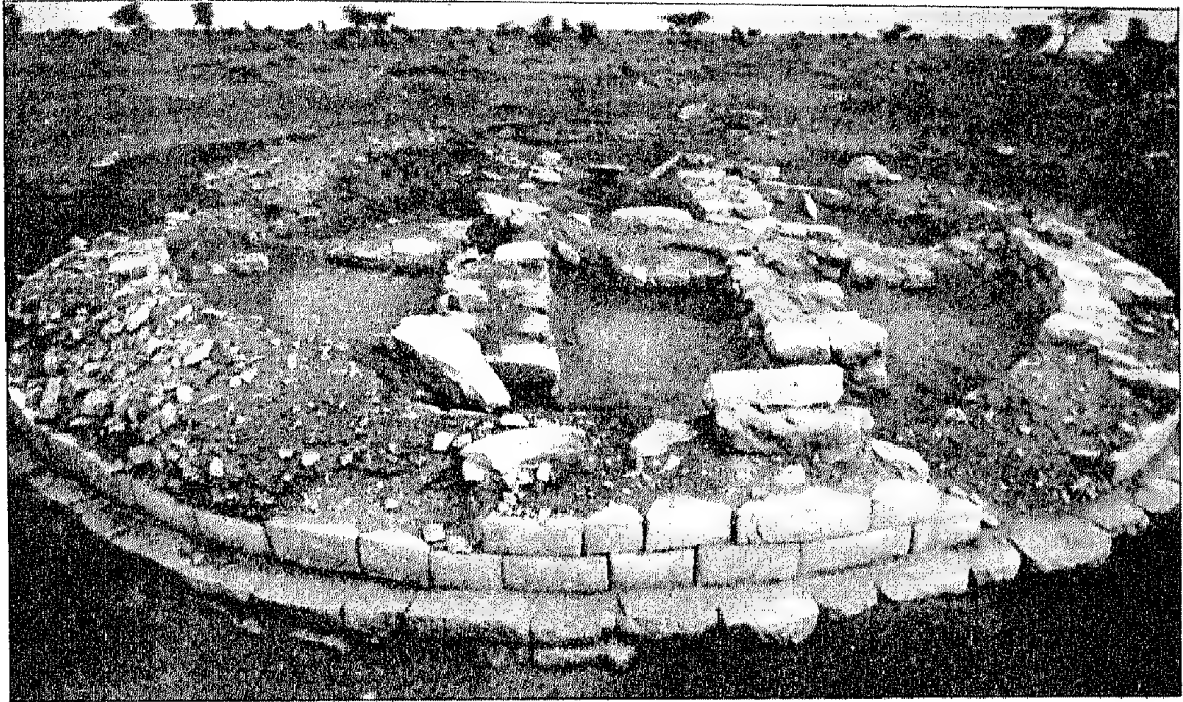
نتائج مقالة

عاد بيتان من المحادثات تسيطر عليه روح التشاؤم. أما لافال الذي شهد المحادثات وملا فراغها بتدخله كاهن هيمين الفراغ على الموقف، فقد رأى أن «مونترال» أدت إلى فكرة التعاون

المواقع الأثرية

في دولة الإمارات العربية المتحدة

إعداد قسم التوثيق والأبحاث



العامّة في بغداد في عام ١٩٧٢ بعثة للمسح لغرض إجراء مسح شامل لمواقع الآثار وتحديد أدوارها الزمنية وتثبيتها على الخرائط.

لقد تمكنت هذه البعثة من خلال تجوالها في الإمارات والأراضي التابعة لها من كشف اثنين وسبعين موقعاً من ضمنها بعض الأبراج الحديثة. وأغلب المواقع المكتشفة تمثل مدافن أثرية مبنية من الأحجار تنتشر في أماكن مختلفة من الدولة، إضافة إلى المستوطنات التي هي الآن عبارة عن أنقاض بشكل تلال متباينة الارتفاع والأشكال.

وهذه المدافن والمستوطنات ترجع إلى فترات زمنية مختلفة أقدمها يرجع إلى عصر جمدة نصر

منذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧١

كانت البعثة الدانماركية تجري

حفريات سنوياً في مواقع مختلفة من

أبوظبي دون أن يكون هناك مسح شامل لمواقع

الآثار. وإيماناً من المسؤولين في دولة الإمارات

العربية المتحدة وعلى رأسهم سمو رئيس الدولة

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بضرورة

كشف التراث الحضاري لهذا البلد، فقد قامت

وزارة الإعلام والسياحة في دولة الإمارات

العربية المتحدة وعلى رأسها معالي الشيخ

أحمد بن حامد بعقد اتفاقية ثقافية في مجال

التعاون في الآثار مع وزارة الإعلام العراقية.

وبموجب هذه الاتفاقية أوفدت مديرية الآثار





أحد مدافن جبل حفيت قبل التنقيب.

العراق حيث كشفت آثاره لأول مرة. لا يمكننا في الوقت الحاضر من حصر عدد القبور المنتشرة في سلسلة جبال حفيت لكونها منتشرة في منطقة واسعة ممتدة من جنوب العين وحتى حصن مزيد وعلى سبيل التقدير لا الحصر يمكن القول بأنها تزيد على المئتين. وتنوي إدارة الآثار والسياحة إجراء مسح لتثبيت جميع هذه المدافن على الخرائط وذلك في المستقبل القريب. لقد تولت البعثة الدانماركية أعمال التنقيب في مدافن جبل حفيت فاخترت ما يزيد عن الخمسة والعشرين مدفناً نقيت جميعاً خلال مواسم متعددة. لقد كان الهدف الرئيسي من اختيار هذا العدد الحصول على أكبر كمية ممكنة من المواد الأثرية لدراساتها والتعرف على

في حدود نهاية الألف الرابع قبل الميلاد. وقد تمثل ذلك العصر في مدافن جبل حفيت ومدافن أخرى. أما أحدثها فهي تلك المستوطنات التي ترجع إلى العصور الإسلامية المتأخرة.

ومن الجدير ذكره أن موقعاً واحداً من العصور الحجرية كان قد كشف قرب مدينة العين، ومن المحتمل أن تكون هناك مواقع أخرى من نفس الفترة.

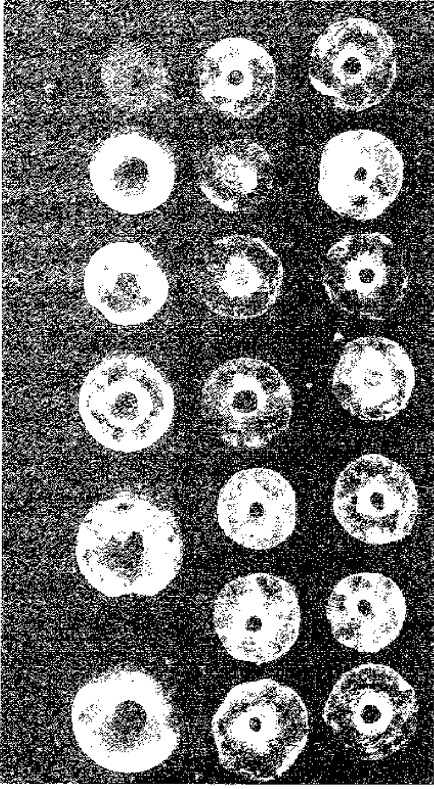
أما المواقع الأثرية المكتشفة إلى الآن والتي ثبتت من قبل بعثة المسح العراقية على الخرائط فهي موزعة على الامارات بالشكل الآتي:

- | | |
|----------------|----|
| ١ - أبو ظبي | ٩ |
| ٢ - دبي | ٣ |
| ٣ - الشارقة | ٢٣ |
| ٤ - رأس الخيمة | ١٦ |
| ٥ - أم القيوين | ٩ |
| ٦ - عجمان | ٦ |
| ٧ - الفجيرة | ٦ |

ولا يزال هناك العديد من المواقع الأثرية التي لم تكتشف إلى الآن. فعمليات المسح التي جرت لم تشمل جميع أراضي الدولة، فلا زالت هناك مناطق وجزر عديدة مثل جزيرة دلم وصير بني ياس تتطلب عمليات التحري والاستكشاف لغرض وضع أطلس شامل لمواقع الآثار وهذا ما يفكر به قسم الآثار في دائرة الآثار والسياحة كي يطلع العالم أجمع على تراثنا الحضاري.

المدافن الحجرية في جبل حفيت:

يعتبر جبل حفيت حداً جنوبياً لواحة البريمي حيث تقع مدينة العين ويبلغ ارتفاعه أربعة آلاف قدم وتتفرع منه سلسلتان متوازيتان تنتهيان عند مدينة العين من جهة تحصر بينهما بعض المرتفعات الجبلية الصغيرة. أقيمت فوق سفوح هاتين السلسلتين والمرتفعات المحصورة بينهما أقدم مجموعة معروفة من المدافن في أبو ظبي إلى الآن. حيث يرجع أغلب هذه المدافن إلى العصر الزمني المسمى بعصر جمدة نصر في حدود نهاية الألف الرابع قبل الميلاد (٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ سنة ق. م). وقد سمي هذا العصر بهذا الاسم نسبة إلى موقع جمدة نصر في وسط



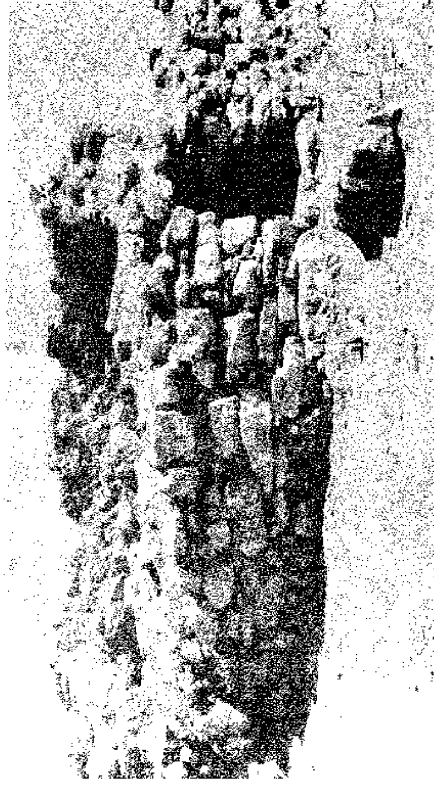
مجموعة من الخزف أغلبها من العقيق غثر عليها في جبل حطيت.

هذا المدخل أو المنبر بصورة كلية أو جزئية بجحارة مسطحة كبيرة.

هذه الدافن فقليلة بصفة عامة تمثل بعض السهام والخناجر والسيف والأواني البرونزية وكميات من الأواني الفخارية الخزفية الشكل والخزف المصنوع من المواد المختلفة، ومن الجدير بالذكر أن مدافن عديدة وجدت خالية من الآثار بل ومن العظام أحياناً وهنا تكمن الصعوبة في تحديد تاريخ مثل هذه الدافن.

إن الأواني الفخارية التي اكتشفت في بعض هذه الدافن ذات قواعد مسطحة وإسداء مخروطية ذات رقبة اسطوانية قصيرة وحافات مسطحة مائلة إلى الخارج، فقد وجدت في الدافن رقم ٢٢ ثلاثة أواني من هذا النوع وبشير وجيد هذه الأواني والآثار الأخرى إلى أن الناس الذين دفنوا موتاهم في هذه القبائر كانوا يعتقدون بفكر الحياة بعد الموت وهذا ما اعتقد به فيما بعد السكان الأقدمون لهيلي وجزيرة أم النار وبنديع بنت سعود، وفي بعض الدافن الأخرى غثر على ما يقارب الأربعمائة خنزة وسهم برونزي ورمي الشكل إضافة إلى الأواني الفخارية الماكورة، أما الدافن رقم (٢٣) فقد غثر فيه على أثمانين ودينوس من البرونز طوله

تاريخ العرب والعالم — ٨٢



مدفن آخر من مدافن جبل حطيت بعد التنقيب.



جبل حطيت. المدافن رقم (٩) بعد التنقيب — المدخل مواجعة للجندوب.

الاقرام التي صنعتها. إن أغلب الدافن التي اختيرت للتنقيب هي تلك التي سرقت حجارته المنشورة على سطحها العلوي وذلك لسهولة تنقيبها حيث أن مثل هذه الدافن لا تحتاج إلا إلى مجهود بسيط للوصول إلى قلب الدافن. لقد تبين بعد الحفر بأن أغلب هذه الدافن قد سرقت في فترات زمنية بعيدة عن طريق فتح حفرة وسطية تنزل إلى اللحد الذي يتوسط الدافن وقد أثبتت الحفريات في عدة مدافن بأنها جميعاً متشابهة إلى حد بعيد.

استعملت الحجارة المحلية. غير الهندية في بناء هذه الدافن وقد رتب بشكل صفوف الواحدة فوق الأخرى حول فراغ دائري أو بيضوي بمثابة حجرة الدفن. لقد تم البناء على سطح الأرض مباشرة دون الحفر فيه وقد روعي في جعل فتحة لكل مدفن من جهة الجنوب بشكل ممر ضيق. ويتراوح قطر كل مدفن قبل التنقيب من ٧ — ١١ م أما الارتفاع فيتراوح من ٣ — ٥ وأقصى قطر لغرفة الدفن من الداخل هو ٢ م. إن أكبر هذه الدافن (رقم ٢٢) إذ يبلغ قطر حجرة الدفن فيه ٢,٨٥ م وترتفع ٢,٦ م وأصغرها رقم (١٩) قطر حجرتها ١,٣٥ × ١,٢٥ م أما معدل عرض المدخل المؤدي إلى غرفة الدفن فهو (٥٠ سم) وغالباً ما يسقف مثل

٨٢ — تاريخ العرب والعالم

١١ - ١٢ سم ونصل خنجر مثلث الشكل
قياسة ٢١,٥ × ٦,٣ سم ذو ضلع خفيف.

ان أغنى مدافن جبل حفيت هو المدفن رقم
(٢٠) حيث سقط هذا المدفن فحافظ على
الموجودات الأثرية التي يضمها اذ لم يتمكن
للصوص من سرقة. عثر في هذا المدفن على
اناء مزخرف من حجر السيتيتايت واناءين
برونزيين أحدهما ذو مصب، عثر عليهما على
مقربة الرأس وعثر كذلك على زر مسطح من
الصدف الأملس قرب منطقة الحوض ولسان
حزام من البرونز وسيف برونزي قصير طوله
٤٢,٥ سم. نقش هذا السيف في منطقة
الاتصال مع المقبض بدوائر متداخلة وليس لهذا
السيف مثيل في أي مكان من الشرق الأوسط.
ان أقرب سيف يمكن مقارنته بسيف حفيت
هو سيف من لورستان في غرب ايران يعود الى
القرنين الثالث عشر والرابع عشر قبل الميلاد
ونظراً لوجود هذا التشابه بين هذين السيفين
فيمكن اعطاء نفس هذا التاريخ لمدفن حفيت
الذي عثر بداخله على هذا الأثر.

أما بالنسبة الى طريقة الدفن فتشير العظام
التي لازالت في أماكنها الأصلية في بعض هذه
المدافن ومنها المدفن رقم (٢٠) الى أن الجسم
قد سجي على جانبه والرأس متجه الى الشرق.
ومن الجدير ذكره بأن غرف الدفن هذه تتسع
لأكثر من جثة واحدة حيث عثر في أحد هذه
المدافن على بقايا لأربعة جماجم بشرية.

وينبغي الإشارة ان دائرة الآثار والسياحة
في أبوظبي قامت باستئناف التنقيب في مدافن
جبل حفيت حيث تمكنت في موسم
١٩٧٣/١٩٧٤ من كشف عشرة مدافن أخرى

وبذلك يصبح مجموع المدافن المنقبة إلى الآن
خمس وثلاثين مدفنًا.

تقع المدافن العشرة على السفوح الشرقية
لحفيت قرب حصن مزيد على بعد ٢٥ كيلومتراً
عن مدينة العين وقد كشف عن مدفن واحد
بشكل مستطيل (٣,٧٠ × ٣,٢٠) وآخر
بيضوي مقسم من الداخل الى ثلاثة أقسام، أما
بقية المدافن فجميعها بأشكال دائرية غير
منتظمة تتجه أغلب مدخلها نحو الجنوب.

أما المكتشفات الأثرية التي عثر عليها
داخل هذه المجموعة من المدافن فقليلة أهمها
ختم منبسط من الرخام الشمعي شبيه بأختام
ديلمون المعروفة. لقد نقش الوجه الداخلي لهذا
الختم بشكل انسان واقف مرتدياً مغضنة
قصيرة حاملاً بيديه المرفوعتين بموازاة كتفه
عصاة يتدلى من طرفها ثقلان، ويقف عند
الكتفين طيران متقابلان. وفي الجزء السفلي من
الختم توجد في وسط كل منهما نقطة صغيرة
وتتفرع من كل دائرة خطوط أشبه بالأشعة.

أما الوجه الخارجي فينقسم الى قسمين
متساويين بواسطة ثلاثة خطوط محفورة وفي كل
قسم توجد دائرتان متقابلتان في وسط كل
منهما، والختم مثقوب بشكل أفقي.

ومن المكتشفات الأخرى رأس صولجان
معرق اضافة الى أدوات الزينة كخرز العقيق
والكريستال والحجر الطباشيري الأخضر. وعثر
كذلك على حلقة من العقيق وأساور برونزية.
ومما يجدر ذكره أن المخلفات العظمية قليلة جداً
ولم يعثر على هياكل عظمية كاملة بل عثر على
عدد من الجماجم البشرية وعلى مجموعة قليلة
من العظام المهشمة.

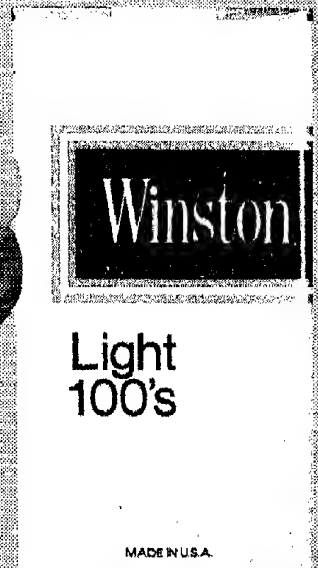
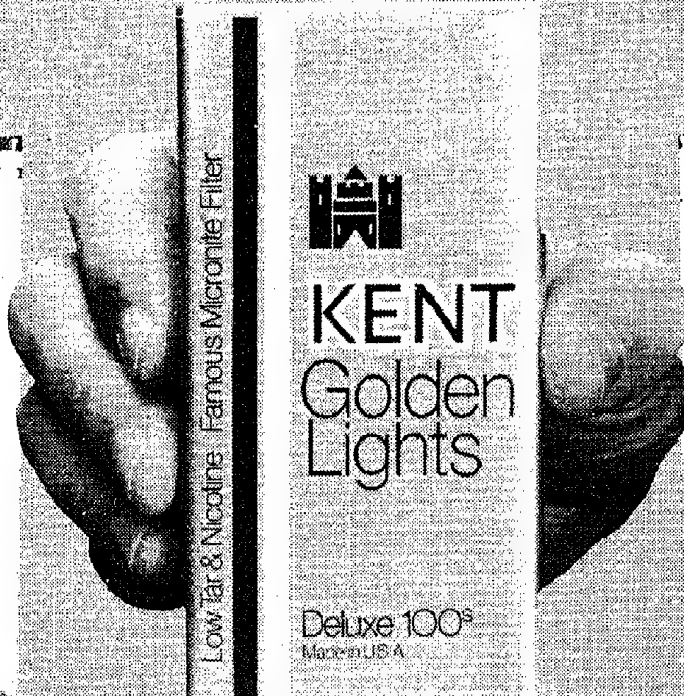
ان اعداد النة الأولى من تاريخ العرب والعالم
متوفرة، في كية محدودة، لي قسم الإستراكات، وذلك في مجلدين
أنيقين قيمة ما ٣٠٠ ل.ل.

فتارت

١١ مَلْع فتطران

٩ مَلْع فتطران

١٣ مَلْع فتطران

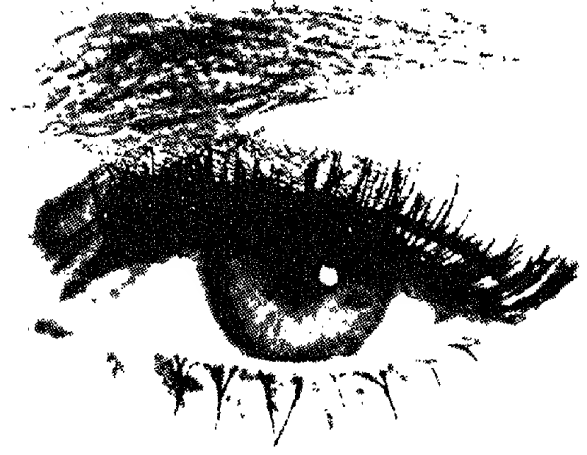


كنت غولدن لايتس
نيكوتين أقل. قطران أقل. نكهة حقيقية.

وَحْدَهَا سَيَجَارَةُ كَنْتْ غَوْلْدَنْ لَايْتْسْ
تَعْطِيكَ النِّكْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الْمَشْبَعَةَ لِلتَّبْعِ مَعَ نَسَبَةِ أَقَلِّ
مَنْ النِّيْكَوْتِيْنَ وَالْقَطْرَانَ.

مُحتَوَى القَطْرَانِ بِنَاءً عَلَى تَقْرِيرِ لَجْنَةِ التِّجَارَةِ الْفَدْرَالِيَّةِ (FTO) فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، أَيْلَار ١٩٨١.
مُسَوَّدةٌ بِمَاشَرَةٍ مِنَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَمَوْضُوعَةٌ فِي لَيْسَانٍ مِنْ قِبَلِ إِدَارَةِ عُمْرِ التَّبْعِ وَالنِّبَاحِ الْبَنَاءِيَّةِ

وصف الطرفة في كتب الكحل



من حنين بن إسحق إلى ابن النفيس

د. مؤنس محمود غانم

نستعرض فيما يلي ما ذكره الأطباء العرب عن أحد أمراض العين وهو (الطرفة). ونحن نعلم أن العرب قد برعوا في جراحة العيون بشكل خاص، مما جعل الدكتور ماكس مايرهوف يقول (لقد بلغ طب العيون عند العرب حداً يدعو إلى الدهشة والإعجاب حقاً).



ويسير بحثنا هذا وفق تسلسل منطقي وزمني من الأقدم إلى الأحدث بدءاً من القرن التاسع: عصر حنين بن إسحق والرازي؛ مروراً بالقرن العاشر: عصر القمري وعلي بن عيسى؛ وإنهاء بابن النفيس في القرن الثالث عشر. ومن خلال هذه المسيرة التي تستغرق خمسة قرون سنرصد تطور وصف الطرفة مدللين إلى أن هذا المرض ما زال موجوداً بيننا وإن اختلف أسلوب وصفه اليوم.

هذا السبيل ورق الخلاف. وإن كان النزف شديداً واحمرار العين طافح فلا بد من تقطير بياض البيض الرقيق ومن بعده تضميدها بالأشياء المانعة مثل اكليل الملك والزعفران وأصل السوسن ودم الأخوين.

وصف الطرفة عند العلماء العرب

١ - الطرفة عند حنين بن إسحق^(١):
نذكر ما قاله حنين في كتابه (المقالات العشر في العين) والذي حققه المستشرق د. ماكس مايرهوف وطبع في القاهرة سنة ١٩٢٨:

ما هي الطرفة؟

الطرفة عبارة عن الدم الذي ينصب إلى ملتحمة العين بسبب تمزق في الأوردة بتأثير رض مؤجّه نحو العين، وقد تنجم الطرفة عن خراج كان موضعاً ثم انفجر بعد ذلك، وقد يكون السبب لاهذا ولذاك وإنما أصابة في عناصر الدم بالذات.

أما علاج الطرفة فيختلف حسب حالة المريض، فإن تشاركت مع جرح الملتحمة نفع فيها كثيراً تقطير الملح والكمون، وكذلك ينفع في

الطرفة دم ينصب في الملتحم من تمزق الأوردة التي فيه، وأكثر ذلك إنما يكون عن ضربة، ويقال له (هيبوسفا غما).

العلاج: أن تقطر في العين دم الحمام أو دم الورشان، وهو دم حار ولين امرأة وهو حار معه شيء من كندر مسحوق. أو قطر فيها ماء الملح، وكمد العين بماء قد طبخ فيه صعتر وزوفا يابس، فإن كان في العين ورم فضمدها بضماد يتخذ من الزبيب المنزوع العجم مسحوقاً مع ماء العسل أو مع خل، فإن لم يتحلل فاخلط فيه فجلاً مدقوقاً، فإن لم يتحلل فاخلط فيه شيئاً من خرق الحمام.

٢ — الطرفة عند أبي بكر الرازي (٢):

نذكر ما قاله الرازي في كتابه الجامع (الهاوي في الطب) عن نسخة فلوراي شريف ونسخة الاسكوريال برقم ٨٠٦ مدريد:

وأما الطرفة فهو دم ينصب إلى الملتحم ثم يخرق الأوراد التي فيه، وهو ضربان إما أن ينخرق الملتحم معه، وإما أن لا ينخرق جوهر الملتحمة ولكن بعض أورده وذاك يكون من ضربة ونحوه. قال بولس في علاج الطوفة: قطر في العين دم الحمام أو لبن امرأة حين يحلب، مع شيء من كندر. أو إسحق شيئاً من الكندر ويصير في ماء وملح ويقطر في العين، أو قطر في العين شيئاً من ملح اندراني وكمد العين بطبيخ الزوفا اليابس. فأما الورم والدم الحادث عن ضربة فيصلح أن يكمد بالخل والماء، ويفعل ذلك متصلاً دائماً مرات كثيرة، ويوضع على العين إسفنجة قد غمس في الخل والماء ويعصر الفجل مع زبيب منزوع العجم. وإن كان الورم يخاف أن يزيد فضمم بالأشياء المانعة: اسلق ورق الكرنب وضمم به العين بعد أن لا ينفع الدم ونحوه، واطبخ صقراً في الماء وكمد به مرات وبخل فيه خرقة وضعها على العين. أو يكب العين على بخاره دائماً، ثم ضع عليه إسفنجة بخل وماء فإن لم ينجح وبقي الورم والحمرة بحالها، فاسحق الخردل بالماء وضعه عليه.

٣ — الطرفة عند القمري (٣):

نذكرها من خلال مخطوط لم يحقق بعد للقمري عنوانه (غنى ومنى):

سبب الطرفة دم ينصب إلى الملتحم من إنخراق أوردة من ضربة أو سقطة أو نحوها. ويكون في الندرة من مدة ويقيح. وعلاجها: أن يقطر في العين دم فرخ حار من أصل جناحه، أو يقطر فيها ماء الكرفس الرطب، أو بعض طيور الماء أو دم ورشان مفرداً أو مع الطين الأرمني أو قيمولياً مقداراً يسيراً، ويضرب بيضة مع دهن ورد ويوضع على العين ويمسك العين على بخار ماء الورد الممزوج بالخل. وينفعه أيضاً دقيق بياض البيض ولبن الجوازي إذا قطر فيها، ويقطر فيها شيء قليل من خرق الحمام أو شراب عفص وماء الورد ولبن الجوازي.

وقد جرب الشيايف الدينار جوني فوجد نافعاً، ويضمم العين بالزبيب المنقى والخل وورق عنب الثعلب والصبر والملح الأبيض.

والذي يحدث عن المدة المتقحة فيعالج بالشيايف الأبيض وشيايف الآبار، أو يقطر في العين لبن جارية وهو حار مع شيء من كندر مسحوق ويضمم العين بضماد متخذ من اكليل الملك ودم الأخوين وأصل السوسن وعدس وزعفران بدهن الورد وصفرة البيض، ويوضع على العين صوف لين قد غمس في بياض البيض المضروب مع الشراب أو دهن الورد.

وإذا ورمت العين من ضربة أو سقطة فاقصد القيصال، وأمسكها على بخار الماء والخل. واضمدها بهذا الضماد: قشر الفجل وزبيب منزوع العجم يجمعان بالخل ويضمم بها. صفة الشيايف الدينار جوني:

إقليميا الذهب واسفيداج من كل واحد عشرة دراهم، كثيرأ خمسة دراهم، نحاس محرق درهمين، بسد ولولو ودم الأخوين من كل واحد أربعة دراهم، عروق درهم، زرنخ أحمر وسكر طبرزو وقاقيا من كل واحد نصف درهم، أفيون سبعة دراهم، لباب الحنطة درهمين، زعفران درهمين، يدق وينخل ويتخذ شيافاً.

صفة شيايف الآبار:

إقليمياً مغسول وتوتياء واسفيداج وكحل وكندر من كل واحد درهمين، مرّ درهم، انزروت درهم ونصف، دم الأخوين درهم، أفيون درهم ونصف، يشيف.



تمثيل درس عن علاقة العين بالدماغ

أيضاً من خراج.
العلاج:

إن كنت حذراً من حدوث ورم فيجب أن تبادر بفتح القيصال وتقطر في العين لبن جارية، فإن كانت الحمرة والورم والدم زائداً فقطر في العين بياض البيض الرقيق وضمد بها بالأشياء المانعة، وإن لم يكن للورم أثر فيجب أن تقطر في العين في الإبتداء لبن جارية حاراً، أو دم فرخ تعصره من أصل الريش الصغار الذي تحت الجناح، أو مع الطين الأرمني. أو شيئاً من الرخام الذي يوجد في الطين الأخضر فإن تحلل وإلاً فاسحق الكندر وادفه بلبن امرأة، وقطره في العين فإن تحلل وإلاً فقطر فيها ماء الفانخولة أو ماء الملح الأندرائي، وكمد العين بماء قد طبخ فيه صعتر وزوفا يابس، فإن تحلل وإلاً فقطر

ويشترط في أدوية العين أن يسحق حتى يصير مثل الهواء ولا يتعاون بها. وبعد ذلك يستعمل على الصلابة مرة أخرى.

٣ — الطرفة عند علي بن عيسى^(٤)

تذكر ما قاله علي بن عيسى في كتابه (تذكرة الكحالين) عن نسخة دار الكتب الظاهرية:

أما الطرفة فإنها دم ينصب إلى الحجاب الملتحم مع انخراق الأوراد التي فيه، وقد يعرض ذلك من ثلاثة أسباب أحدها من أحد الأسباب البادية التي تصيب العين فتخرق الملتحم، والآخر دم ينسكب إلى الملتحم من شدة ضربة تصيب العين من غير أن تخرق فيه عروق، والثالث يعرض بغتة من غير سبب بإد ويكون ذلك من دم حار منصب إلى الملتحم، وربما عرض أيضاً بعقب قذف شديد وقد يكون

فيها ماء الفجل، وضمد العين أيضاً بقشور
الفجل والزبيب مع ذرق الحمام. فإن كانت
الضربة قد خرقت الملتحم فامضغ ملحاً وكموناً
وقطره في العين. ومما ينفع أيضاً الطرفة زرنخ
أحمر يسحق ويطح في الماء ويفترويطرح ما صفا
في العين، وقد تبخر العين أيضاً بكندر وأحشاء
البقر فتبرأ الطرفة ومما ينفع أيضاً في الطرفة
هذا الشيفاف. وصفته:

يؤخذ شاذنج مفسول ثلاثة دراهم، نحاس
محرق درهمان، بسد لولو غير مثقوب من كل
واحد درهم ونصف، صمغ عربي وكثيراء من
كل واحد درهمان ونصف، فوفل مسحوق على
حدة أربعة درانيق ونصف، إسفيداج الرصاص
درهم، زرنخ أحمر ودم الأخوين وزعفران من كل
واحد نصف درهم. تجمع هذه الأدوية مسحوقة
وتجمع بدم الفراريج ويشيف وتداف وقت
الحاجة بلبن جارية، ويستعمل جملة الأدوية
أثني عشر دواء فإن كانت عن فتق خراج
فعالجه بالشيفاف الأبيض وبشيفاف الآبار.

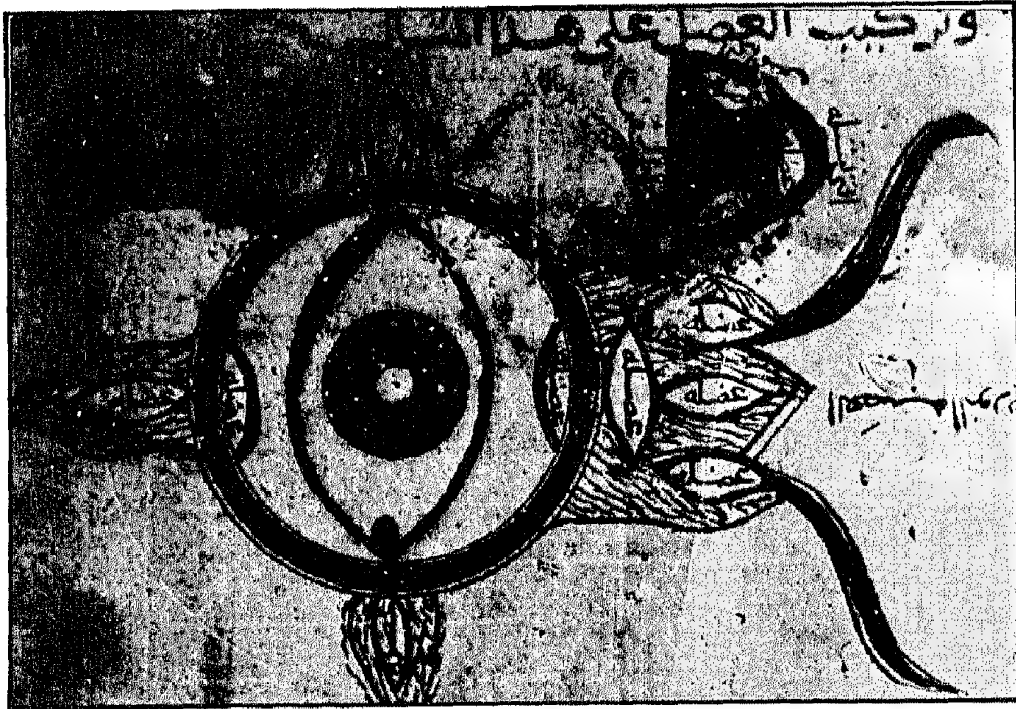
٤ — الطرفة عند ابن سينا^(٥)

نذكر ما قاله ابن سينا عن الطرفة في كتابه
الموسوعي (القانون في الطب) الذي نشرته مكتبة
المتنبي ببغداد:

الطرفة نقطة من دم طري أحمر أو عتيق

ماتت أكهب أسود قد سال عن بعض العروق
المنفجرة في العين بضربة مثلاً أو لسبب آخر
مفجر للعروق من إمتلاء أو ورم حتى يعتق فيه.
ومن جملته الصحية الحركة العنيفة، وربما
كان عن غليان الدم في العروق، وربما حدث عن
الطرفة الضربية خرق لطيف في الحدقة والذي
في الملتحمة من الخرق أسلم.

المعالجات: يقطر عليه دم الحمام
أو الشفانين أو الفواخت والوراشين وخاصة من
تحت الريش وإن كان في الإبتداء خلط به شيء
من الرادعات مثل الطين المعروف بقيموليا
والطين الأرمني. وأما في آخره فيخلط بالمحلات
حتى الزرنخ مع الطين المختوم. وقد يعالج بلبن
إمرأة مع كندر والماء المالح وخصوصاً المعروف
فيه ملح أندرائي أو نوشادر، وخصوصاً إذا
جعل فيه مع ذلك الكندر وقطر على العين منه،
وأيضاً شيفاف دينار جون نافع منه جداً، ودواء
متخذ من حجر الفلفل والأنزروت أجزاء سواء
زرنخ مثل الجميع، وقد يخلط بذلك ملح
أندرائي فيتخذ منه شيفاف وقد يضمده به من
خارج بقلي محرق بالخمير أو بالخل، وكذلك ذرق
الحمام بالخل أو الخمر أو زبيب منزوع العجم
ضماداً وحده أو بخل أو بسائر ما قيل
وخصوصاً إذا كان ورم. وكذلك الجبن الحديث



رسم تشريحي
لاسحق العبادي
من القرن الثاني
عشر (دار
الكتب — القاهرة)

والقليل الملح والجبن الحديث وقشر الفجل
واكليل الملك مع دم الأخوين وأصل السوسن
وزعفران، أو عدس بدهن الورد وصفرة البيض
والإكباب على الماء الحار الذي طبخ فيه زوفا
وزعتر أو التكميد به، أو خل طبخ فيه رماد
أو نقيع اللبان مع الصبر أو ماء عصفر بري
أو نقيع الزعفران، أو ماء طبخ فيه بابونج
وأكليل الملك أو عصارتها أو سلاقة ورق
الكرنب أو التضميد بورق الكرنب مطبوخاً
مدقوقاً. وللقوي المزمع خربل مدقوق مخلوط
بضعفه شحم التيس ضماداً، أو زرنينج محلول
بلبن أو رمان مطبوخ في شراب يضمده به
أو تاتخواه وزوفا بلبن البقر، فإن حدث مع
الطرفه خرق في الملتحم مضغت الكمون والملح
وقطرت الرقيق فيه، وورق الخلاف نافع منه جداً
إذا ضمده به.

٥ - الطرفة عند ابن النفيس (٦)

نذكر ما قاله ابن النفيس عن الطرفة في
مخطوطه، «مفتاح الشفاء» والذي حققه الدكتور
نشأت الحمارنة:

الطرفة نقطة من دم طري أحمر أو عتيق
باهت اللون أسود، وقد سال من بعض العروق
المنفجرة في العين. الأسباب: قد يكون عن سبب
بإٍ مثل الضربة أو سبب آخر كتفجر العروق
من إمتلاء أو ورم حتى ينشق منه، ومن جملة
الأسباب الصحية الحركة العنيفة، وربما كان
من غليان الدم في عروق. وربما حدث عن
الضربة خرق في الحدقة والذي يعرض في
الملتحمة من الخرق فهو أسلم. الأعراض
والعلامات: ما كان من سبب بإٍ فيعلم بالسير
والبحث والمسابلة، وأما ما كان من إمتلاء
أو ورم فيدل عليه تكرر العين وامتلاء عروقها
وميلها إلى الجحوظ بما فيها من الورم.

المدواة:

يقطر عليه دم الحمام والشفانين والراشين
والفواخت وخاصة من تحت الريش. فإن كان في
الابتداء فيخلط معه الرادعات كالطين الأرمني
وما شاكل ذلك، وإن كان في الإنتهاء فيخلط معه
المحلات كالزرنينج إن كان إندرانياً أو نوشادر
وقد يضمده بذرق الحمام مع خل من خارج.
ويضمده بإكليل الملك مع دم الأخوين وأصل

السوسن وزعفران وعدس، والإكباب على ما قد
طبخ فيه زوفا وسعد، أو قد طبخ فيه إكليل الملك
وبابونج وعصارتها، والتضميد بورق الكرنب بعد
طبخه ودقه. فإن عرض مع الطرفة خرق في
الملتحمة، فامضغ الملح مع الكمون وقطر
ما يجلب منها مع الرقيق عليه؛ وورق الخلاف
نافع جداً. هذا مع مراعاتك أمر الإستفراغ إن
حدثت. وإن تم إمتلاء فافعل على القانون
المقدم ذكره فإنه يكون فيه الشفاء إن شاء الله.

الأعلام:

- (١) حنين بن اسحق: ولد في الحيرة سنة ٨١٠م وهو
من قبيلة عباد، اشتهر بنقل الكتب من اليونانية
إلى العربية والسريانية ومن مؤلفاته: المدخل في
الطب، وقد خلف ولدين هما إسحق وداود...
اشتغل الأول بالترجمة، والثاني بالطب.
- (٢) الرازي: ولد في الري سنة ٨٦٤م وتوفي سنة
٩٣٢، ودعي جالينوس العرب، له مؤلفات كثيرة
جداً تقدر بحوالي ٢٥٠ ولكن ضاع أكثرها، ومن
أهم مؤلفاته برء الساعية، والحاوي في الطب وكتاب
فيمن لا يحضره الطبيب. أصيب في أواخر أيامه
بالساد ثم اختفى بصره ورفض إجراء الجراحة
لأنه على حدّ تعبير قد ملّ من كثرة ما شاهد من
أمور الدنيا.
- (٣) القمري: من أعلام القرن العاشر الميلادي. اشتهر
بأمراض العيون وله مؤلفات عديدة ضاعت
ولم يصل إلينا سوى هذا المخطوط.
- (٤) علي بن عيسى: يقال له عيسى الكحال، وقد اشتهر
بصناعة الكحل في بغداد، ألف كتابه الشهير تذكرة
الكحالين الذي نقل إلى اللاتينية سنة ١٨٤٥؛ وله
مؤلف ما يزال مخطوطاً بعنوان منافع الحيوان
ويعتبر عيسى الكحال من أشهر أعلام القرن العاشر
الميلادي.
- (٥) ابن سينا: ولد في أخشنة سنة ٩٨٠م وتوفي في
همذان سنة ١٠٧٣. وهو من أعظم ما أنجبت
البشرية من عبقریات لقب بالشيخ الرئيس وهو
حساب وطبيب وفيلسوف من كبار فلاسفة العرب
وأئمة مفكرهم، دافع عن خلود النفس ووحدة
الخالق، وله مؤلفات عديدة أشهرها القانون في
الطب، الشفاء، الإشارات والتنبيهات في المنطق،
وكتاب النجاة وهذه كلها مطبوعة.
- (٦) ابن النفيس الدمشقي: (١٢١٠ - ١٢٨٨) وكان
رئيس أطباء مصر وهو أول من وصف الدورة
الدموية الصغرى فسبق بذلك وليم هارفي الإيطالي
بثلاثة قرون، ومن كتبه شرح تشريح ابن سينا
والمذهب في الكحل المجرب ومفتاح الشفاء.



ميشال اسطفان



بالمفهوم العام، ان الصبح مقبول والخطأ مرفوض، ما عدا في هواية جمع الطوابع، ويا للعجب؟



نعم، ان الطوابع البريدية المغلوط فيها، هي امر مهم جدا عند هواة جمع الطوابع، ولها قيمتها الخاصة، خلافا لغيرها من الاشياء الاخرى، التي اذا اعتورها، خطأ قلّت قيمتها وبيعت بابخس الاثمان.

ان قيمة الطابع المغلوط فيه، تساوي من ضعف القيمة الاساسية الى مئات الضعاف احيانا، وتكون الاخطاء عادة في الطباعة الاساسية او في التوشيح او في التخريم او في العلامة المائية الى غير ذلك، ومهما كانت هذه

الفروق والاخطاء في طوابع البريد



٢



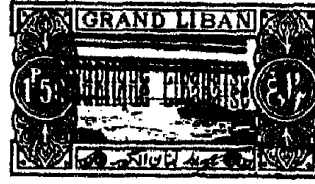
٢



١



٦



٥



٤

١٠ جنيهاً استرليني لفئة القرش الواحد بينما الصحيح ١٥ بنسا فقط.

طوابع لبنان وحرفي «CE» ناقصة من كلمة «CENTIEMES» (ص ٣)، قيمته ٦ جنيهاً استرلينية بدلا من ٢٠ بنسا. والتوشيح مقلوب على طابع باستور قيمته ٦ جنيهاً بدلا من ٢٥ بنسا (صورة ٤). وتوشيح مكرر قيمته ٤ جنيهاً بدلا من ١٥ بنسا (صورة ٥). والتوشيح مع الطيارة مقلوبين قيمته ١٠ جنيهاً بدلا من ٢٠ بنسا للطابع الصحيح (صورة ٦).

طوابع الاردن: توشيح «بريد» باللغتين مكرر على طابع اعانة عرب فلسطين من فئة ١٠ ملين (صورة ٧)، قيمته اليوم ٢٥ جنيهاً. وطابع نهرو التذكاري من فئة ١٠ فلس ناقص كلمة «FILS» قيمته ١٤ جنيهاً بدلا من ٨ بنسات (صورة ٨). وطابعا الامير عبدالله من فئة ١٠ فلوس و ٣٥ فلسا، من دون الطبعة المذهبة، قيمة كل طابع منهما ٢٠٠ جنيهاً استرليني. وطابع الملك عبدالله من فئة ٥ مليمات موشح «مكافحة الجراد» مكرر، قيمته ٢٥٠ جنيهاً وفئة ٥٠ مل موشح فلسطين مرة صحيحا ومرة مقلوبا، قيمته ٦٠ جنيهاً بدلا من ٤٠ بنسا (صورة ٩).

الاطفاء فانه لا يمكن التفريق بينها من حيث قيمتها بطريقة منهجية، بل يُعتمد في ذلك على المظهر الخارجي، وما كان منها معدلا للمعنى المقصود او للشكل، وهذه وحدها هي التي تُعطي الافضلية في العرض والطلب للذين عليهما يتوقف تحديد القيمة. لذلك فضلنا شرح بعض تلك الاخطاء، لاكثر من بلد عربي واجنبي، مع بيان صورها وقيمها الحالية. مثال ذلك:

طوابع فلسطين: ان الطابع الموشح «فلسطين» بثلاث لغات (صورة ١)، جاءت فيه الـ «ط» «ظ»، فصارت الكلمة «فلسطين» بدلا من فلسطين، وقيمته اليوم ما بين ١٥٠ و ١٤٠٠ جنيهاً استرليني، وذلك بالنسبة للفئة المغلوط فيها، من المجموعة المذكورة المؤلفة من ١١ طابعا.

وثمة اخطاء اخرى مثل التاج الناقص في العلامة المائية، قيمته اليوم ٢٥ جنيهاً استرليني بينما الصحيح، قيمته جنيهاً فقط. ونقطة ظهرت عفوا بجانب الرقم ٤ على طابع من فئة الاربع مليمات، فاصبح يُقرأ «٤٠»، قيمته اليوم خمسة جنيهاً بدلا من ١٥ بنسا، (صورة ٢). وخرم ناقص في التخريم في عدة فئات، قيمته



١٠



٩



٧



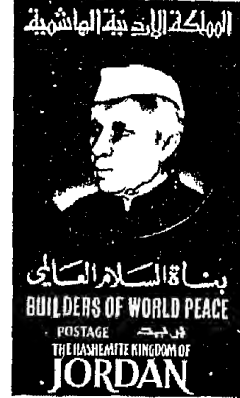
١١



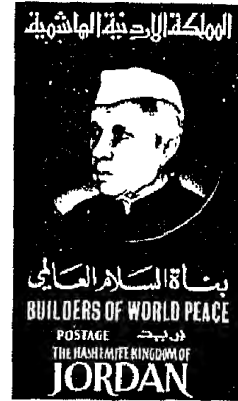
١٣



١٢



٨



١٤

وطابع اليوبيل الفضي لجمعية الهلال الأحمر
١٩٥٧، موشح مكرر، قيمته ١٠٠ جنية،
والصحيح ٦٥ بنسا.

طوابع سوريا: طابع «OMF» موشح على
طابع فرنسي، التوشيح مكرر، قيمته ١١ جنيها،
والصحيح ١٥ بنسا (صورة ١٣). وكثيرا غيره.
وهناك طابع كندا لذكرى الممر المائي بين كندا
والولايات المتحدة، اسم البلد والذكرى، في أعلى
الطابع وأسفله، طباعة مقلوقة، قيمته ٥٥٠٠٠
فرنك فرنسي والصحيح فرنكان ونصف الفرنك
فقط، (صورة ١٤). وطابع الولايات المتحدة

طوابع مصر: طابع الملك فاروق طيارة من
فئة ٥٠ مليما موشح «ملك مصر والسودان»
بالمقلوب، قيمته ٩ جنيها والصحيح ٩٥ بنسا،
(صورة ١٠)، وفئة ٢ مليم موشح فلسطين
بالمقلوب، قيمته ١٥ جنيها والصحيح ٨ بنسات،
(صورة ١١).

طوابع العراق: طابع الملك فيصل الاول من
فئة ٨ فلس، موشح بالمقلوب، قيمته ١٠٠ جنية
استرليني، والصحيح ٢٥ بنسا، (صورة ١٢)،
وفئة ٣ فلس موشح بالمقلوب وآخر مكرر، قيمة
كل منهما ٧٥ جنيها، والصحيح ١٠ بنسات.

اليوم تصنف مليون فرنك فرنسي، والصحيح ١١٠٠ فرنك فقط. (صورة ١٥)

هذا نموذج بسيط عن وضع الاخطاء وقيمها في العالم، وهناك غيرها بالئات، يجمعها الهواة المتقدمون والذين يملكون المال الوفير، كل ينفقه على هواه وبحسب هوايته للبلد الذي يرغبه ويفتخر بما لديه، وخصوصا عندما يعرض مقتنياته في المعارض الدولية ويحظى بجائزة ما.

١٥



طيارة اصدار سنة ١٩١٨ من فئة ٢٤ سنتا، صورة الطائرة في الوسط، طباعة مقلوبة، قيمته

المنتسبون الجدد في نادي هواة جمع الطوابع

٧ - داود محمد سالم، ص.ب. ١٣٥٨٤، شناس، سلطنة عُمان. العمر ٢٠ سنة، طالب، هاوي متقدم، يجمع طوابع جديدة ومختومة وغير مخرمة وبطاقات وفروق واخطاء وغلافات وطوابع ذات مواضيع خاصة واختام من كافة اقطار العالم وخاصة الاقطار العربية.

رسائل القراء

تسلمنا رسالة من السيد انطون فرح بخاتم بريد بيروت، ولم يذكر عنوانه حتى نتمكن من الاجابة على سؤاله.

٥ - سعد محمد قاسم، حي المتنبى محلة ٦٠٣ زقاق ٢٩، رقم الدار ٨ مدينة المنصور، بغداد العراق، العمر ٢٦ سنة، موظف، هاوي مبتدىء، يجمع طوابع جديدة وبطاقات من لبنان والاردن وسوريا وتونس والجزائر والمغرب، وطوابع ذات مواضيع خاصة.

٦ - مؤيد الثنيان، شارع الظهران مقابل مقروشات المطلق، ص.ب. ٢٥٦٦ الدمام، السعودية. هاوي متقدم، يجمع طوابع جميع البلدان العربية ومعظم دول اوربا الغربية وخاصة اللوحات.



طلب مراسلين

عربية في رجوع البريد. ويبقى معلوما ان القصد من ذلك العمل على تعميم الفائدة على الهواة بامدادهم بهذه المعلومات في حينه، ولسنا نرمي الى اية فائدة مادية من هذه الارساليات الضئيلة، ذلك ان معظم المؤسسات البريدية في العالم العربي توافينا بنماذج عن اصداراتها الحديثة وبالمعلومات المتعلقة بها، لكننا قد نتلقى هذه المعلومات من اصدقائنا الهواة بصورة اسرع.

اتنا نرغب الى اصدقائنا الهواة أو النوادي وجمعيات هواة جمع الطوابع في البلدان العربية، اعلامنا بكل ما يتصل بهم من معلومات عما تصدره المؤسسة البريدية عندهم، من طوابع وغلافات وبطاقات واوراق رسائل وغيرها.

ونكون شاكرين كل من يرفق هذه المعلومات، بالبريد المسجل، بنماذج عنها، بحالة سليمة وصالحة للمجموعات، ونحن نوافيه فورا بثمانها او ما يرغب من طوابع

استجابة لرغبة المجلة في تعريف العرب بتاريخهم عبر دراسات علمية ومسؤولة، واستجابة لدعوتها الأساتذة والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا لنشر موجز عن رسائلهم الجامعية، فقد وصلنا من الأخ فاضل خليل ابراهيم عرض لرسالته للماجستير خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية.

ونحن في فتحنا هذا الباب نتمنى أن نزيد من اطلاع قرائنا على نتاج باحثينا الشباب مؤملين سد ثغرة في مكتبتنا العربية وفهارسها المعتمدة، لما يفيد الجميع.



رسائل
الماجستير
والدكتوراه

خالد بن يزيد

سيرته واهتماماته العلمية

رسالة ماجستير - كلية الآداب، جامعة الموصل / العراق ١٩٨١
بإشراف الدكتور جاسم خضر الدوري

وفي خضم هذه الظروف، برزت لدينا شخصية عربية، طالما أثير الجدل حولها، أخذت زمام المبادرة في الاشراف على تعريف هذه العلوم والدخول في ميدانها، ومن هنا يكمن دافع اختياري لهذا البحث، اذ هو محاولة لمناقشة الآراء المطروحة حول علاقة خالد بالكيمياء خاصة وبالعلم على وجه العموم، للوصول الى رأي محدد بهذا الشأن.

كما أن المكتبة العربية تفتقد الى دراسة تحليلية شاملة الشخصية خالد العلمية، تعتمد الاشارات التي وردت عنه في المصادر العربية وتحليل المؤلفات المنسوبة اليه، ومناقشة ما طرحه المستشرقون في المراجع والمقالات الأجنبية.

عاش خالد بن يزيد في فترة سياسية قلقة، شهدت تعاضم نفوذ عبد الله بن الزبير

يشكل التراث العلمي احدى الركائز الرئيسية التي قام عليها صرح الحضارة العربية الاسلامية، وقد تبلور هذا التراث عبر التفاعل الحي مع التراث العلمي الأجنبي بمختلف مصادره، تعريباً واستيعاباً واضافة، على امتداد حقبة التاريخ الاسلامي.

والعصر الأموي هو احدى هذه الحقبة التي شهدت بزوغ الرغبة الجديدة في التطلع نحو علوم الأمم الأخرى، وذلك من خلال التفاعل الحضاري مع أهل الثقافات والمراكز العلمية في البلاد المفتوحة، وقد أخذ هذا التفاعل في بدايته صيغة الجدل الفكري، دخلت على أثره أفكار جديدة، دفعت المسلمين الى معرفة مآلدى هؤلاء من فلسفات وعلوم عن طريق ترجمتها الى لغتهم.

وسيطرته على معظم أقاليم الدولة الأموية، ثم تنافس الأمويين على السلطة بعد وفاة معاوية بن يزيد (٦٤هـ). وكان خالد ينتظر دوره في تولي الخلافة ولكنه واجه منافسة قوية من قبل مروان بن الحكم (٦٤هـ - ٦٥هـ)، الذي ساهمت ظروف معينة بفوزه بالسلطة وبالتالي في انتقال الخلافة من آل سفيان إلى آل مروان، وأصبح خالد على أثر ذلك، وبموجب اتفاقية الجابية، ولياً للعهد، ولكن مروان لم ينفذ هذا الاتفاق وعهد بالخلافة إلى أبنيه عبد الملك وعبد العزيز. وظلت العلاقة السلبية بين خالد عن طموحه في الخلافة، واتجه نحو تحسين علاقاته مع الخليفة الجديد فاعتمده عبد الملك مستشاراً خاصاً له وأصبح من المقربين في بلاطه، فكان يأخذ برأيه في مختلف الميادين السياسية والعسكرية والإدارية.

لقد كان خالد يتمتع بالذكاء والفطنة، وله استعداد ذاتي ورغبة في اكتساب المعرفة، يتضح ذلك في مجادلاته مع خصومه ومناقشاته مع أصحاب المذاهب والعقائد الأخرى وروايته ونظمه للشعر، فجاء تخليه عن الخلافة، فرصة لتنمية هذه الرغبة وللتعويض عما فقدته في المجال السياسي، وذلك بتوجيه نحو العلم.

وقد قام لأجل ذلك برحلات علمية، استهدفت البحث عن الكتب والعلماء اطلع من خلالها على كتب علمية أجنبية في ميادين الكيمياء والطب والفلك، فأمر بعضاً من علماء مصر بترجمتها إلى العربية.

وكانت الكيمياء أبرز هذه العلوم التي جلبت اهتمام خالد، نظراً لما تهدف إليه من تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، فأصبحت لديه رغبة في معرفة ماهية هذا العلم وأهدافه ومضامينه وكيفية الوصول إليه، فاتصل ببعض أساتذتها، ومنهم مريانوس الذي تلقى على يده أسرار هذا العلم ورموزه ومفاهيمه، وقد صاغ ما تعلمه من الكيمياء شعراً ونثراً. لقد تضمن البحث خمسة فصول، تناول الفصل الأول منها دراسة حركة التعريب وملامح التطور العلمي في العصر الأموي.

أشير فيه إلى المراكز الثقافية التي اتصل بها المسلمون في البلاد المفتوحة، وملامح التطور الفكري بعد الامتزاج الحضاري، ثم حركة التعريب في مجال الإدارة والفلسفة والعلوم والتاريخ والدين.

أما الفصل الثاني، فقد خصص للبحث في حياة خالد السياسية من حيث الوضع السياسي في عصره والعلاقة بينه وبين آل مروان، إضافة إلى شخصيته وحالته المالية والاجتماعية وعلاقته بالشعراء.

وفي الفصل الثالث، دراسة لاتجاه خالد نحو العلم ورحلاته العلمية، ثم دوره في تعريب العلوم كالكيمياء والطب والفلك ومساهمته فيها. وقد ثبتت في هذا المجال شخصية اصطفن القديم، الذي قام بتعريب كتب الكيمياء لخالد، كما ثبت أيضاً تعريب كتاب قراطيس الحكيم الموسوم (ب كتاب في الشمس والقمر) في عصر خالد.

وتناول الفصل الرابع علاقة خالد بالكيمياء. شمل دراسة شخصية استاذي خالد، مريانوس واصطفن القديم، ومناقشة اشتغال خالد بالكيمياء من خلال تحليل آراء المؤرخين العرب والمستشرقين، وإعطاء بعض الملامح عن كيمياء خالد. وقد تبين في هذا الفصل ثبوت شخصية مريانوس واشتغال خالد بالكيمياء، إذ أيدته العديد من الاشارات الواردة في مصادر التاريخ والعلوم أما الفصل الخامس، فهو دراسة تحليلية لبعض المؤلفات العلمية المنسوبة إلى خالد، سواء ما ذكره المؤرخون العرب أو تلك التي وصلتنا بشكل مخطوطات. وقد ظهر لدى تحليل بعض هذه المؤلفات أن فيها من الحقائق ما يمكن أن ننسبه إلى خالد شعراً أو نثراً. وأن فيها من الأمور ما لا يمكن أن تعود إلى عصر خالد، وهي على ما يبدو إضافات الحقت بالاشعار والنصوص الأصلية. وأخيراً فإن هذا البحث هو محاولة متواضعة تسهم في إعادة كتابة تاريخ تراثنا العلمي وشخصياته بما ينسجم وابرار الصورة المشرقة لهذا التراث.

تاريخ العرب والعالم



صدر العدد الاول في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨
تصدر في منتصف كل شهر عن « دار النشر العربية »
صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربر



الاشتراكات

● للمؤسسات والدوائر الحكومية:	● للأفراد في لبنان
● في الوطن العربي	● للأفراد في الوطن العربي
● للمؤسسات والدوائر الحكومية:	● للأفراد في دول العالم الأخرى
● خارج الوطن العربي	● للمؤسسات والدوائر الحكومية
أو ما يعادلها	● في لبنان
٧٥ دولاراً	٧٥ ل.ل.
١٠٠ دولار	١٠٠ ل.ل.
	١٥٠ ل.ل.
	٢٠٠ ل.ل.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

بناية أبو هليل - شارع السادات - بيروت - لبنان - ص.ب. ٥٩٠٥ / هاتف : ٨٠٠٧٨٣

